لغات القبائل في كتب إعراب القرآن ومعانيه

إعداد

إسماعيل محمود منيزل القيام

المشرف

الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

قُدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في

اللغة العربيةوآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنيّة

كانون الثاني ،2004 م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

الشكر والتقدير موصولانما هبت صبا لمن أعطاني الكثير من علمه وخُلقه
وصبره؛درّس فنفع، وقرأ فوجّه وسدّد،وجاد بعلمه ووقته وكتبه
هو البحر من أي النواحي أتيته فلُجّته المعروف والجود ساحله
إنه أستاذي ومشرفي معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد
جزاه الله خير الجزاء.

والشكر والتقدير للأساتذة الأفاضل في قسم الغة العربية الذين ما انفكوا يعلمون ويوجهون.
وأخص بالشكر والعرفان الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور
محمود حسني والدكتور جعفر عبابنه الذين يتوّجون أفضالهم اليوم
بتحمل عبء قراءة هذه الأطروحة ومناقشتها.
وأما أستاذي الدكتور عبدالحميد الأقطش فهو صاحب فضل طريف وتالد
أشكر له دوماً نُصحه وتوجيهاته، وجزاه الله خيرا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع ***رقم الصفحة***

قرار لجنة المناقشة.....ب
إهداء.....ج
شكر وتقدير.....د
فهرس المحتويات .....هـ
ملخّص .....ي
مقدمة.....1
تمهيد.....4
1- القبائل
العربية.....4
2- لغات القبائل التي احتج النحاة بها.....17
3- وجود لغات القبائل في القرآن الكريم.....18
4- اختلاف لغات القبائل في مجال التراكيب النحوية، وجوده ومسوغ دراسته.....21
5- تعريف بالكتب التي هي مصادر للدراسة، ومدى عناية أصحابها بلغات القبائل.....24

الفصل الأول:قضايا التركيب(الإسناد ومتعلقاته):.....31-98

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ-المبحث الأول(قضايا الإسناد):.....33

1- إلحاق ضمير التثنية أو الجمع بالفعل مع كون المرفوع اسماً ظاهراً.....33
2- ضمير الفصل.....37
3- حذف ضميري الرفع (الواو والياء).....39
4- إعمال الثاني وحذف صدر الصلة.....44
5- وقوع الضمير المتصل بعد (لولا).....46
6- تعدد الخبر.....48
7- إعمال (ما) وإهمالها.....50
8- تخفيف (إنّ وكأنّ)وإعمالُهما.....56
9- التأنيث والتذكير.....59
10- اسم لا النافية للجنس.....64

الموضوع ***رقم الصفحة***

ب- المبحث الثاني(قضايا متعلقات الإسناد).....66

1- إعمال القول عمل
الظنّ.....66
2- الإستثناء.....68
3- الاشتغال.....72
4- التعدي واللزوم.....74
5- العطف على الضمير المرفوع دون توكيد.....81
6- العطف بالفاء.....82
7- نصب المضارع بعد(أو) أو عطفه على ما قبله.....83
8- نصب المصدر أو رفعه.....85
9- استعمال (ما) مع العاقل.....87
10-استخدام المصدر النائب عن فعله.....88
11- إدخال لام الأمر على الفعل المسند
للمخاطب.....88

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

12- تمييز(كم) الخبرية بين النصب والجر.....90
13- وضع السنين موضع السنة.....92
14- حذف التنوين من اسم الفاعل المضاف مع إرادة المستقبل.....92
15- الإخبار عن آخر الكلمتين.....93
خلاصة الفصل الأول.....95

الفصل الثاني:قضايا الحالة الإعرابية.....99-149

أ - المبحث الأول:- المعربات.....101

1- إسقاط حركة الإعراب.....101
2- الصرف وعدم الصرف.....105
3- إبقاء حرف العلة في آخر المعتل المجزوم.....108
4- الاسم المنقوص.....110
5- الملحق بجمع المذكر
السالم:.....112
أ- الأسماء الملحقة بجمع المذكر السالم.....112

الموضوع ***رقم الصفحة***

ب- إلحاق الذين بجمع المذكر
السالم.....115
6- حركة المنادى المرخّم.....117
7- إلزام المثنى الألف في أحواله كلها.....118
8- تشديد نون المثنى من الموصولات وأسماء الإشارة.....123
ب- المبحث الثاني- المبنيات.....126

1- أسماءالأفعال.....126
أ - تصرف اسم الفعل
(هلُمَّ).....126

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب – اختلاف حركة بناء الآخرفي(هيهات، وهيت، وأُفّ).....129
ج – القياس على أسماء الأفعال المنقولة عن الظروف.....133

2- الظروف.....134
أ – اختلاف الحركة التي تُبنى عليها الظروف(حيث، وأمسِ، وقبل، وبعد).....134
ب – حذف الظرف (بين) ونقل حركته.....139
3- فتح لام التعليل ولام الأمر.....140
4- إسكان الضمائر (هو، وهي،والهاء).....141
5- المصدر المعرّف بـــ(ال) الواقع في ابتداء الكلام.....144
خلاصة الفصل الثاني.....146
الفصل الثالث: قضايا الأدوات:.....150- 177
1- استعمال حروف الجر.....151
2- الجزم بالأدوات(إذا، ولن، ولا التي يصلح قبلها(كي).....154
3- زيادة (أم).....161
4- استعمال(من) لابتداء الغاية الزمانية.....163
5- استعمال(أنّ) في موضع (لعلّ).....164
6- حذف (أنْ) من خبر (عسى)، وإثباتها في خبر(لعلّ).....167
7- استعمال(لّما) مكان(إلاّ).....168
8- استعمال(اللام)مكان(أنْ).....170
9- رفع المضارع بعد(كيما).....172
10-إضافة(لات).....173
11-حذف نون الوقاية من(ليتني).....175
خلاصة الفصل الثالث.....176
خاتمة.....178
المصادر والمراجع.....181
ملخص باللغة الإنجليزية.....194

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لغات القبائل في كتب إعراب القرآن ومعانيه

إعداد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إسماعيل محمود منيزل القيّام

المشرف

الأستاذ الدكتور ناصرالدين الأسد

ملخّص

تناول هذا البحث موضوع لغات القبائل في كتب إعراب القرآن ومعانيه، وهو يرمي إلى تقديم صورة واضحة للاختلافات النحوية بين لغات القبائل العربيّة، مؤكداً كثرة الاختلافات، وأنّ جُلَّها لم يقع في جوهر النحو العربي وأصوله، وإنما وقع في الفروع منه.

ويجمع هذا البحث في لغات القبائل بين غرضين رئيسين، الأول: استخلاص مادة وفيرة من الاختلافات النحويّة بين لغات القبائل من مصادر قديمة هي(كتب إعراب القرآن ومعانيه في القرنين الثاني والثالث الهجريين). والثاني: تحليل هذه الاختلافات من وجهة نظر النحاة واللغويين القدماء والمحدثين. بما يجلِّي جانباً من ماضي اللغة العربية الفصيحة، ويُعين على التنبؤ بظواهر لغوية يمكن أن تحدث في مستقبل اللغة.

وقد رجَّح البحث نسبة عدد من اللغات إلى القبائل التي تحدثت بها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة

الحمد لله رب العالمين مُنزل الكتاب بلسان عربي مُبين، وصلاة الله وسلامه على النبي الهاشمي القرشي الأمين، وبعد:

فتُعد لغات القبائل أصلاً تشكلت منها العربية المشتركة، التي أصبحت مستوى من اللغة يلجأ إليه المتكلمون في المواسم العامّة كالحج والأسواق الأدبية، ثم نزل القرآن الكريم بهذا المستوى من اللغة العربيّة، فكان أمراً محتوما أن يتضمن القرآن الكريم استعمالات ترجع في جذورها إلى القبائل العربية التي تشكلت منها اللغة المشتركة.

وقد استندتُ إلى هذه الركيزة في تحديد موضوع البحث، فاتخذتُ كتب إعراب القرآن ومعانيه مصدراً لدراسة لغات القبائل العربيّة لأنّ العلماء في تفسيرهم للقرآن الكريم أو إعرابهم له قد اجتهدوا، في كثير من الأحيان، في إرجاع أوجهٍ من لغة القرآن إلى لغات العرب.

و اقتصرتُ من كتب إعراب القرآن ومعانيه على كتب القرنين الثاني والثالث الهجريّين، وهي مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القرآن للفرّاء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجّاج، وإعراب القرآن للنحّاس. وكان الاقتصار على هذه المصادر لأن ما أُلّف بعدها قد اعتمد عليها، فيكون في اعتمادها ضمن مصادر الدراسة تكرارٌ لا جدوى منه. وأما كتاب إعراب القرآن للنحّاس فقد اعتمدته في الدراسة مع أنّ وفاة مؤلفه كانت سنة (338هـ) ، لأنّ المؤلف قد عاش في القرنين الثالث والرابع، فهو من علماء القرن الثالث في جزء من حياته، وكتابه قد احتوى مادة وفيرة من لغات القبائل.

وقد جمعتُ لغاتِ القبائل من هذه الكتب فتكونت لديّ مادة وفيرة لا يحيط بها مثل هذا البحث، فرأيت أنْ أقصره على مجال التراكيب لسببين: الأول – أنّ مجالات اللغة الأخرى (الصوتية والصرفية والمعجميّة) قد نالت قسطاً وافراً من دراسات الباحثين في اللهجات العربية، وسأذكر أمثلة من ذلك في التمهيد لهذه الرسالة، فلم أُردْ أن يكون بحثي تكراراً لقضايا تناولها الباحثون وأفاضوا في الحديث عنها. وأما مجال التراكيب في لغات العرب فلم ينل العناية الكافية من الباحثين في اللهجات العربية، بحجّة أن التطور النحوي بطيء، وأنّ الاختلافات النحوية بين لغات القبائل قليلة فلم يقِفوا إلا عند المشهور من هذه الاختلافات كإعمال (ما) وإهمالها، ولغة أكلوني البراغيث، وبعض الأمثلة النحوية القليلة الأخرى. فرأيت أنّ البحث في هذا المجال قد يضيف جديداً، ويجنّب التكرار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما السبب الثاني فهو متعلّقٌ برغبتي منذ أن كنت أُعِدُّ رسالة الماجستير (أخطاء التراكيب النحوية مادةً وتحليلاً؛ دراسة في كتب التصحيح اللغوي في العصر الحديث)؛ إذ وجدتُ بعض العلماء يُخطِّىء تركيباً من التراكيب المستعملة في لغة المعاصرين، ثمّ يُصوِّبه آخر مستنداً إلى لغة من لغات العرب وقولِ ابن جنّي: " الناطق على قياس لغة من لغات العرب مُصيبٌ غير مُخطىء "[1]، فرأيتُ أنّ دراسة مجال التراكيب في لغات العرب قد تُجلّي هذا المِعيار الذي كان أحد معايير العلماء في تصويب التركيب وإجازته.

وقد قامت هذه الدراسة على جمع الاختلافات النحوية من كتب إعراب القرآن ومعانيه، ثمّ دراسة هذه القضايا جميعاً على وفق منهج يعرض النصّ الذي ذُكرت فيه اللغة، ثم يبحث في تأكيد وجود هذه اللغة في كتب أخرى مثل كتب النحو واللغة والمعاجم، محاولاً تفسيرها من وجهة نظر المحدثين وقد أعانني في ذلك كتاب نهاد الموسى (في تاريخ العربية) ، ومجتهدا في التحقق من نسبة اللغة التي ذكرها العلماء، أو محاولا نسبة اللغة إلى أهلها إن لم ينسبها العلماء، مستعينا على ذلك بالمعاجم اللغويّة، وكتب النحو واللغة، وكتب المحدثين التي من أبرزها (معجم لغات القبائل والأمصار) لداود سلّوم وجميل سعيد.

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة و تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

فأما التمهيد فقد جاء في خمسة محاور لموضوع البحث هي:

1- القبائل العربية.
2- لغات القبائل التي احتجَّ النحاة بها.
3- وجود لغات القبائل في القرآن الكريم.
4- اختلاف لغات القبائل في مجال التراكيب النحويّة؛ وجوده ومسوّغ دراسته.
5- تعريف بالكتب التي هي مصادر للدراسة، ومدى عناية أصحابها بلغات القبائل.

وأما الفصل الأول فهو بعنوان قضايا الإسناد ومتعلقاته، وقد جاء في مبحثين، تناولتُ في الأول (وهو قضايا الإسناد) الاختلافات النحوية التي تقع في علاقة الفعل بفاعله أو نائب فاعله، والاختلافات التي تقع في علاقة المبتدأ بخبره. وتناولت في الثاني (قضايا متعلقات الإسناد) الاختلافات النحويّة التي تقع في مكملات الجملة التي هي متعلقات الإسناد.

1 الخصائص : ج12/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الفصل الثاني فهو بعنوان قضايا الحالة الإعرابية، وقد جاء في مبحثين كذلك هما: مبحث المعربات، وقد تناولتُ فيه قضايا الاختلاف في أواخر المعربات من الأسماء والأفعال. ومبحث المبنيات، وقد تناولت فيه قضايا الاختلاف في المبنيات من جهة حركة بناء الآخر، ومن جهة ما قد يردُ فيها من اختلافات وإن لم تتعلق بحركة البناء.

وأما الفصل الثالث فهو بعنوان قضايا الأدوات، وقد تناولتُ فيه الاختلافات النحويّة بين لغات القبائل في الأدوات النحويّة التي أشارت كتب إعراب القرآن ومعانيه إلى وجود اختلافات بين لغات القبائل فيها.

وقد أتبعتُ كل فصل من فصول الرسالة الثلاثة بخلاصة تحوي أبرز ما جاء في الفصل.

وأما الخاتمة، فقد اقتصرت على ذكر النتائج العامة التي خلص إليها البحث.

ولا شكّ أن الباحث في لغات العرب القديمة تواجهه عقبات عدّة، أبرزها أن العلماء الذين أشاروا إلى هذه اللغات لم يذكروها لذاتها، وإنما كانت إشاراتهم شواهد مُقتضبة في كثير من الأحيان، تخريجاً لقضية لغويّة، أو حذلقةً من العالم ليُبرهن بها على علمه بلغات العرب، فيقول في تخريج مسألة معينة: وهي لغة ناس من العرب، أو تكلم بها قوم من العرب، ولا يحدِّد هؤلاء الناس أو القوم.

كما أنّ تعيين القوم بقولهم: هي لغة قبيلة كذا أوكذا ليس بالكثيرة جدواه، فإنَّ ذكرشاهد أو شاهدين على هذه اللغةلا يعين على تأكيد نسبة اللغة إلى هذه القبيلة، أو القطع بهذه النسبة، مما يبقي الأمر في إطار الترجيح على وفق ما توافر لدى الباحث من النصوص.

وأخيراً فإنّ هذا البحث لا يدّعي الكمال، فالكمال لله وحده، وما بحثي إلا اجتهاد رجوتُ فيه أن أكون مصيباً، فإن كان ذلك، فبفضل الله تعالى، وإن أخطأتُ فأرجو أن لا أُحرم أجر المجتهد.

الباحث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد

يدور التمهيد على خمسة محاور لموضوع الدراسة هي :

أولاً- **القبائل العربية**:

قبل الحديث عن القبائل العربية لا بدَّ من التعريف الموجز بشبه الجزيرة العربية التي كانت تنتشر فيها هذه القبائل، وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في تحديد شبه الجزيرة العربية، ولا يحتاج البحث إلى الخوض في هذا الاختلاف حتى لا يخرج عن الحدود المرسومة له، وإنما يقف عند الإشارة إلى بعض المراجع التي وضَّحت هذا الاختلاف[1]. ثم يأخذ تحديداً واضحاً يشتمل على مواقع القبائل العربية التي كانت تضمها شبه الجزيرة العربية، فيحدِّدُها الهمْداني بقوله: " جنوبيها اليمن، وشماليها الشأم، وغربيها أيلة[2] وما طردته من السواحل إلى القُلْزُم وفسطاط مصر، وشرقيها عُمان والبحرين وكاظمة والبصرة، ومُوسطها: الحجاز وأرض نجد والعروض"[3].

فهذه هي الحدود الخارجية لشبه الجزيرة العربية، وأما تقسيمها الداخلي فيقول الرافعي فيه: " ثم يقسمونها معتبرين الأصل في ذلك جبلَ السراة الذي تبتدئ سلسلته في اليمن وتمتد شمالاً إلى أطراف بادية الشام، فتجعل العربية شطرين: غربياً وشرقياً، ينحدر الغربي من سفح ذلك الجبل حتى يصل إلى شاطئ البحر وقد صارت[4] هابطاً، فيسمونه لذلك: الغَوْر وتهامة، ويرتفع الشرقيّ إلى أطراف العراق والسماوة، فيسمونه نجداً- ومن هذا قولهم: أغار وأنجد – ويُسمون ما فصل بين تهامة ونجد، بالحجاز، لأنّه يحجز بينهما، ثم يسمون ما ينتهي به نجد في الشرق حتى يصل إلى خليج فارس من بلاد اليمامة والبحرين وعُمان وما إليها بالعروض، لاعتراضها بين اليمن ونجد[5]؛ ويسمون القسم الجنوبي مما وراء الحجاز، باليمن، لوقوعه عن يمين الكعبة إذا استقبلت المشرق"[1] وهذا التقسيم الداخلي لشبه الجزيرة العربية يمكّننا من عرض القبائل العربية التي كانت تنتشر في المناطق الخمسة التي ذكرها الرافعي، وهي: تهامة، ونجد، والحجاز، والعروض، واليمن.

---

[1] مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : 1-2، واللهجات العربية في التراث : ج1/19-22، واللهجات العربية في القراءات القرآنية : 7- 15، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ج1/35.

[2] الشرم الشق، وشرم أيلة هو شرم الشيخ اليوم، وأيلة بفتح الهمزة ميناء مشهور وتسمى العقبة أو عقبة مصر، وهو ميناء الأردن والحجاز وفلسطين.[التوضيح من محقق صفة جزيرة العرب: محمد بن علي الأكوع الحوالي: ص3]

[3] صفة جزيرة العرب: 3، وينظر: الشيخ محمد أمين البغدادي: سبائك الذهب: 15.

[4] كذا وأظنها صار.

[5] لايستقيم قوله إنها سُميت بالعروض لاعتراضها بين اليمن ونجد، إذ هي تمتد من الجنوب الشرقي لنجد إلى خليج فارس، وأما اليمن فهي في الجهة الجنوبية. (هذا التصحيح لأستاذنا الدكتور ناصر الدين الأسد) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبل أن نبين المخطط العام للقبائل العربيّة في ضوء تقسيم الجزيرة إلى هذه المناطق الخمسة، نشير إلى مسألة ذات علاقة واضحة بلغات القبائل العربية، هي: هل كانت القبائل العربية مستقرَّةً ثابتة في مناطق معينة، أو أنّها كانت دائبة الحركة والتنقُّل غيرَ مستقرّةٍ ولا ثابتة بسبب من كونها قبائل تعتمد على الرعي والغارة ؟

وقد ذهب أحمد علم الدين الجندي إلى أنّ القبائل العربية لم تتّسم بالاستقرار أو اللجوء إلى وطن ثابتٍ مُحدَّد، فقال: " إنَّ القبائل تتداخل مساكنها، ثم هي دائبة التنقُّل والفرّ من هنا وإلى [كذا] هناك، فالحديث عن تفرُّق القبائل صعبٌ عسير ولن يجد الباحث وطناً ثابتاً محدّداً لأي قبيلة من القبائل، ولا بُقعة في شبه جزيرتهم – على تباعد أطرافها – اختصّت بقومٍ منهم دون الآخرين "[2].

ولم يكن الجندي مُحقاً في هذا التعميم؛ إذ قد تنطبقُ سمةُ التنقُّل والحركة على بعض القبائل دون أخرى، وعلى أجزاء من القبيلة دون أخرى، وأما أن تكون القبائل العربية كُلُّها لا يوجد لها وطن ثابت مُحدَّد، ولا بقعة اختصّت بقوم دون آخرين، فهذا ما لم يثبت ولم يصحّ، فما معنى الحِمى للقبيلة إن لم يكن لها وطن ثابت؟ بل كان كثيرٌ من أيام العرب بسبب الاعتداء على الحِمى. وكان ناصر الدين الأسد قد جلّى هذه المسألة من قبل، فقال: "غير أنّ الذي لا يتطرّقُ إليه ريب، فيما نرى، أنّ قبائل كثيرة كان منها من يسكن في الحواضر والقرى مستقرّا ثابتاً : فالأوس والخزرج كانتا تسكنان المدينة، وثقيف كانت تسكن الطائف، وقريش البطاح كانت تسكن بطحاء مكة، وتغلب وبكر وإياد كان بعضها حاضرةً تسكن الجزيرة وما بين النهرين، وعبدُ القيس كان منها حاضرةٌ تسكن عُمانَ والبحرين ..... فكثيراً ما نجد إذن قبيلة واحدة تحيا حياتين مختلفتين: كان قسم منها يتحضّر ويستقرُّ ويسكن المدر، على حين يبقى قسمٌ منها بادياً في أهل الوبر، في أطراف القرى والمدن. وقد كان هذا شأن القبيلة في الجاهلية والإسلام معاً"[3].

وكان الجندي قد ذهب هذا المذهب ليُبطل رأي المستشرقين وبعض علماء العربية في تقسيم اللهجات إلى حجازية وتميمية، أو غربية وشرقية [1]، الذي ألّف تشيم رابين بناءً عليه كتابه (اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية) ، ودرس فيه لهجات اليمن وحِميَر والأزْد وشمال اليمن وهُذيل والحجاز وطيّىء. وقد أصاب الجندي فيما ذهب إليه من وجود مظاهر لهجية

---

[1] تاريخ آداب العرب : ج33/1.

2 اللهجات العربية في التراث : ج38/1.

3 مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخيّة : 5-6، وجاء في (عُجالة المبتدي وفضالة المنتهي) ص5 : " فأما الأرحاءُ من ربيعة : فبكر بنُ وائل، وعبدُ القيس، ومن مُضَرَ تميمٌ وأسد، ومن اليمن كلبٌ وطيّىء. وإنّما سُمِّيَت أرحاءً لفضْل قُوَّتها وعَدَدها على سائر العرب، ولأنّها حَمَتْ دُوراً ومياهاً ومرابعَ لم يكن للعرب مثلها، فدارت في دُورها دَوْرَ الرّحى على أقطابها، لا تُفارق دورها طلباً للنّجعة، وإنّما تردّدُ فيها كدَوْر الرّحى، ولم يكن لقيسٍ رَحىً لضيق دارها ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنتشر في غربيّ الجزيرة و شرقيها في آن [2]، ووجود اختلافات لهجيّة داخل الكتلة الغربية نفسها أو الكتلة الشرقية نفسها[3] فلا يستقيم أن نقسم المظاهر اللهجيّة في الجزيرة قسمين : غربية وشرقية، أو حجازية وتميمية، لكنّ ذلك لا يحول دون تأكيد ما ثبت من استقرار بعض القبائل في حواضر معينة.

وأما القبائل العربية التي ندرس لغاتها في هذا البحث فهي ترجع إلى ما عُرف بالعرب الباقية لأنّ القبائل التي تشكلت منها العرب البائدة مثل: عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس قد بادت ودرست أكثر آثارها، وكانت تُمثّل جذوراً [4] للقبائل العربية الباقية، التي قامت على آثارها.

وقد ذهب النسابون إلى أنّ العرب الباقية قسمان: العرب العاربة، والعرب المستعربة. فأما العرب العاربة فهم القحطانيون، وأما المستعربة فهم العدنانيون، ويُرجع النسابون القبائل العربية إلى قحطان وعدنان، ويجعل بعضهم قضاعة من العدنانيين، وآخرون يجعلونها من القحطانيين، ويجعلها بعضهم أصلاً ثالثا كالقحطانيين والعدنانيين[5].

وقد تكلم بعض الباحثين في هذه التقسيمات وشكّوا في صحّتها، وهم مُحِقّون في شكّهم من جهة ما قد يخالط علم الأنساب من قصص القُصّاص وحكايات أصحاب السِير والنسّابين الذين يُدخلون في حديثهم عن الأنساب أشياء لا أصل لها، وغاياتهم من ذلك متعدّدة منها البرهنةُ على مزيد من المعرفة وسعة الاطلاع، أو التزلّفُ إلى الخلفاء والولاة، أو التعصُّبُ لقبائل معيّنة، أو غير ذلك من دواعي الخلط والتزييف في علم الأنساب.

ولكن الباحثين غير مُحقّين في شكّهم من جهة اتّهامهم النسّابين بأنهم نسجوا كل أنساب القبائل العربية نسجاً ما هو إلا خلاصة وجهات نظرهم في أنساب القبائل، لم يرجعوا إلى ما دُوِّنَ من الأنساب في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يكن من تدوينٍ لأنساب القبائل في العصر الجاهلي يمكن الرجوع إليه، يقول جواد علي: " والتصنيف المألوف للقبائل هو حاصل عُرف جرى عليه النسّابون، ولا نعرف تدويناً لأهل الجاهلية للأنساب، إنما نعرف أنّ أوّل تدوين رسمي كان هو التدوين الذي تمّ في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حيث ظهرت الحاجة إلى التسجيل فسُجلت، ولم تصل ويالأسف سجلّات ذلك الديوان إلينا، ولم يُصرِّح أحدٌ من النسابين أنه أخذ مادة أنسابه من تلك السجلات، وإنما الذي بين أيدينا هو خلاصة وجهة نظر النسّابين في

---

1 اللهجات العربية في التراث : ج55/1.
2 المصدر نفسه: ج61/1-69.
3 المصدر نفسه: ج70/1-75.
4 د. ناصر الدين الأسد: نشأة الشعر الجاهلي وتطوره : 14.
5 جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ج419/4.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنساب القبائل "[1]. وهذا زعم تردّه كثير من النصوص التي ذكرها ناصر الدين الأسد، واعتمد فيها على روايات متعدِّدة يرجح الباحثُ معها وجود كتب الأنساب وتدوينها منذ الجاهلية، من هذه النصوص قول عبد الله بن محمد بن عمارة: " فرتنى: أمٌ لهم [أي لبني حَزْم] في الجاهلية من بَلْقَيْن، كانوا يُسبُّون بها، لا أدري ما أمرُها، قد طرحوها من كتاب النسب "[2].

ومنها قول أبي الفرج عند حديثه عن قُريظة والنّضير وبني قَيْنُقاع وغيرهم: " لم أجد لهم نسباً فأذكره لأنّهم ليسوا من العرب، فنُدوّن العرب أنسابهم، إنما هم حلفاؤهم "[3]، وقال ناصر الدين الأسد معلّقاً على هذا النص: " وهذا النص الأخير على تدوين العرب أنسابهم منصرف حتما إلى العصر الجاهلي، لأن اليهود لم يكونوا حلفاء للعرب بعد الإسلام " [4].

وسنقصر حديثنا هنا على القبائل والبطون التي نسب العلماء مؤلفو كتب إعراب القرآن ومعانيه الاختلافات النحوية إلى لغاتها، وقبل الحديث عن هذه القبائل والبطون لابد من الوقوف عند قضيتين رئيستين:

الأولى أن العلماء قد نسبوا أحياناً إلى القبيلة كتميم وطيّىء وقيس. . . ونسبوا أحياناً أخرى إلى بطون من القبائل كالنسبة إلى بني سعد أو بني يربوع وهما من تميم، وهذا قد يكون من قبيل التخصيص، إذ يكون العالم قد سمع من شخص فنسب إلى البطن الذي ينتسب إليه الشخص. وقد يكون في هذا إشارة إلى أنّ اللغة تشيع في هذا البطن دون غيره من بطون القبيلة.

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج414/4.
[2] الأغاني: ج237/4.
[3] المصدر نفسه: ج116/3.
[4] مصادر الشعر الجاهلي: 165.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا إلى ما يُضاف إلى قضيّة نسبة اللغات من عوامل خارجيّة، كالنزاع السياسي "الذي وقع فيه الناس في بداية القرن الثاني الهجري، حيث نشط التحزُّبُ والتنافرُ بين البطون بعضها على بعض، وخاصةً العربية منها – قحطانية وعدنانية-فربّما انعكست آثار من ذلك الصراع على مسألة المساهمة في شرف الحظوة، ولو بلفظة واحدة من لغات القرآن"[1]. وفي أحيان أخرى نسب العلماء إلى أماكن هي اليمن، والحجاز (العالية) ، ونجد، وتهامة. فاليمن معروفة وتهامة هي الناحية الجنوبية من الحجاز أي هي بين الحجاز واليمن في الجنوب، ونجْد بين الحجاز العراق، والحجاز ما بين تهامة ونجد[2].

والنسبة إلى هذه المواقع دون تحديد لقبائل معينة تحتمل أمرين؛ الأول: أن تكون اللغة شائعة في قبائل هذا المكان كلّها، والثاني: أن تكون اللغة لقبيلة من قبائل هذا المكان فنسب العلماء إلى المكان لأن القبيلة صاحبة اللغة هي المشهورة في هذا المكان، كأن ينسبوا إلى نجد ويُريدون تميم. أوينسبوا إلى أهل الحجاز ويريدون قريشا.

ولذا فإنّ نسبة لغة من اللغات إلى قبيلة أو قبائل معينة تظلُّ محصورة في إطار الترجيح الذي اجتهدنا في الوصول إليه من خلال ما ذكره العلماء، ولا نستطيع قطع هذه النسبة أو تأكيدها لما يحوط هذا الموضوع من صعوبات يتمثل أبرزها في أننا لا نمتلك من تلك اللغات إلا النُّتَفَ التي استشهد العلماء بها.

والقضية الأخرى التي نقف عندها قبل الحديث عن القبائل والبطون التي نسب العلماء اللغات إليها، هي أنّ حديثنا عن هذه القبائل يتجه إلى شيئين هما: نسب القبيلة وموطنها، فأما أنساب القبائل فهي التي ذكرها النسابون مع ما يكتنف هذه الأنساب من مواضعة واتفاق أحياناً بين النسابين، وما يحيط بها من شكٍّ أحياناً أخرى خاصةً في مسألة حصر العرب في أصلين هما : قحطان وعدنان، وفي ارتفاع النسب إلى ما بعد هذين الأصلين. [3]

---

[1] د. عبد الحميد الأقطش، بحث(في التقارض اللغوي من الحبشية إلى العربية تأصيل ودراسة مقارنة)، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، عدد (17) ، 1995: ص45.

[2] ينظر: صفة جزيرة العرب: 64، وزهر الأدب في معرفة أنساب ومفاخر العرب: 16.

[3] ينظر : جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج414/4 ومابعدها. وزهر الأدب في معرفة أنساب ومفاخر العرب: 15.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما مواطن هذه القبائل فنبينها من خلال كتب التاريخ والأنساب، معتمدين المواقع التي كانت تسكنها القبائل فيما قبل الإسلام، مع ملاحظة حركة بعض القبائل في هذه الحقبة، وانتقال بعضها من مكان إلى آخر في شبه جزيرتهم بسبب طبيعة حياتهم.

ولم تبقَ القبائل العربية بعد الإسلام في مواقعها، بل أخذت تتحرك وتنتقل لأسباب من أبرزها الفتوحات الإسلامية، وما رافقها من هجرة بعض القبائل إلى البلاد المفتوحة، والإقامة بها، فخرجت قبائل كثيرة أو بطون منها من الجزيرة العربية، وعمرت البلاد المفتوحة، فأقاموا في بلاد جديدة غير الجزيرة التي ألفوا العيش فيها، كبلاد الشام وبلاد المغرب والأندلس[1].

وهذه القبائل التي ذكر العلماء أنَّ الاختلافات النحوية ترجع إلى لغاتها، فنسبوها إليها هي:

1- قضاعة : نسب العلماء بعض الاختلافات النحوية إلى قبيلة قضاعة أحياناً وإلى بطن من بطونها هو عذرة أحياناً، فأما قُضَاعة فقد اختلف النسابون في أصلها2، فأرجعها بعضهم إلى حِمْير أي هي من قبائل اليمن، وتنسب إلى عمرو بن مالك بن عمرو ابن مرة بن زيد بن مالك ابن حمير بن سبأ، قال الهَمَذاني: " وهو الأكثر والأصح "3، وأرجعها بعضهم إلى معد بن عدنان أي هي من العدنانيين. ويبدو أنّ الخلاف الكبير في نسب قضاعة قد حمل بعض النسابة أن يقف موقفاً وسطاً، ما أُراه إلا متخيلاً مُبتدعاً للخروج من مأزق النسبة، قال السُهيليّ: " إنّ امرأة مالك بن حِمير، واسمها عُكْبُرَة آمت منه وهي تُرضع قُضاعة، فتزوجها مَعَدُّ، فهو رابُّه فتبنّاه وتكنّى به، ويُقال: بل ولدته على فراشه، فنسب إليه"[4].

ولعلّ التوفيق لم يجانب جواد علي عندما اتخّذ رأي بعض النسّابين في كون قضاعة أصلاً ثالثاً من أصول العرب مع القحطانيين والعدنانيين، ثم بنى عليه أن تكون قضاعة تشتتّت فاختلطت بعض قبائلها بالعدنانيين والأخرى بالقحطانيين، مما أدى إلى حدوث هذا الاختلاف بين النسابين في نسب قضاعة [5].

وقد ذكرت كتب الأخبار سبعة أحياء مشهورة من قضاعة هي[6]: بلِيّ وجُهَيْنَة وكَلْب وبَهْراء وبنو نَهْد وجَرْم[7] وعُذْرة. ونقف هنا عند عُذْرة لأن العلماء نسبوا بعض الاختلافات

---

[1] ينظر: زهر الأدب: 17.
[2] ينظر: صبح الأعشى : ج1/367، وعجالة المبتدي : 105، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج4 /419.
[3] عجالة المبتدي : 105.
[4] الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ج1 /54.
[5] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج4/420.
[6] ينظر : صبح الأعشى : ج1 /367-370، وعجالة المبتدي: 105، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج4 /420-432.
[7] هي غير (جَرْم) طيّىء التي كانت مساكنها ببلاد غزّة: ينظر: صبح الأعشى: ج1 /369.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النحوية إليها؛ فهم ينسبون إلىعذْرة بن سَعْد بن هُذيم بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن إلحاف بن قُضاعة[1]، وإليهم يُنسب العشق المشهور والغزل العُذريّ. ومنازلهم في أعالي الحجاز مجاورة لقبائل: نَهْد وجُهَيْنة وكَلْب وبَلِيّ، ومن مواضعهم: وادي القرى وتبوك حتى أيْلة[2].

وعُذرة كغيرها من القبائل قد تفرقت في البلاد فمنهم من" ينزل بجزيرة الصوامع على رملة بيضاء من كورة ضيّان، ومنهم قوم بزَنْكَلُوم وقوم بالصعيد من مصر. أما بنو حُنّ ابن عُذْرة فمنها من ينزل بالبُجَيْرة مما يلي المغرب من أرض مصر"[3]. وجاء في صبح الأعشى أنّ " لهم بقايا بالدَّقَهْلِيَّة والمُرْتاحيَّة من الديار المصريّة، وبقايا بالشام أيضاً"[4].

2 - الأزد : نسب العلماء بعض اللغات إلى فرعين من الأزد هما أزد شنوءة وأزد السّراة. وقد صنّف النّسابون قبائل الأزد في أربعة أصناف هي: " أزد عُمان وأزد السّراة، وهم الذين أقاموا في سراة اليمن، وأزد شنوءة أبناء كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد وهم من سَكَنةِ السراة كذلك، وأزد غسّان وهم مَنْ شرب من ماء غسّان"[5].

وترجع هذه الأصناف إلىجد الأزد، واسمه دِراء، ويُقالُ دِرَا بنُ الغَوْثِ بن نبت بن مالك بن أُدَد بن زيد بن كهلان بن سبأ. . . "[6]، ولهذا جاء في عجالة المبتدي : " وقد يجيء في بعض الأنساب: فلان الأزدي من أزد شنوءة و فلان الأزدي من أزد الحَجْر، فيظن من لم يتبحّر في علم النسب أن الثاني والثالث[7] غير الأول، لاختلاف المُعرَّف به في كل اسم من هذه الأسماء الثلاثة، وليس كذلك، وقد وهم غير واحد من أئمة الحديث في ذلك، والصواب أنّ الثاني والثالث مُندرج في الأول وهما من ولده، والمنسوب إليه إنما هو الأب الأول"[8]

فأزد السراة وأزد شنوءة وهما الفرعان اللذان نُسبت بعض اللغات إليهما، كانا يسكنان سراة اليمن. وفي الأزد بطون مشهورة منها: الأوس والخزرج قبيلتا الأنصار المشهورتان [9]، وكانتا تسكنان المدينة المنوّرة، وخزاعة[10] التي كانت تنزل في مكة ونواحيها من قريش[11].

---

[1] عجالة المبتدي: 92، وصبح الأعشى: ج1 /368.
[2] المعجم المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج4 / 431.
[3] صفة جزيرة العرب : 272.
[4] صبح الأعشى: ج1 /368.
[5] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج442/4.
[6] عجالة المبتدي وفضالة المنتهي: 10.
[7] مثّل المؤلف بصنفين من الأزد، ولم يذكر الثالث.
[8] عجالة المبتدي وفضالة المنتهي: 11.
[9] ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم: 470 – 474.
[10] عجالة المبتدي: 54.
[11] صفة جزيرة العرب: 259.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3- الحارث بن كعب: تُنسب إلى الحارث بن كعب بن عُلة بن جلد بن مالك بن أُدَد بن زيد ابن يَشْجُب[1]. وبنو الحارث بن كعب هم بطن من بطون قبيلة مَذْحِج[2] التي كانت تسكن سَرْوَ مَذحِج في اليمن[3]. ويُرجع النسابون نسبها إلى كهلان من يعرُب. [4]

وأما موقع بني الحارث بن كعب فهو شماليّ اليمن[5] ومن مساكنها مدينة رَدَاع وباديتها[6] وقرى: حِبّان في ظاهر رَدَاع[7]، والعرش وحَرْيَة[8]، والصَّمْع وحَدَقان وبئر العَرِم من شرقيّ الرَّحْبَة [9]. ونجران هي من القرى المقسومة بين بني الحارث وهَمْدان[10].

وفي ما ذكر عن هذه القبيلة شاهدٌ على انتقال أجزاء من القبائل، ورحلتهم من اليمن أو الجزيرة إلى الشام، فقد ذكر الهمداني - في ذكره مساكن من تشاءم من العرب - بيتاً من بني الحارث بن كعب يسكنون بالفَلجة من أرض دمشق منهم عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي[11].

4 – هَمْدان : قبيلة من قبائل كهلان بن يعرب[12]، فهي شقيقة لقَبيلتي الأزد ومَذْحِج اللتين مرّ ذِكرُهما. تُنسبُ إلى هَمْدان، و"اسمه أوسَلَةُ بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوْسَلَة بن الخِيَار بن مالك بن زيد بن كهلان"[13].

---

[1] عجالة المبتدي : 45.
[2] صبح الأعشى : ج1 /378 –380.
[3] صفة جزيرة العرب : 81 1.
[4] صبح الأعشى : ج1 /370.
[5] اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية: 141.
[6] صفة جزيرة العرب: 80 –81 و 92 0
[7] المصدر نفسه: 190.
[8] المصدر نفسه: 220.
[9] المصدر نفسه: 239.
[10] المصدر نفسه: 265.
[11] المصدر نفسه: 272، وينظر: 274.
[12] صبح الأعشى: ج1 /370.
[13] عجالة المبتدي: 123.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا مسكن همْدان فقال فيه الهمْداني: "أما بلد هَمْدان فإنه آخِذ لما بين الغائط وتِهامة من نجد والسَّراة في شماليّ صنعاء"[1]. فهي من قبائل شماليّ اليمن [2].

5 - طيّىء: تنسب هذه القبيلة إلى طيّىء بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان[3]. فهي قبيلة ترجع في نسبها إلى كهلان، ولذا هي شقيقة لقبائل الأزْد ومَذْحِج وهَمْدان.

وقد كان موطن طيّىء الأصلي في اليمن مجاورةً لقبائل شماليّ اليمن[4]، ثم انتقلوا إلى نجد والحجاز، وسكنوا جبلي أجَأ وسَلْمى في نجد، قال القلقشندي في منازل طيّىء وأسباب خروجهم منها: " كانت منازلهم باليمن فخرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تَفرّقهم بسيل العَرِم، فنزلوا بنجد والحجاز على القرب من بني أسد، ثم غلبوا بني أسد على جبلي أجَأ وسلمى من بلاد نجد، فنزلوهما فعُرفا بجبلي طيّىء إلى الآن؛ ثم افترقوا في أول الإسلام زمن الفتوحات في الأقطار، ولهم بطون كثيرة" [5].

وبانتقال طيّىء من موطنها الأصلي إلى الحجاز ونجد، وانتقال بعض بطونها إلى شماليّ شبه الجزيرة العربية وجنوبي الشام، أصبحت تخالط القبائل الأخرى في مساكنها، فخالطت دُبيان التي هي من غطفان من قيس عيلان، قال الهَمْداني في ديار (دُبيان) : " وهي من حدِّ البياض بياض قرقرة وهو غائط بين تَيْماء وحَوْران لا يخالطهم إلا طيىء"[6].

6- زُبَيْد: هي فرع من سَعْد العشيرة من مَذْحِج، وتُنسب إلى مُنَبّه بن صَعْب بن سَعْد العشيرة[7]. وهي من قبائل شماليّ اليمن [8]، يسمى بلدهم (بَلاع) ، وهو" واد فيه نخل وهو غير بلاع في بلد خثعم أسفل الخنقة إلى الورة والأعدان وهي مراع لرَئْيَة ويسكن هذه البلاد من قبائل زُبيد الأغلوق وبنو مازن وبنو عُصَم "[9]، ويسكن بطن من زُبَيد هم (بنو حُبَيْش) في بادية مدينة رَدَاع اليمنيّة مع أخلاط من الربيعيين والزياديين وبني الحارث[10]. ولبني حبيش هؤلاء أودية منها: هَليل وصَيْد وذو كزَّان[11]. وقد ميّز القلقشندي بين بني زُبيد هؤلاء وبني زُبيد الذين هم بطنٌ من طيّىء، فبنو

---

[1] صفة جزيرة العرب: 239.
[2] ينظر : اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية: 141
[3] عجالة المبتدي: 85.
[4] اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة: 357.
[5] صبح الأعشى : ج372/1، وينظر : صفة جزيرة العرب : 267، 274، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ج450/4.
[6] صفة جزيرة العرب: 272.
[7] عجالة المبتدي: 68.
[8] اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية : 141.
[9] صفة جزيرة العرب: 253.
[10] المصدر نفسه : 80-81.
[11] صفة جزيرة العرب: 193.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زُبيد الذين نتحدّث عنهم "هم زُبيد الحجاز"[1]، وأحسبه نسبهم إلى الحجاز لأنهم يسكنون شماليّ اليمن كما تقدّم فهم أقرب إلى الحجاز من بني زُبيد الذين هم بطن من طيّىء، ومسكنهم "بريّة سِنْجَار من الجزيرة الفراتية" [2].

7 - خَثْعَم: تفرعت قبيلتا خَثعم وبَجِيْلَة عن أنمار المتفرعة عن كهلان[3]، فقبيلة خثعم من القبائل اليمنية تُنسب إلى خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان[4].

جاء في صبح الأعشى عن مساكن خثعم: " وكانت مساكنهم مع إخوتهم بجيلة بسروات اليمن فافترقوا في الفتوحات الإسلامية " [5]، وقال الهمداني وهو يبين ما وقع باليمن من جبل السّراة: " سَراةُ عنْز وسَراة الحجْر نجدها خثعم وغورهم بارق"[6] فقبيلة خثعم من قبائل شماليّ اليمن [7]، ثم افترقت زمن الفتوحات الإسلامية.

8 - قريش: هي من القبائل العدنانية، تفرّعت عن خِندف. وهي من ولد النّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر[8]. ومساكنهم مكة وأحوازها، تشاركهم في هذه المساكن خُزاعة [9].

9 - هُذَيل: هي كذلك من القبائل العدنانية، وهي شقيقة قريش في تفرُّعهما عن خِنْدف، فهي تُنسب إلى هُذَيل بن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر[10]. وموطنها الأصلي يقع بين شمالي اليمن والحجاز. وقال الهمْداني في منازلها: " منازل هُذيل عُرَنَة وعَرَفَة وبطن نَعْمان ونخلة ورُحَيْل وكَبْكَب والبَوْبَاة وأوْطاس وغَزْوان فأخرجهم منه بنو سعد، أخرجوها في وقتنا هذا بمعونة عجّ ابن شاخ سلطان مكة، وغزوان من أمنع جبال الحجاز وأكثرها صيداً وعسلاً، وهو يشاكل من جبال السراة شناً وجبل بارق"[1].

10 - قيس: هي قيس عيلان بن مضر، وهي قبيلة كبيرة غلبت تسميتها على مُضر لأنها الفرع الغالب على نسب مُضر، وقد جمعت عدّة قبائل، وصارت تؤدي معنى العدنانية لكبرها، وجُعلت

---

[1] صبح الأعشى: ج1/379.
[2] المصدر نفسه: ج1 /374.
[3] عجالة المبتدي: 19. وبعض النسّابين يجعل أنمار من القبائل العدنانية، ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج470/4.
[4] عجالة المبتدي: 53.
[5] صبح الأعشى: ج1 /382.
[6] صفة جزيرة العرب: 119.
[7] ينظر : اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية: 141.
[8] عجالة المبتدي: 103.
[9] صفة جزيرة العرب : 259.
[10] صبح الأعشى: ج1 /402، وعجالة المبتدي : 122.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك في مقابل قبائل اليمن، فقيل: قيس ويمن[2]. ومن قبائلها التي نسب العلماء بعض الاختلافات النحوية إليها:

- **هوازن**: تُنسب إلى هَوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان[3]. ومساكنها كما بينها الهَمْداني" سراة الطائف غورها مكة ونجدها ديار هوزان" [4].

- **بنو سُلَيم** : يُنسبون إلى سُليم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان[5]، ومساكنها " من وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حدّ الجبلين إلى ما ينتهي إلى الحرّة"[6]. و " تُعدُّ قبيلة بني سُلَيم من القبائل المهمة الساكنة في الحجاز في أرضٍ اشتهرت بمعادنها وبخصبها، وبها حِرارٌ منها: حرّةُ بني سُلَيم وحرّة ليلى. وبها مياه استفادت منها القبيلة في الزرع" [7].

- **بنو فَزارة**: يُنسبون إلى فزارة بن ذُبْيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان من قيس[8]، " وكانت فزارة بنجد ووادي القرى، فلم يبق منهم بنجد أحدٌ ونزل جيرانهم من طيـّء مكانهم"[9]، وجاء في صفة جزيرة العرب: " أرض ُفزارة في الدهناء" [10].

- **بنو عُقيل**: ينسبون إلىعُقيل بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن [11]، و" كانت مساكنهم بالبحرين في كثير من قبائل العرب"[12]. ثم ذكر أنّ بني تغلب

---

[1] صفة جزيرة العرب: 323. وكانت حياة الهَمْداني بين سنتي 280 و344 هـ تقريباً.
[2] ينظر: صبح الأعشى: ج393/1، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج4 /476، واللهجات العربية في القراءات القرآنية: 31
[3] صبح الأعشى : ج1 /393 وعجالة المبتدي : 122.
[4] صفة جزيرة العرب : 120.
[5] صبح الأعشى: ج1 /399 وعجالة المبتدي : 73.
[6] صفة جزيرة العرب : 274، وينظر صبح الأعشى: ج1 /399 ففيه أنَّ منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر.
[7] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج4 /518.
[8] صبح الأعشى: ج1 /398، وعجالة المبتدي : 101.
[9] المصدر نفسه: ج1 /398.
[10] صفة جزيرة العرب: 325.
[11] صبح الأعشى: ج1 /395، وعجالة المبتدي : 93.
[12] المصدر نفسه: ج1 /395.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طردوهم من البحرين، فذهبوا إلى العراق، وملكوا الكوفة والجزيرة الفراتية إلى أن غلبهم عليها ملوك بني سلجوق، فعادوا إلى البحرين فوجدوا بني تغلب قد ضعف أمرهم فيها[1]. ولذا لانستغرب أن نجد الهَمْداني يذكر بني عُقيل في القبائل التي تسكن مدناً على شطّ الفرات[2]، فهو يشير إلى المرحلة التي انتقلوا فيها من البحرين إلى الجزيرة الفراتية، وإلى بقاياهم فيها.

11- كِنانة: تُنسب إلى كِنانة بن خُزَيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر[3]. وهي قبيلة كبيرة من القبائل العدنانية، ولها فروع خمسة هي[4]:

- مَلْكان
- عبد مناة ومن بطونه : غِفار وبنو بكر وبنو لَيْثِ وبنو الحارث وبنو مُدْلِج وبنوضَمْرة.
- عمرو بن كنانة.
- عامر بن كنانة.
- مالك بن كنانة.

وأما منازل كنانة فكانت" عند ظهور الإسلام في أطراف مكة بين هذيل وأسد بن خُزيمة"[5].

12 – بنو كِلاب : هي من القبائل العدنانية، تنسب إلى كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[6]. وهي من قبائل الحجاز ومن ديارهم ضَرِيَّة وغَمْر ذي كِنْدة الذي خلفوا عليه بعد إجلاء كِندة إلى حضرموت[7]، وذكر الهَمْداني بني كلاب فيمن تشاءم من العرب، فقال: " مَنْبِج مشتركة بينهم [أي كنانة كَلْب] وبين بني كِلاب إلى حدّ وادي بُطْنان "[8].

13- ربيعة: تُنسب إلى ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان [9]، وديارهم بالجزيرة الفراتيّة[10]، ومن قبائل ربيعة التي نسب العلماء بعض الاختلافات النحوية إليها كعب بن ربيعة. ومن قبائل ربيعة أيضاً التي نسب العلماء بعض الاختلافات إليها بكر بن وائل، وهم ينسبون إلى بكر بن وائل بن

---

[1] صبح الأعشى: ج1 /395 – 396.
[2] ينظر : صفة جزيرة العرب : 275.
[3] صبح الأعشى: ج1 /403، وعجالة المبتدي : 107.
[4] صُبح الأعشى: ج1 /403 –405، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ج4 /532.
[5] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ج4 /532.
[6] عجالة المبتدي : 107، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ج4 /520.
[7] صفة جزيرة العرب: 319.
[8] المصدر نفسه: 275.
[9] صبح الأعشى : ج390/1، وعجالة المبتدى: 64.
[10] صفة جزيرة العرب : 275، وصبح الأعشى: ج390/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار [1]، ومنازلهم " من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر فأطراف سواد العراق فالأُبُلَّة فهيت"[2]

وقال جواد علي في بكر بن وائل وانتقالهم من بلادهم إلى البحرين والعراق: "من القبائل الكبيرة التي كان لها شأن معروف عند ظهور الإسلام، وهي مثل القبائل العدنانية الأخرى من القبائل المهاجرة التي تركت ديارها القديمة على حد قول الأخباريين، وهي تهامة، على إثر الحروب الكثيرة المملّة التي وقعت بين العدنانيين، فهاجرت إلى اليمامة ثمّ إلى البحرين والعراق ."[3]

14 – أسد: ينسبون إلى أسد بن خُزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضر[4]. و"منازلهم مما يلي الكرْخ من أرض نجْد في مجاورة طيّىء"[5]، وقال الهَمْداني: " فإذا خرَجْتَ من تَيْماء قَصْدَ الكوفة ثانياً فأنت في ديار بُحْتُر من طيّىء إلى أن تقع في ديار بني أسد قبل الكوفة بخمس"[6]. ويُقال إنّ ديار طيّىء (جبَلَيْ أجأ وسَلْمى) كانت لبني أسد، فغلبهم عليها بنو طيّىء عندما قدموا من اليمن، وتفرّق بنو أسد في الأقطار[7].

وفي أسد بطون كثيرة خصّ العلماء بني فقعس من هذه البطون، فنسبوا بعض الاختلافات النحوية إليها.

15- تميم: تُنسب إلى تميم بن مُرّ بن أُدِّ بن طابخة بن إلْياس بن مُضر بن نزار بن معدّ بن عدنان[8]، وهي قبيلة كبيرة من أشهر قبائل نجد، ولذلك كان العلماء ينسبون إليها أو إلى نجد في مقابل أهل الحجاز، و" كانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة، وامتدّت إلى العُذَيْب من أرض الكوفة "[9] وقد بيّن الهَمْداني منازل تميم بعد أن عدّد مواضع باليمامة، فقال : " ثم ترجع إلى البحرين فالأحساء منازل ودور لبني تميم ثم لسعد من بني تميم"[10]، ووصف بلادهم بقوله : " بلاد بني تميم فيها النخيل والقرى والزروع والبئار"[11].

---

[1] عجالة المبتدي : 26، وينظر : صبح الأعشى: ج391/1.
[2] صفة جزيرة العرب : 219، ويُنظر: صبح الأعشى: ج391/1.
[3] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج500/4.
[4] عجالة المبتدي : 12، وينظر: صبح الأعشى: ج403/1.
[5] صبح الأعشى: ج403/1.
[6] صفة جزيرة العرب : 274.
[7] صبح الأعشى: ج403/1.
[8] عجالة المبتدي: 31، وصبح الأعشى: ج401/1.
[9] صبح الأعشى: ج401/1.
[10] صفة جزيرة العرب: 281.
[11] المصدر نفسه: 284.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اشتُهرت من تميم بطون كثيرة [1]، نسب العلماء بعض الاختلافات النحوية إلى عدد من هذه البطون وهي: بنو العَنْبَر، وبنو الهُجَيْم، وبنو سعد، وبنو يربوع، وبنو طُهَيَّة.

16- ضبَّة: هذه قبيلة شقيقة لقبيلة تميم، تُنسَب إلى ضبَّة بن أُدٍّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر [2]. و" كانت ديارهم بالناحية الشماليّة من نجد بجوار بني تميم ثم انتقلوا في الإسلام إلى العراق "[3].

ثانياً- لغات القبائل التي احتج النحاة بها :

قصر النحاةُ الاحتجاج على لغات قبائل معينة دون أُخرى، كما قصروا الاحتجاج على حقبة زمنية مُعيَّنة تنتهي في منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً، فأما القبائل التي أُخذت اللغة عنها، فقد نقل السيوطي عن أبي نصر الفارابي في كتابه (الحروف) قوله فيها: " والذين عنهم نُقلت اللغة العربية وبهم اقتُدي، وعنهم أُخِذ اللسانُ العربيّ من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد؛ فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثرُ ما أُخِذ ومعظمه، وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف؛ ثمَّ هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنّه لم يُؤخذ عن حضريٍّ قطّ، ولا عن سكان البراري ممّن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورةِ لسائر الأُمم الذين حولهم؛ فإنّه لم يؤخذ لا من لخْم، ولا من جذام؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقِبْط؛ ولا من قُضاعة، ولا من غسّان ولا من إياد؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم بغير العربية؛ ولا من تغلب ولا النمر[4]؛ فإنّهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط[5] والفرس؛ ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أزْد عُمان؛ لمخالطتهم للهند والفُرس؛ ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم؛ ولا من بني حنيفة وسكّان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف، لمخالطتهم تجّار الأمم المقيمين عندهم؛ ولا من حاضرة الحجاز، لأنّ الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطتهم غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم "[6].

---

[1] ينظر: صبح الأعشى: ج401/1، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج529/4، ولغة تميم: 18-25.
[2] عجالة المبتدي: 83، وصبح الأعشى: ج401/1.
[3] صبح الأعشى: ج401/1، وينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج523/4.
4 كُتبت في المزهر ج212/1: (ولا من تغلب واليمن) ولا يستقيم الكلام بذلك. (التصحيح من الاقتراح) .
5 كُتبت في المزهر ج212/1: (للقبط) . (التصحيح من الاقتراح) .
6 السيوطي: الاقتراح : 59 –60، وينظر : المزهر : ج211/1-212.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن تحديد هذه القبائل (قيس وتميم وأسد، وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين) في الأخذ عنها لم يكن على التحقيق والتأكيد، بل كان على التغليب، إذ احتَجّ بعض النحاة بشعر لشعراء من غير هذه القبائل التي حُدِّدت، وأخذ بعضهم عن أهل الحضر، كما قال الرياشي مفتخراً على الكوفيين: " إنما أخذنا نحن اللغة عن حرَشَة الضِباب وأكَلَةِ اليرابيع وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز"[1].

بل لقد اتّسعت دائرة اللهجات التي رفدت الفصحى لتشمل بعض لهجات الأطراف كجرم وأزد شنوءة[2]، وقد وُجّه كثير من النقد إلى منهج النحاة في تحديد قبائل للأخذ عنها وترك أخرى[3]، ومع أنّ بعض النحاة قد استشهد بلغات للقبائل التي ليست من القبائل المعيّنة، إلا أنّ الأمر الذي لا شك فيه هو أنّ كثيراً من لغات القبائل لم يُكتب لها أن تدخل في تقعيد العربية الفصيحة، كما أنها ضاعت ولم تصل إلينا بسبب ذلك.

ثالثاً- وجود لغات القبائل في القرآن الكريم :

اختلف العلماء [4] في ورود لغةٍ من لغات العرب غير لغة قريش في القرآن الكريم، وقد جاء هذا الاختلاف في تفسيرهم لحديث النبي – صلى الله عليه وسلّم- عن الأحرف السبعة، فبعض العلماء يذهب إلى وجود اللغات في القرآن، وبعضهم يرفض ذلك، ويرى أنَّ القرآن الكريم أُنزل كلُّه بلغة قريش، فجاء عن أبي صالح عن ابن عباس قال: " نزل القرآن على سبع لغات؛ منها خمس بلغة العجز من هوازن. قال: والعجُز: سعد بن بكر وجُشَم ابن بكر ونصر بن معاوية وثقيف؛ وهؤلاء كلُّهم من هوازن. ويُقال لهم: عُليا هوازن، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عُليا هوازن وسُفْلى تميم –يعني بني دارم "[5]. وقال أبو حاتم السجستاني: " نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد ابن بكر"[6].

فهذا بعضٌ مما جاء عن العلماء في وجود لغات القبائل في القرآن الكريم، وقد نقل السيوطي كثيراً من أقوال العلماء التي تؤيد ذلك. [1] و يقابل هذا المذهب الذي يرى فيه العلماء وجود لغات القبائل في القرآن، رأيٌ لعلماء آخرين يرون أن القرآن الكريم إنما أُنزل بلغة قريش

---

[1] أخبار النحويين البصريين : 99.
[2] بحث (حول حقيقة العربية الفُصحى) للدكتور عبد الحميد الأقطش. (أُرسل إلى مجلة أفكار –وزارة الثقافة)
[3] ينظر: رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية : 105 –107.
4 ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: ج1/135-136، و ج2/89-104.
5 المصدر نفسه : ج1/135، وينظر: لسان العرب : مادة (حرف) .
6 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحدها، ولا يجوز أن نقول بوجود اللغات فيه، فقال ابن قتيبة: " إنّ القرآن لم ينزل إلا بلغة قريش، لقوله تعالى: ﴿وَمَاأَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[2] "[3].

وقد مال بعض العلماء إلى التوفيق بين المذهبين، فقال الشيخ جمال الدين بن مالك: " أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلا، فإنه نزل بلغة التميميين كالإدغام في﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ﴾ [4] وفي ﴿وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ﴾ [5]؛ فإنّ إدغام المجزوم لغة تميم؛ ولهذا قلَّ. والفكُّ لغة الحجاز؛ ولهذا كَثُر. نحو﴿وَلْيُمْلِلْ﴾ [6]، ﴿يُحْبِبْكُم اللهُ﴾[7]، ﴿اشْدُدْ بِهِ أزْرِي﴾[8]، ﴿وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيهِ غَضَبِي﴾[9] " [10].

وهذا البحث يُرجِّح الرأي الأوّل الذي يقول بوجود اللغات في القرآن؛ لأنّ الآية الكريمة التي احتج بها ابن قتيبة في النصِّ السابق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[11] لا تدلُّ على قريش وحدها، فالعرب قوم النبي عليه الصلاة والسلام، و في هذه الآية قراءة هي: ﴿بِلُسُنِ قومه ﴾[12]. وأُضيفُ أنّ الآية التي تلت هذه الآية التي احتجَّ بها ابنُ قتيبة هي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوْسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللِه﴾[13]. فليس المراد بالقوم في هذه الآية تخصيص عشيرة موسى عليه السلام أو آل بيته بالأمر دون غيرهم، بل المراد بنو إسرائيل عامّة، والله أعلم.

ويترجّح الرأي الأوّل كذلك لِما ثبت عند العلماء من وجود لغات القبائل في القرآن الكريم، وأيّد هذا الرأي الباحثون المحدثون، فإبراهيم السامرائي يقول: " اللغات التي وردت في القرآن الكريم تكاد تكون جملة لغات العرب ..... وقول الكثيرين: إنّ القرآن نزل بلغة قريش، غير سديد، والذي وقع في كلام الله – تبارك اسمه – ينفي هذا الزعم "[14].

---

1 الإتقان في علوم القرآن : ج2/89-104.
2 إبراهيم، 4.
3 الزركشي: البرهان في علوم القرآن : ج1/277.
4 الأنفال، 13.
5 المائدة، 54.
6 البقرة، 282.
7 آل عمران، 31.
8 طه، 31.
9 طه، 81.
10 الإتقان في علوم القرآن: ج2/103.
11 إبراهيم، 4.
12 البحر المحيط: ج5/394.
13 إبراهيم، 5.
14 من سعة العربية : 154.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و مع تأييدي لهذا الرأي فإنّني أقيِّدُه بوجود اللغات في القرآن في إطار اللغة المشتركة[1] التي تشكلت من مجموع لغات القبائل العربية، فلغة القبيلة قد تَخْتَصُّ باستعمال معين، قُيِّض لهذا الاستعمال أن يكون واحداً من استعمالات اللغة المشتركة، ثمّ لمّا نزل القرآن الكريم جاء بهذا الاستعمال، فلا ضير في أن ينسُب اللغويُّ بعد ذلك هذا الاستعمال إلى اللغة التي أخذته اللغة المشتركة منها. وأمثّل على ذلك بما عُرف بـ (لغة أكلوني البراغيث) ، فهو استعمال لقبائل معينة دون غيرها، ثم دخل العربية المشتركة، فكان له حظٌّ بوروده في لغة القرآن الكريم، كما سيأتي في هذا البحث إن شاء الله.

1 ينظر: عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام : 222-224.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً- اختلاف لغات القبائل في مجال التراكيب النحويَّة، وجوده ومسوِّغ دراسته:

أكثرت الأبحاث والمؤلفات التي تناولت اللهجات العربية من الحديث عن الاختلافات بين لغات القبائل العربية في الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية، أما جانب الاختلاف في التراكيب النحويّة، فلم ينل إلا جُزءاً ضئيلاً من هذه الأبحاث، وكانت العبارة التي تتكرّرُ عند كثير ممّن ألّفوا في اللهجات، هي أنّ التراكيب النحوية في كُلِّ اللغات بطيئة التطوُّر قليلة الاختلاف[1].

وقد بدا ابن جني مقلّلاً من شأن الاختلافات النحويَّة في قوله: " فإن قُلْت: زعمْتَ أنَّ العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها، وقد نراها ظاهرة الخلاف؛ ألا ترى إلى الخلاف في (ما) الحجازيّة والتميميّة، وإلى الحكاية في الاستفهام عن الأعلام في الحجازية، وتُرك ذلك في التميمية، إلى غير ذلك، قيل: هذا القدْر من الخلاف لقلّته ونَزارته مُحتقرٌ غير مُحتفلٍ به، ولامَعيجٍ عليه، وإنما هو في شيءٍ من الفروع يسير، فأمّا الأصول وما عليه العامّة والجمهور، فلا خلاف فيه ولا مذهب للطاعن به"[2].

وكلام ابن جني في هذا النص صحيح من جهة أن الاختلافات النحوية في الأصول نزرةٌ قليلة، ولكنها ليست قليلة ولا نزرة في الفروع، ولو كانت

1 ينظر : علي عبد الواحد وافي : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل : 117، و غالب المطلبي : لهجة تميم : 225.
2 الخصائص : ج1/243-244.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك لما أشار إليها العلماء الذين ألّفوا في إعراب القرآن ومعانيه بهذا القدر الذي سيتضح في البحث، بل هي اختلافات بلغت من الكثرة حدّاً يُشير إلى أنّ المُعوّل في احتقارها وعدم الاحتفال بها مرجعُه معياريّةُ النحاة، وإهمالُهم الجوانب اللهجيّة في الاختلافات النحويّة، وليس المرجع فيه قلّتَه و نزارته كما قال ابن جنّي.

ويبدو تحامُل ابن جني واضحاً على من يقول بكثرة الاختلافات النحوية، فيتابع بعد النصِّ السابق بقوله: " ومع هذا فليس شيء مما يختلفون فيه – على قلّته وخِفَّتِهِ – إلا له من القياس وجهٌ يؤخذ به. ولو كانت هذه اللغة حشواً مكيلاً، وحثواً مهيلاً، لكثُر خِلافُها وتعادَت أوصافها : فجاء عنهم جرُّ الفاعل، ورفع المضافِ إليه والمفعول به، والجزم بحروف النصب، والنصب بحروف الجزم "[1].

وإلا يكن متحاملا، فماذا يقول في رفع المفعول به في قول الشاعر: (قد بلغت في المجد غايتاها) التي سترد قضيتها في البحث ؟ وماذا يقول في قراءة: ﴿ألم نشرحَ لك صدرك﴾ التي سترد أيضاً؟

ومع وضوح هذه الاختلافات ووجودها في جانب الفروع، في الأكثر الغالب، إلا أنّ هذا البحث لم يحتفل بها، ولم يُقِم الدراسة عليها لتكون مطعناً في اللغة العربية كما أشار ابن جني، وإنما كانت هذه الدراسة من أجل " الوقوف على تاريخ اللهجات العربية القديمة والفصحى بشكلٍ عام، فتتكشّف لنا بذلك مسائل غامضة في تاريخ العربية، ومسائل أخرى عن مستقبل اللغة في ضوء ذلك الربط بين ماضي لهجاتنا ..... فيُفاد من هذا بمقدار، ولا يُتجاوز فيه لتحقيق مآرب سلبيّة "[2].

فدراسة الاختلافات في هذه الفروع ستساعد في فهم حركية اللغة في ماضيها، وما يمكن أن تكون عليه في مستقبلها؛ فالاختلاف أمارةٌ على ظاهرةٍ لغوية قد وُجدت، وقد يصبح معياراً لظاهرة ربما يثبت حضورها في مستقبل اللغة.

ولم يقتصر التقليل من شأن الاختلافات النحوية على ابن جني، فقد نقل السيوطي [3] كثيراً من لغات القبائل التي وردت في القرآن وكان جُلُّ الاختلافات في الجانب المعجمي، ولم يرد من

1 الخصائص : ج244/1.
2 إسماعيل عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية : 128.
3 الإتقان في علوم القرآن : ج89/2-104.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاختلافات النحوية في الأمثلة التي نقلها إلا اختلاف الحجازيين والتميميين في إعمال (ما) وإهمالها.

وكذلك كتب اللهجات عند المحدثين، فقد وقف إبراهيم أنيس عند الاختلافات التي تتعلّقُ بالإعراب في صحيفتين من كتابه [1]، ذكر فيهما ثماني قضايا نحوية، ثم استخلص " أنّ هذا النوع من الاختلاف الإعرابي لا يمتّ للّهجات العربية بصلة، وإنما هو من صناعة النحاة حين اشتدّ الجدل بينهم وحاول كلٌّ فريق أن يأتي بجديد في تلك القواعد الإعرابية التي ملكت عليهم مشاعرهم، وصرفتهم عن كثير من البحوث القيّمة في اللغة. فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلتزم الإعراب على الصورة التي رُويت لنا في كتب النحاة "[2].

والشاهد هنا إقلالُ أنيس من شأن الاختلافات النحوية، وأما ما استخلصه في هذا النصّ فهو يريد أن يثبت به النظريّة التي تبنّاها في كتابه (من أسرار اللغة) [3] التي يذهب فيها إلى أنّ الإعراب من صُنع النحاة، وأنّه لم يكن يوماً شائعاً على ألسنة الناس، وإنما هو موجود في اللغة الأدبية حسب، وستأتي مناقشة رأيه هذا في أثناء البحث.

وبالجملة فإنَّ الكتب التي أُلّفت في اللهجات العربية[4] واطلعتُ عليها كانت تقتصر على الإشارة إلى اختلافات نحوية في قضايا مشهورة في كتب النحو، ولم أجد دراسة في الاختلافات النحوية بين لهجات القبائل، وهذا لا يعني أنّ هذا البحث يدعي استيفاء كُلِّ الاختلافات النحوية، فهو أولاً كغيره من أعمال البشر يستولي عليه النقص، وهو ثانياً يقتصر على الاختلافات النحوية التي وردت الإشارة إليها في كتب إعراب القرآن ومعانيه.

1 في اللهجات العربية : 82-83.
2 المصدر نفسه : 84.
3 في الصفحات: 183-258.
4 ينظر على سبيل التمثيل : أحمد علم الدين الجندي : اللهجات العربية في التراث، وعبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية، وأحمد الفخراني : اللهجات العربية في روايات غريب الحديث والأثر، وضاحي عبد الباقي : لغة تميم، وغالب المطلبي : لهجة تميم، وعبد المجيد عابدين : من أصول اللهجات العربية في السودان، وعبد الرحمن أيوب : العربية ولهجاتها، وعبد الحميد أبو سكين : معالم اللهجات العربية، وحسام سعيد النعيمي : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً- تعريف بالكتب التي هي مصادر للدراسة، ومدى عناية أصحابها بلغات القبائل :

يقوم هذا البحث على استخراج الاختلافات النحوية في لغات القبائل من كتب خمسة هي: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفرّاء، ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحّاس.

ويجمع هذه الكتبَ الخمسة أنّها أُلّفت في القرنين الثاني والثالث الهجريّين، وأنّها تُعدُّ مصادر لمعرفة لغات القبائل العربية بما ذكره العلماء فيها من هذه اللغات التي تفرّقت في مصادر اللغة والأدب والتاريخ والأنساب وغيرها من المصنّفات.

وسأُقدِّم هنا تعريفاً موجزاً بكل واحد من هذه الكتب الخمسة، مُضمِّناً هذا التعريف عناية كلِّ مؤلِّف بلغات القبائل.

1- مجاز القرآن [1]:

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى، توفي بين (208و211هـ) [2]، أخذ عن العلماء المتقدمين كأبي عمرو بن العلاء، والأخفش الأكبر، وعيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، وسمع من فصحاء الأعراب كأبي سوَّار الغنَويّ، وأبي محمد عبد الله بن سعيد الأموي، وأبي عمرو الهُذَليّ، ومُنْتَجِع بن نَبْهان العَدَويّ، وأبي مَنِيع الكُلَيبيّ، ورُؤْبَة ابن العَجّاج [3].

ومما يُشير إلى سماعه عن العلماء المتقدّمين قوله في تفسير الآية: ﴿إنّ هذان لسَاحِرَان﴾[4] : " قال أبو عمرو وعيسى ويونس: ﴿إنَّ هذين لَسَاحِرَان﴾ في اللفظ، وكُتب (هذان) كما يزيدون ويُنقِصون في الكتاب، واللفظ صواب. وزعم أبو الخطّاب أنّه سمع قوماً من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب "[5].

وممّا ورد من سماعه عن الأعراب قوله: " بعض العرب يُظهرون كناية الاسم في آخر الفعل مع إظهار الاسم الذي بعد الفعل كقول أبي عمرو الهذلي: (أكلوني البراغيث) "[6]. وقوله: "

---

1 تحقيق : محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي – مصر، ط1، 1954 م.
2 أخبار النحويين البصريين : 83، ومراتب النحويين : 46.
3 ينظر: مقدمة المحقق : ج1/11-13.
4 طه، 63.
5 مجاز القرآن: ج2/21.
6 المصدر نفسه: ج1/174.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسأل يونس رؤبة عن قول الله تعالى﴿مَا بَعُوْضَةً﴾[1]، فرفعها، وبنو تميم يُعملون آخر الفعلين والأداتين في الاسم، وأنشد رؤبة بيت النابغة مرفوعاً[2] :

قالت ألا ليت ما هذا الحمامُ لنا إلى حمامتِنا ونصفُه فَقدِ "[3].

فيكون أبو عبيدة قد سمع من العلماء الذين أخذوا اللغة عن الأعراب، كما سمع اللغات من أهلها واستشهد بها في كتابه، فنسب شيئاً منها، ولم ينسب شيئاً آخر، كغيره من العلماء، فمما نسبه قوله: " وبنو تميم يُعمِلون آخر الفعلين والأداتين في الاسم"[4]، ومما لم ينسبه قوله في تفسير الآية: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيْئَةً أَوْ إِثْمَاً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيْئَاً﴾[5]: " وقع اللفظ على الإثم فذكّره، هذا في لغة من خبَّر عن آخر الكلمتين "[6].

2– معاني القرآن للفرَّاء [7]:

مؤلّف هذا الكتاب هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت 207 هـ) ، وهو إمام الكوفة في النحو واللغة وتلميذ الكسائي العالم المعروف[8]. وكتابه عظيم الفائدة أملاه في آخر حياته، أي بعد أن نضج علمه[9]، وقد وضع فيه الفراء كثيراً من آرائه النحوية وضمّنه معرفته بعلوم القرآن والقراءات، وكان في كل ذلك ينتقي بعض الآيات وليست آيات القرآن الكريم كلها.

وأما لغات القبائل العربية، فقد أثبت هذا الكتاب أنّ الفرّاء عالم له مكانة عالية، وباع طويل في لغات العرب، إذ ذكر لغات كثيرة في كتابه ولكن لم يكن له منهج مُحدَّد في ذكره للغات، فمنها ما نسبه كقوله: " وقد تُسقِط العرب الواو وهي واو جِماع، اكتُفي بالضمّة قبلها فقالوا في ضربوا: قد ضربُ، وفي قالوا: قد قالُ ذلك، وهي في هوازن وعُليا قيس "[10].

---

1 البقرة، 26.
2 ديوان النابغة: 85.
3 مجاز القرآن: ج35/1.
4 المصدر نفسه: ج35/1.
5 النساء، 112.
6 مجاز القرآن: ج139/1.
7 حقق الجزء الأول : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، وحقق الجزء الثاني : محمد علي النجار، وحقق الجزء الثالث : عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار السرور، د. ت.
8 مراتب النحويين: 105.
9 معاني القرآن: ج1/1، فقد نص راوي الكتاب في بدايته على أن الفراء أملى عليهم كتابه فيما بين سنتي 202و204هـ .
10 ج91/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن اللغات ما كان يذكره دون نسبة، كقوله: " من العرب من يجزم بـ (إذا) ، فيقول: إذا تقم أقم"[1].

وقد يُوضِّح الفراء بعض المسائل المتعلّقة بلغات القبائل، ووجودها في القرآن كما جاء في قوله: " فالقرآن يأتي باللغتين المختلفتين، ألا ترى قوله: ﴿تُمْلَى عَلَيْهِ﴾[2]، وهو في موضع آخر: ﴿فَلْيَكْتُب وَلْيُمْلِلِ﴾[3]، ولم تُحمل إحداهما على الأخرى فتتّفقا "[4].

وقد حظي كتاب معاني القرآن للفرّاء بدراسة للهجات العربية فيه[5]، وهي دراسةٌ مفيدة من حيث استيفاء المادة اللهجية في الكتاب، غير أنّ المسائل النحوية التي أفرد الباحث لها الباب الثالث من كتابه قد جاءت مبثوثةً لم يُصنّفها في أبواب النحو العربي، ولم ينتظمها تنظيم مُعيَّن، وكذلك فإنّ الباحث قد أدخل في القضايا النحويّة ما ليس منها مثل (قضية وضع الرجاء موضع الخوف) [6] فقال: " لقد أشار الفراء إلى أن وضع الرجاء موضع الخوف لغة تهاميّة فقال: (وقوله: ﴿لا يَرْجُوْنَ لِقَاءَنَا﴾[7]، لا يخافون وهي لغة تهامية يضعون الرجاء موضع الخوف إذا كان معه جحد) [8] "[9]، ولا يبدو أنّ لهذه القضيّة علاقةً بالمسائل النحوية، وإنما هي من القضايا المعجميّة (الدلاليّة) التي أفرد الباحث الباب الرابع من كتابه لها.

---

1 ج158/3.
2 الفرقان، 5.
3 البقرة، 282.
4 معاني القرآن : ج74/3.
5 صبحي عبدالحميد: اللهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء.
6 اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء : 379.
7 الفرقان، 21.
8 معاني القرآن : ج265/2.
9 اللهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء : 379

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3- معاني القرآن للأخفش[1]:

مؤلف هذا الكتاب هو الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (ت 210هـ) [2]. يقوم منهجه في هذا الكتاب على انتقاء آيات من الذكر الحكيم وتفسيرها، وقد تأثر بكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة تأثراً بيّنا، كما أثر كتابه في كتاب معاني القرآن للفرّاء، فالأخفش والفرّاء، وإن كانا متعاصرين، إلا أن كتاب الأخفش قد أُلف بعد سنة 179هـ بقليل[3] وكتاب الفراء أُلف بين عامي202 و204هـ، وبهذا يكون الأخفش سابقاً للفراء في تأليف معاني القرآن بحوالي عشرين سنة.

وقد استعان الأخفش في مواضع كثيرة من كتابه بلغات القبائل العربية، يعيّنُ اسم القبيلة حيناً، ولا يعينه أحياناً، فممّا عيّن فيه اسم القبيلة قوله: " وناسٌ من بني تميم يقولون: ﴿ مَثلاً مَا بَعُوْضَةٌ﴾، يجعلون (ما) بمنزلة (الذي) ، ويضمرون (هو) ، كأنهم قالوا: (لايستحي أن يضرب مثلاً الذي هو بعوضةٌ) "[4]. ومما لم يعين فيه القبيلة قولُه في نصب المصدر (ويلٌ لزيد) : " وقد ينصبه قوم على ضمير الفعل، وهو قياس حسن، فيقولون: ويلاً لزيد، ووَيحاً لزيد"[5]، ومما جمع فيه بين تعيين القبيلة وعدم تعيينها قوله في تفسير الآية ﴿إنّ هذانِ لَسَاحِرَان﴾[6]: " خفيفة في معنى الثقيلة، وهي لغة لقوم يرفعون، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى (ما) ، ونقرؤها ثقيلة، وهي لغة لبني الحارث بن كعب "[7].

ومن القبائل التي نسب إليها الأخفش في كتابه [8] : أزد الشراة، وأسد، وبكر بن وائل، وتميم، وبنو الحارث بن كعب، وبنو العنبر، وبنو قشير. وأما اللغات التي ذكرها الأخفش ولم ينسبها فهي كثيرة، ومبثوثة في ثنايا كتابه.

---

[1] تحقيق: فائز فارس، الكويت، ط2، 1981م.
2 أخبار النحويين البصريين : 66، ومراتب النحويين: 68.
3 معاني القرآن للأخفش: تحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد : ج1/89 (مقدمة المحقق) . وقد ذكر المحقق عدداً كبيراً من مواضع تأثير (مجاز أبي عبيدة) في (معاني الأخفش) ومن تاثير (معاني الأخفش) في (معاني الفراء) .
4 معاني القرآن : ج1/53.
5 المصدر نفسه : ج1/118.
6 طه، 63.
7 معاني القرآن: ج2/ 408.
8 أحصى عبد الأمير الورد في تحقيقه لكتاب الأخفش لغات القبائل التي ذكرها في كتابه، ينظر : مقدمة المحقق : 29-30.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4- معاني القرآن وإعرابه[1]:

مؤلف هذا الكتاب هو أبو إسحاق إبراهيم بن السّريّ بن سهل الزجّاج (ت311 هـ) ألف كتابه في أواخر القرن الثالث الهجري (285-300هـ) [2]. والإعراب عند الزجّاج قسيم للمعنى، يتضح ذلك في اسم الكتاب (معاني القرآن وإعرابه) وقد صرّح بهذا كذلك في قوله: " وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير، لأنّ كتاب الله ينبغي أن يُتبيّن ألا ترى أن الله يقول: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُوْنَ القُرْآن﴾[3]، فحُضِنْنا على التدبّر والنظر، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة، أو ما يُوافق نقلة أهل العلم"[4].

وأما عناية الزجّاج بلغات العرب فهي واضحة في كتابه، فهو قد يحتج باللغة لتوجيه قراءة من القراءات، وقد يُشَكِّكُ في القراءة وهي على لغة من لغات العرب، فمما احتج به من اللغات لتوجيه قراءة قوله في تفسير الآية: ﴿إنّ هذانِ لَسَاحِرَان﴾[5]: " وأما الاحتجاج في إنّ هذان بتشديد (إنّ) ورفع هذان، فحكى أبو عبيدة عن أبي الخطّاب وهو رأس من رؤساء الرواة، أنّها لغةٌ لكنانة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد ..... وكذلك روى أهل الكوفة أنّها لغة لبني الحارث بن كعب "[6].

ومن شكّه في القراءة، وهي على لغة من لغات العرب، وقولِه إن أحداً لم يقرأ بها، قولُه في تفسير الآية: ﴿ما هذا بَشَراً﴾ [7]: " وزعم بعضهم أنّ الرفع في قولك: (ما هذا بشراً) أقوى الوجهين، وهذا غلط، لأن كتاب الله ولغة رسول الله أقوى الأشياء وأقوى اللغات. ولغة بني تميم: ما هذا بشرٌ. ولا تجوز القراءة بها إلا برواية صحيحة. والدليل على ذلك إجماعهم على: ﴿مَا هُنَّ أُمّهاتِهِم﴾[8] وما قرأ أحد﴿ما هُنَّ أُمّهاتُهُم﴾ "[9]. وقد وردت القراءة برفع (أُمهاتُهُم) ، فقال أبو حيّان: " قرأ الجمهور (أمَّهاتِهِم) بالنصب على لغة الحجاز، والمفضّل عن عاصم بالرفع على لغة تميم"[10]، فلا مسوِّغ لردِّ قراءة الرفع.

---

[1] تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب-بيروت، ط1، 1988م.
2 ينظر : مقدمة تحقيق الكتاب : ج21/1.
3 النساء، 82، والقتال، 24.
4 معاني القرآن وإعرابه : ج185/1.
5 طه، 63.
6 معاني القرآن وإعرابه : ج361/3.
7 يوسف، 31.
8 المجادلة، 2.
9 معاني القرآن وإعرابه : ج3/ 108.
10 البحر المحيط : ج231/8.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يستند الزجّاج على لغة للعرب، فيُرجّحها على رأي النحاة، خاصّة إذا كانت القراءة بها، كقوله في تفسير الآية: ﴿ يَوْمَ يَأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بِإِذْنِهِ﴾[1]: " الذي يختاره النحويون: يوم يأتي لا تكلّم نفس إلا بإذنه. بإثبات الياء، والذي في المصحف وعليه القرّاء القراءات [كذا] بكسر التاء من غير ياء. وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيراً، وقد ذكر سيبويه والخليل أن العرب تقول: (لا أدْرِ) فتحذف الياء وتجتزئ بالكسر، إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. والأجود في النحو إثبات الياء، والذي أراه اتباع المصحف مع إجماع القرّاء، لأن القراءة سنة، وقد جاء مثله في كلام العرب "[2].

والزجّاج وإن لم يكن سامعاً للغة عن الأعراب، إلا أنه ينقل في كتابه عن العلماء كسيبويه والخليل ويونس وأبي عبيدة وأبي عمرو والفراء والأخفش وغيرهم ممن سمع لغات العرب من أهلها، فيكون كتابه بهذا مصدراً من مصادر لغات القبائل العربية.

5- إعراب القرآن [3]:

مؤلف هذا الكتاب هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، نحوي مصري. توفي سنة (338هـ) [4]. تأتي أهمية هذا الكتاب من كونه أول كتاب في إعراب القرآن يصل إلينا وهو يحمل مادة علمية غزيرة، وصفه النحاس عندما حدّد منهجه بقوله: " هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله إعراب القرآن، والقراءات التي تحتاج أن يُبيَّن إعرابها والعِلل فيها ولا أُخليه من اختلاف النحويين، وما يُحتاجُ إليه من المعاني وما أجازه بعضُهم ومنعه بعضُهم وزيادات في المعاني وشرح لها، ومن الجموع واللغات، وسوق كلِّ لغة إلى أصحابها"[5].

وأما توظيف النحاس للغات القبائل في كتابه، واستعانته بها في توضيح إعراب القرآن، فقد ذكر النحاس في النصّ السابق أنّه يسوق كلَّ لغة إلى أصحابها، ولكنّه في الواقع ينسب اللغات التي نسبها العلماء قبله، كقوله في إعراب الآية: ﴿ إنَّ هذانِ لَسَاحِرَانِ﴾[6]: " قال أبو زيد والكسائي والأخفش والفرّاء: هذا على لغة بني الحارث بن كعب، قال الفرّاء: يقولون: رأيت الزيدان،

1 هود، 105.
2 معاني القرآن وإعرابه : ج77/3.
3 تحقيق: زهير غازي زاهد، مطبعة العاني-بغداد، 1977م. (رسالة دكتوراه) .
4 بغية الوعاة : ج362/1، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : 81 و 84.
5 إعراب القرآن : ج115/1.
6 طه، 63.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـررتُ بالزيـدان، ..... وحكـى أبـو الخطّـاب أن هـذه لغـة بنـي كنانـة "[1]. وقولـه: " وحكـى البصريون والكوفيون: ما زيدٌ مُنطلقٌ بالرفع، وحكى البصريون أنها لغة بني تميم، ... وحكى الكسائي أنها لغة تهامة ونجد "[2].

وأما كثير من اللغات فقد جاءت عند النحاس غير منسوبة، كقوله في إعراب الآية﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِيْنَ قَالُوا إنَّ اللهَ فَقِيْرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾[3]: " كُسِرت (إنَّ) لأنها حكاية، وبعض العرب يفتح "[4]. وقوله في إعراب الآية: ﴿ يَرْجِعُ بَعْضُهُم إلى بَعْضٍ القَوْلَ﴾[5]: " أي يُجاوبه، واللغة الفصيحة هذه، يُقال: رَجَعْتُ زيداً "[6].

ولم يُذكر أنَّ النّحاس سمع لغات القبائل عن الأعراب، وإنّما تتمثّل أهميّة كتابه في أنه نقل عن علماء كثيرين بصريين وكوفيين، فكان كتابُه وعاءً لكثير من لغات القبائل التي وردت عند العلماء المتقدمين كسيبويه والخليل والكسائي والأخفش والفرّاء وغيرهم [7].

1 إعراب القرآن : ج345/2.
2 المصدر نفسه : ج140/2.
3 آل عمران، 181.
4 إعراب القرآن : ج1 / 381.
5 سبأ، 31.
6 إعراب القرآن : ج2/ 674.
7 ينظر : مقدمة المحقق : ج1/ 37-58.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

قضايا التركيب (الإسناد ومتعلقاته)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتناول هذا الفصل الاختلافات النحوية بين لغات القبائل في الإسناد ومتعلقاته، ويشير جمع هذه القضايا ودراستها إلى أنّ الاختلافات النحوية قد تقع في باب إسناد الفعل إلى فاعله، وإسناد الخبر إلى المبتدأ، وهي، وإن مسّت الأصول مسّاً خفيفاً كالإسناد إلى ضمير واسم ظاهر في آن، تظلُّ في جملتها دائرةً في إطار الفروع من جهة أنها اختلافات لاتؤثر في جوهر الإسناد، وإنما تقع في جانبه الشكلي حسب، كأنْ يُرفع ما بعد ضمير الفصل خبراً له في لغة للعرب، أو أن يُهمل ويكون ما بعده خبراً لما قبله في لغة أخرى، وفي كلتا الحالتين لم يتأثر جوهر الإسناد وإنما تغيرت صورة الجملة بهذا الاختلاف.

ولعل الأمر في قضايا متعلقات الإسناد لايختلف عنه في قضايا الإسناد، فما جرُّ تمييز (كم) الخبرية مثلاً أو نصبُه بمؤثر في المعنى الذي يريده المتكلم من (كم) في الجملة، وكذلك جميع قضايا هذا الباب، يمكن أن نقف من خلالها على جوانب من اختلافات لغات القبائل في باب الإسناد ومتعلقاته، لم تؤثر هذه الاختلافات على جوهر النحو العربي الذي يربط بين هذه اللغات، وهي مع ذلك اختلافات موجودة لايمكن تجاهلها أوالتقليل من شأنها، يمكن أن تساعد في فهم جوانب خفية من الإسناد ومتعلقاته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول - قضايا الإسناد :

1- إلحاق ضمير التثنية أو الجمع بالفعل، مع كون الفاعل اسماً ظاهراً :

ذُكرت هذه اللغة في كتب إعراب القرآن ومعانيه، فأبو عبيدة يقول : "بعض العرب يُظهرون كناية الاسم في آخر الفعل مع إظهار الاسم الذي بعد الفعل كقول أبي عمرو الهُذلي: (أكلوني البراغيثُ) "[1].

ومثل ذلك أشار الفرّاء 2 إلى هذه اللغة، ولكنه لم ينسبها إلى قبيلة معينة، بل قال: " وهذا لمن قال: (قاموا قومُك) "3 وساق عليها قول الشاعر شاهداً 4:

يلومونني في اشتراء النخيـــ ـــلِ أهلي فكُلُّهم ألْوَمُ

وكذلك الأخفش [5] لم ينسب هذه اللغة، وساق عليها قول الشاعر شاهداً [6] :

ولكن ديافيٌ أبوهُ وأُمُّهُ بحَوْرانَ يعْصِرْنَ السَّليطَ أقاربُهْ

وأمّا أبو جعفر النحّاس فقد لخّص آراء النحاة في هذه الضمائر التي تلحق الفعل المسند للاسم الظاهر، فقال في إعراب قوله تعالى : ﴿ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيْرٌ مِنْهُمْ﴾ [7] : "ولم يقُلْ : عميَ وصَمَّ والفعل متقدِّم، ففي هذا أجوبة منها: أن يكون (كثير منهم) بدلاً من الواو، قال الأخفش سعيد: كما تقول: رأيتُ قومَكَ ثُلثَيْهم، وإن شِئتَ كانت على إضمار مبتدأ، أي العُميُ والصُمُّ منهم كثير، وجواب رابع يكون على لغة من قال: أكلوني البراغيث. قال الأخفش : يجوز أن يكون هذا منها وأنشد:(ولكن ديافِيٌ.....البيت) "[8].

---

1 مجاز القرآن: ج174/1، ويُنظر : ج34/2.
2 معاني القرآن : ج316/1، و ج2 / 120، و 198.
3 المصدر نفسه: ج316/1.
4 يُنظر : شرح الأشموني : ج170/1، وشرح ابن يعيش : ج3/ 87 و ج7/7، ومغني اللبيب : ج2/ 365، وشرح ابن عقيل : ج391/1. وقد نسب عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية (ص 358) هذا البيت إلى أمية بن أبي الصلت، ولكنه قال إنّ البيت ليس في ديوانه، ونسبه محققا الجزء الثاني من معاني الفرّاء إلى أُحيْحة بن الجلاح، وقال محقق شرح ابن عقيل محمد محيي الدين عبد الحميد : (هذا البيت من الشواهد التي لم يعينوا قائلها) .
5 معاني القرآن : ج262/1، و: ج2/ 410.
6 البيت للفرزدق : ديوانه : 44، ويُنظر : الكتاب : ج40/2، وشرح ابن يعيش : ج89/3 و ج7/7.
7 المائدة، 71.
8 إعراب القرآن : ج511/1، ويُنظر: ج366/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عدّ سيبويه هذا الضمير اللاحق للفعل علامة على الجمع كما تلحق التاء الفعل المسند للمؤنث فتدل على التأنيث. فقال : " واعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومُك، وضربني أخواك، فشبَّهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في (قالت فلانة) وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة "[1]. وتابع النحاةُ سيبويه في عدِّ الضمير اللاحق للفعل المسند للفاعل الظاهر علامة على التثنية أو الجمع، كما أنّ التاء في الفعل المسند للفاعل المؤنث علامة على التأنيث، وكان هذا التوجيه واحداً من تأويلات النحاة لهذا الضمير، ثم ذكروا أن الضمير قد يكون هو الفاعل، ويكون الاسم الظاهر بعده بدلاً منه أو مبتدأ مؤخراً[2].

وسأتناول هذه الظاهرة اللهجيّة من جانبين مترابطين :

الأول – القبائل التي نُسِبت إليها الظاهرة . والثاني – مدى شيوع هذه الظاهرة أو قلّتها كما ذكر سيبويه في نصِّه السابق، وكما جاء في شرح ابن عقيل من قوله : " وهذه اللغة القليلة هي التي يُعبِّر عنها النحويون بلغة (أكلوني البراغيث) "[3].

فأما القبائل التي نُسِبت إليها الظاهرة عند القدماء، فهي بنو الحارث بن كعب، وأزد شنوءة، وطيّىء [4]. ويبدو أنَّ تحديد هذه القبائل بأعيانها دون غيرها لم يأتِ عبثاً، وهو تحديد قد يكون مظنّة الطعن كذلك.

فأما أنّ التحديد لم يأتِ عبثاً، فلأنّ بني الحارث بن كعب، وأزد شنوءة قبيلتان متجاورتان من قبائل اليمن. وتجاوُرُهما مع سماع هذه اللغة من أبنائهما يجعل نسبة الظاهرة اللغوية إليهما أمراً صحيحاً ومُقْنِعاً، وأما النسبة إلى طيىء فإني أؤيِّد في مُسوِّغها ما ذهب إليه عبد الحميد الأقطش من" أنَّ ذِكر مُسمّى لغة طيىء على أنها موطن للغة (أكلوني البراغيث) إنّما تولّد من حقيقة إكثار أبي تمام من تلك اللغة في شعره، وهو ينتمي إلى طيىء "[5]. ويؤكد ذلك ما التفت إليه الأقطش من أن ذكر قبيلة طيىء مع هذه اللغة قد بدأ متأخراً عند ابن هشام الأنصاري (761 هـ) [1]. وإذا كان الأمر على هذه الحال في نسبة الظاهرة إلى طيىء، فإننا نستطيع أن ننسبها إلى قبائل أخرى كثيرة وردت اللغة على ألسنة شعراء من أبنائها، كالمتنبي والبحتري وأبي فراس والشريف الرضي، وغيرهم.

---

1 الكتاب: ج40/2.
2 يُنظر : شرح ابن عقيل: ج1/ 389 -394، ومغني اللبيب ج365/2-366.
3 شرح ابن عقيل: ج1 /393.
4 يُنظر: شرح ابن عقيل: ج1/ 390، ومغني اللبيب : ج366/2.
5 بحث (الإسناد في لغة أكلوني البراغيث) ، أبحاث اليرموك، مجلد 13، عدد2، 1995، ص 400، وجمع الأقطش ثمانية أبيات من شعر أبي تمام شواهد على هذه الظاهرة، ص392. وينظر: محمد عبد الله جبر: الضمائر في اللغة العربية، 172-173.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه مسوِّغات القدماء في نسبة لغة (أكلوني البراغيث) إلى بني الحارث بن كعب وأزد شنوءة وطيىء، وأما الطعن في هذا التحديد فيأتي من خلال شيوع هذه الظاهرة في مواطن متعددة، كما سنبين عند مناقشة الجانب الثاني من هذه الظاهرة، مما يجعل تحديد نسبتها إلى ثلاث قبائل بأعيانها دون غيرها مَلْمَحاً من ملامح نقص الاستقراء عند النحاة واللغويين القدماء.

وأما الجانب الثاني من جوانب هذه الظاهرة وهو مدى شيوعها أو قلتها. فإننا إذا ما رجعنا إلى شقيقات اللغة العربية من الساميات، وجدنا عدداً من الباحثين [2] يؤكد اطّرادها في اللغات السامية، يقول رمضان عبد التواب: " وتدل مقارنة اللغات السامية، أخوات العربية، على أنه في تلك اللغات، يلحق الفعلَ علامةُ التثنية والجمع، للفاعل المثنى والمجموع، كما تلحقه علامة التأنيث، عندما يكون الفاعل مؤنثاً سواءً بسواء" [3]وعدّها رمضان عبد التواب من (الركام اللغوي) الذي هو بقايا الظواهر اللغوية المندثرة [4].

وأما في اللغة العربية الفصيحة فقد ورد قدرٌ من الأمثلة على هذه الظاهرة، يُشير إلى أنها ليست بالظاهرة التي تقتصر على قبيلتين أو ثلاث، وأنها ليست محدودة بزمان معين، إذ استطاع الأقطش [5] أن يجمع من أمثلة هذه الظاهرة: عشرة من القرآن الكريم والقراءات، وتسعة من الحديث الشريف، وعشرة من شعر العرب الذين يُحتج بلغتهم، وعشرين مثالاً من شعر المولّدين حتى نهاية القرن الرابع، وثمانية من شعرٍ مجهول النسب في كتب النحو، وعشرة من نثر المولّدين .

وتكفي أعداد هذه الأمثلة ووجود ظاهرة المطابقة العددية في اللغات السامية، وانتشارها في جُلِّ اللهجات الحديثة [6] للترجيح بأن تكون هذه الظاهرة قد سادت في كثير من لغات القبائل العربية قديماً، ويؤكّد ذلك أيضاً قولُ ابن يعيش : " وهي لغة فاشية لبعض العرب كثيرة في كلام العرب وأشعارهم " [1]، ويبدو أن هذه اللغة، مع شيوعها وانتشارها، لم تبلغ درجة الشيوع الذي كانت تحظى به ظاهرة إفراد الفعل مع الفاعل المثنى والمجموع. ومن أجل ذلك لم تحظ ظاهرة المطابقة العددية بالقبول ضمن قواعد الفصحى. وفي هذا ما يفسِّر استغراب المستشرق رابين الذي يقول : " بما أن ظاهرة التطابق بين الفعل و فاعله هي النهج العادي للّغات الشقيقة

---

1 بحث (الإسناد في لغة أكلوني البراغيث) : ص409.
2 تشيم رابين: اللهجات العربية القديمة : 317، ورمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة : 300، و محمد عبد الله جبر: الضمائر في اللغة العربية: 174 –175، وإسماعيل عمايرة : المستشرقون والمناهج اللغوية :75، وعبد الحميد الأقطش : بحث (الإسناد في لغة أكلوني البراغيث) : 403 – 405.
3 المدخل إلى علم اللغة : 300.
4 بحوث ومقالات في اللغة العربية : 59.
5 بحث (الإسناد في لغة أكلوني البراغيث) : 390 –395، وينظر : رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة : 302-306.
6 إسماعيل عمايرة : تطبيقات في المناهج اللغوية : 211.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعاميات؛ يبدو أنّ التنبيه الصارم على ضرورة إفراد الفعل في الجملة الفعلية، من الأمور المستغربة في تلك اللهجات التي شكلت القاعدة للعربية الفصحى"[2].

ذلك أن شيوع الظاهرة في اللهجات التي تشكلت منها الفصحى كان كثيراً مع وجود ظاهرة الإفراد، إلا أنّ مبدأ الاقتصاد اللغوي[3] الذي ينحو بالمتكلمين نحو التعابير التي تؤدي المعنى بجهد قليل قد أسهم في تخلُّص الفصحى من ظاهرة المطابقة العددية.

وأخيراً فقد ذهب ابن مالك في تفسير هذه الظاهرة مذهباً قد يكون مقبولاً نظرياً، ولكنَّ شواهد الظاهرة لا تؤيده، فيقول ابن مالك : " السبب في هذا الاستعمال أنّ الفاعل قد يكون غير قابل لعلامة تثنية ولا جمع كـَ (مَن) فإذا قصدت تثنيته أو جمعه، والفعل مجرّد، لم يُعلم القصد. فأراد أصحاب هذه اللغة تمييز فعل الواحد من غيره، فوصلوه عند قصد التثنية والجمع، بعلامتيهما. وجرّدوه عند قصد الإفراد، فرفعوا اللبس، ثمّ ألزموا ذلك فيما لا لبس فيه ليجري الباب على سنن واحد"[4].

فابن مالك يريد أنّ المطابقة بدأت مع الفاعل الذي لا يمكن تثنيته أو جمعه، بقصد التمييز بين الفعل المسند إلى فاعل مثنى أو جمع، من الفعل المسند إلى فاعل مفرد. ثمّ انتقل المتكلم إلى المطابقة بين كل فعل وفاعله طرداً للباب على وتيرة واحدة.

وهذا المذهب جيِّد في التفسير النظريّ للظاهرة، إلا أنَّ ابن مالك نفسه، الذي ذكر شواهد لها، لم يكن بين شواهده شاهدٌ واحد، لا يمكن جمع الفاعل فيه أو تثنيته، وكذلك لم أجد في الشواهد الكثيرة التي جمعها عبد الحميد الأقطش[5] إلا مثالاً واحداً من التي لا يمكن جمع الفاعل فيها أو تثنيته وهو قوله تعالى : ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾[6]،

---

1 شرح المفصل : ج3 /87.
2 اللهجات العربية القديمة : 317.
3 ينظر: تطبيقات في المناهج اللغوية : 211.
4 شواهد التوضيح والتصحيح : 191.
5 بحث (الإسناد في لغة أكلوني البراغيث) : 390-395.
6 مريم، 87.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما غيره من الشواهد فهي لا تؤيد ما ذهب إليه ابن مالك. ولو كانت الظاهرة وُجدت من أجل الفاعل الذي لا يمكن جمعه أو تثنيته لوجدنا أكثر شواهدها من هذا النوع من الفاعلين، والأمر في الشواهد الموجودة على غير ما افتُرض.

2- ضمير الفصل :

في ضمير الفصل لغتان : الأولى يُعدُّ ضمير الفصل فيها وسيلة ربط بين ركني الجملة، ولا محلّ له من الإعراب. والأخرى يُعدُّ فيها ضمير الفصل مبتدأ والاسم بعده خبره، ثم تكون الجملة خبراً للمبتدأ الأول، وذلك في نحو قولنا : (زيدٌ هو الكريمُ) .

ويظهر الفرق بين اللغتين مع الفعل، أما في باب المبتدأ والخبر، أو باب إنّ وأخواتها فلا تظهر علامة تتميّز بها اللغتان، وقد أشار إلى هذه القضيَّة ابن يعيش بقوله : " اعلم أنَّ الفصل لا يظهر له حكم في باب إنّ وأخواتها وباب المبتدأ والخبر لأنّ أخبارها مرفوعة، فإذا قلت : زيدٌ هو القائم، وإنَّ زيداً هو القائمُ، لم يُعلم أنَّ المضمر فصلٌ أو مبتدأ إلا بالإرادة والنيَّة، ولا يظهر الفرق بينهما في اللفظ ويظهر مع الفعل لأنّ أخباره منصوبة نحو قولك : كان زيدٌ هو القائمَ، وظننتُ زيداً هو العاقلَ، فعُلم أنّ (هو) فصل بنصب ما بعده "[1].

والأشهر في ضمير الفصل اللغة الأولى التي لا يكون له فيها محلٌ إعرابيّ، أما اللغة التي يُرفع فيها ما بعده خبراً له، فهي أقل شهرةً من الأولى، وقد ذكرها الأخفش في كتابه ونقلها النحّاس، ونُسبت عندهما إلى بني تميم. فقال الأخفش في ضمير الفصل:" وقد يجري في جميع هذا مجرى الاسم، فيُرفع ما بعده إن كان ما قبله ظاهراً أو مضمراً في لغةٍ لبني تميم،في قولهم: ﴿ إِنْ كَانَ هَذا هُوَ الحَقُّ﴾[2]، ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [3]، و ﴿وما تُقَدِّمُوا لأنفسكم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْراً ﴾ [4]، كما تقول: (كانوا آباؤهم الظالمون) "[5]. وقال النحاس: " قال الأخفش : وبنو تميم يرفعون فيقولون: (إن كان هذا هو الحقُّ من عندك) قال أبو جعفر يكون (هو) ابتداء، و (الحقُّ) خبره، والجملة خبر كان "[6].

1 شرح المفصّل: ج111/3، وينظر: الكتاب: ج392/2.
2 الأنفال، 32 وفي البحر المحيط : ج482/4 أنها قراءة الأعمش و زيد بن علي.
3 الزخرف، 76 وفي البحر المحيط : ج27/8 أنها قراءة عبد الله وأبي زيد النحويين.
4 المزمل، 20 وفي البحر المحيط : ج359/8 أنها قراءة أبي السمال وابن السميفع.
5 معاني القرآن: ج321/2، وينظر: ج514/2.
6 إعراب القرآن: ج674/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر سيبويه من قبل هذه اللغة ولكنه لم ينسبها، بل ذكر أنّ ناساً كثيراً من العرب يتكلّم بها، فقال : " وقد جعل ناسٌ كثير من العرب (هو) وأخواتها في هذا الباب بمنزلة اسمٍ مبتدأ، وما بعده مبنيٌّ عليه، فكأنّك تقول : أظنُّ زيداً أبوه خيرٌ منه، ووجدت عمراً أخوه خيرٌ منه. فمن ذلك أنّه بلغنا أنّ رؤبة كان يقول : أظنُّ زيداً هو خيرٌ منك. وحدثنا عيسى أنّ ناسا كثيرا يقرأونها: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [1] وقال الشاعر، قيس بن ذريح [2]:

تُبَكّي على لُبنى وأنت تركتَها وكُنت عليها بالملا أنت أقدرُ

وكان أبو عمرو يقول: إن كان لهو العاقلُ "[3].

ويتبين من الشواهد التي ذكرها سيبويه، والشواهد التي ذُكرت عند غيره [4] أنّ هذه اللغة كانت واسعة الانتشار[5]، ولكنّها لم تحظَ بالمنزلة التي حظيت بها لغة الإهمال لضمير الفصل، إذْ جاءت بهذه اللغة الثانية القراءات القرآنية المتواترة، وجاءت بعض القراءات الشاذة على لغة بني تميم[6] .

ولم نستطع بالرجوع إلى شقيقات العربية أن نتبين ألإهمال أقدمُ لضمير الفصل أم الإعمال ؟ ذلك أن برجسترسر ذكر قِدَمَ استعمال ضمير الفصل للربط بين المبتدأ والخبر، وذكر شيوعه في الساميات القديمة، ولكنّه لم يذكر أنَّ تلك اللغات كانت تُهمل هذا الضمير أم أنها كانت تعربه، والتفت إلى مسألتين أخريين :

الأولى هي أنَّ ضمير الغائب في بعض اللغات السامية قد يأتي بعد مبتدأ متكلم أو مخاطب، فقال: " والضمير المستعمل للربط هو ضمير الغائب إذا كان المبتدأ غائباً، وفي بعض اللغات السامية إذا كان المبتدأ متكلماً أو مخاطباً أيضاً مثاله في الآرامية: (anahna himmo abdohi) أي: نحن هم عباده، ومثال ذلك لا يكاد أن يوجد في العربيّة"[7].

---

1 الزخرف، 76.
2 ديوانه :. 46، وينظر : شرح المفصل : ج3/ 112، واللسان : مادة (ملا) ، والبحر المحيط : ج8/ 27 و 359.
3 الكتاب: ج2/ 392-393. وينظر في نسبة اللغة إلى بني تميم : البحر المحيط : ج8/ 388.
4 ينظر : شرح المفصل : ج3/111-113، ولغة تميم : 517 (شواهد من القراءات) .
5 استدلّ أحد الباحثين المحدثين وهو مختار الغوث في (لغة قريش ص156) على كثرة المتكلمين بهذه اللغة بأنّ قيس بن ذريح يتكلم بها، ولم أجد علاقة بين أن يتكلّم بها قيس بن ذريح وكثرتها وأنا أثبت نصّ الباحث الذي يقول : " وهو استعمال ناسٍ كثير من العرب كما قال سيبويه. ويدلُّ على كثرتهم أنّ قيس بن ذريح يتكلم بها، قال : تبكي على لبنى ... البيت الذي أنشده سيبويه.
6 ينظر: لغة تميم : 517-518، ولغة قريش: 157. وقال أبو حيان : ج8/27: (قرأ عبد الله وأبو زيد النحويان: الظالمون، بالرفع) .
7 التطور النحوي للغة العربية : 88-89.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمسألة الأخرى هي أنَّ " إدخال الضمير ليس بواجب [أي في الساميات] بيد أنّ العربية تقتضيه في حال كون الخبر معرفاً"[1].

فالمثال الذي ذكره برجسترسر (نحن هم عباده) جاء ضمير الفصل فيه بين مبتدأ وخبره، ولا يظهر في هذه الحالة إعمال أو إهمال لأن الخبر مرفوع في كلتا الحالتين. ويمكن أن نذهب إلى أن اللغة العربية في رحلتها التطوُّريّة مع انفصالها عن شقيقاتها قد حافظت على استعمال ضمير الفصل، ولكنَّ إحدى لهجات اللغة العربية زادت فجعلت هذا الضمير ذا مكانة في الجملة فرفعت ما بعده خبرا له، وهذه هي لغة بني تميم التي يُعرب ضمير الفصل فيها، والتي ذكرها أبو حيان كما أشرنا من قبل.

3-حذف ضميري الرفع (الواو والياء) :

ذكر الفرّاء حذف ضميري الرفع الواو والياء، فقال : " وقد تُسقِط العَربُ الواو وهي واو جماع، اكتُفيَ بالضمة قبلها، فقالوا في ضربوا : (قد ضَرَبُ) ، وفي قالوا (قد قالُ ذلك) ، وهي في هوازن وعُليا قيس؛ أنشدني بعضهم [2] :

إذا ما شاءُ ضرُّوا مَنْ أرادوا ولا يألو لهم أحدٌ ضِرارا

وأنشدني الكسائي [3] :

متى تقولُ خَلَت من أهلها الدارُ كأنّهم بجناحَيْ طائرٍ طاروا

وأنشدني بعضهم [4] :

فلو أنَّ الأطبا كانُ عندي وكان مع الأطباءِ الأساةُ

وتفعل ذلك في ياء التأنيث، كقول عنترة [1] :

إنّ العدوَّ لهم إليك وسيلة إنْ يأخذوكِ تكحَّلي وتخضَّبِ

---

1 المصدر نفسه : 89.

2 البيت بلا نسبة، ويُنظر: الإنصاف : ج1/ 386، ومغني اللبيب : ج2 / 552، وهمع الهوامع: ج196/1، والدرر اللوامع: ج87/1، وخزانة الأدب: ج231/5.

3 البيت بلا نسبة في اللسان : مادة (جنح) ، وخزانة الأدب: ج231/5.

4 البيت بلا نسبة، ويُنظر : الإنصاف : ج1/ 385، وشرح المفصل : ج8 / 80، والدرر اللوامع: ج86/1، وخزانة الأدب: ج233/5وقال البغدادي: "ولم يعزهما الفراء فمن بعده إلى أحد".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحذفون ياء التأنيث وهي دليل على الأنثى اكتفاءً بالكسرة "[2]. فالفرّاء ينسب حذف الواو والياء إلى هوازن وعُليا قيس، ونسبه سيبويه من قبل إلى ناس كثير من قيس وأسد فقال : " حذف ناسٌ كثير من قيس وأسد الياء والواو اللتين هما علامة المضمر"[3].

وقد ذكر سيبويه [4] عدداً من أبيات الشعر تُروى بحذف الواو أو الياء، والاجتزاء عنهما بالضمة أو الكسرة، وذكر صاحب الإنصاف [5] عدداً من الأبيات اجتُزىء فيها بالضمة عن الواو، وبالكسرة عن الياء، وبالفتحة عن الألف.

وتبرز هنا مسألتان : الأولى في نسبة هذه الظاهرة. والثانية في كونها مقصورة على الضرورة الشعرية أم تتجاوزها إلى النثر. أما نسبة هذه الظاهرة فقد رأينا الفرّاء ينسبها إلى هوازن وعُليا قيس، ونسبها سيبويه إلى ناس كثير من قيس وأسد، ونجد رابين يُعمّم الظاهرة على لهجات الجزيرة كلها، ويخص لهجات وسط الجزيرة، فيقول : " ويحتمل أن يكون النزوع إلى تقصير العلل الطويلة موروثاً في لهجات الجزيرة كلها، ولكنّها تطوّرت باتّساق في لهجات وسط الجزيرة العربية أكثر منها في اللهجات العربية الغربية "[6]. وليس غريبا أن يكون تقصير العلل الطويلة موروثًا في لهجات الجزيرة، فقد ذُكر " أنّ حذف الواو والاجتزاء عنها بالضمّة ظاهرة ساميّة عامة وجدت في الحبشية والعبرية والآرامية "[7] كما أن احتفاظ لهجات معينة بهذا التقصير دون غيرها ليس غريباً، فبعض لهجاتنا العربية الحديثة تحتفظ بالتقصير دون غيرها كقولهم (الضيوفُ كانُ هنا ثُمَّ خرجُ) [8].

ويؤكد أحمد علم الدين الجندي [9] أنَّ الظاهرة كانت منتشرة في المواطن التي ذكرها سيبويه والفرّاء (أسد، وقيس، وهوازن) ، وأنّ هذيلاً كانت تميل إلى تقصير الصيغ، وبهذا تكاد تُجمع المصادر القديمة والحديثة على نسبة الظاهرة إلى هذه القبائل.

وأما ما ذهب إليه بعض الباحثين من أنّ الحذف "لهجة تميم وغيرها من القبائل البدويّة "[10] بحجَّة أنّ تميم من القبائل البدوية، وأن " الحذف في مثل هذا الموضع يتأتى من الإسراع في

---

1 شرح ديوان عنترة بن شداد : 20.
2 معاني القرآن : ج1 / 91.
3 الكتاب : ج4 / 211.
4 المصدر نفسه : ج4/ 211-214.
5 الإنصاف : ج1/385-390.
6 اللهجات العربية القديمة : 241.
7 اللهجات العربية في التراث : ج2/ 689 نقلاً عن (noldeke، die Endungen des perfekts. p. 15. strassburg. 1909)
8 المصدر نفسه : ج2/689.
9 اللهجات العربية في التراث : ج2/687 وما بعدها.
10 صبحي عبد الحميد : اللهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء : 335.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النطق وهو عادة أهل البادية "[1]. فإنه يتيح لنا أن ننسب الظواهر التي تقوم على الإسراع في النطق إلى القبائل البدوية أو إلى تميم، وليس الأمر على هذه الحال، فتميم تحقق الهمز والحجاز يُسهِّلون، والتحقيق مظهر من مظاهر التأني، والتسهيل مظهر من مظاهر السرعة، فهل ننسب التحقيق إلى الحجاز أو ننسب التسهيل إلى تميم ؟ ويقول الباحث بعد ذلك : " ويكاد الفكر يتَّجه إلى أنها لهذيل فهم يحذفون الياء والواو من آخرالكلام كثيراً "[2]. ولا يحتاج الأمر إلى هذا التخمين، فقد أشار إلى التقصير عند هذيل : رابين [3] وأحمد علم الدين الجندي [4].

وإذا نظرنا في خارطة القبائل العربية وجدنا التجاور بين قبائل قيس وهوازن وأسد يبعث على الاطمئنان بصحّة نسبة الظاهرة إلى هذه القبائل، مع أنّه لا يشترط التجاور بين القبائل التي تنتشر فيها ظاهرة لهجيّة معينة؛ ذلك أنه قد توجد ظاهرة في قبيلة تبعد في مسكنها عن قبيلة أخرى توجد فيها الظاهرة نفسها، كما رأينا في انتشار لغة إلحاق علامة التثنية أو الجمع بالفعل المسند للاسم الظاهر في بني الحارث بن كعب وأزد شنوءة ومنازلُهما جنوبي الحجاز وشمالي اليمن، وفي طيىء ومنازلها شمالي الحجاز. وجاء في لسان العرب " ثم قد يستعمل النجدي لغة الحجازي "[5].

وأما المسألة الثانية التي تتمثل في كون هذه الظاهرة مقتصرةً على الضرورة الشعرية أم تتجاوزها إلى النثر، فقد ذكرنا أن سيبويه [6] نسب الحذف إلى ناس كثير من قيس وأسد، ولم يُشِر إلى أنَّ هذه الظاهرة خاصَّةٌ بالشعر، وإنْ كانت شواهده التي ساقها كلُّها من الشعر، وأما الفراء فإنّ شواهده كلها من الشعر[7]، ولكنّه مثّل لها بقوله : " فقالوا في ضربوا : (قد ضَرَبُ) و في قالوا : (قد قالُ ذلك) "[8]، مما يوحي أنَّ الفرّاء لا يمتنع عنده ورودها في النثر. وكذلك أبو البركات الأنباري لم يقصر الظاهرة على الضرورة، فقد قال [يريد العرب] : " لأنهم يجتزئون بالضمة عن الواو، وبالكسرة عن الياء وبالفتحة عن الألف "[9]. وإن كانت شواهده كلُّها على هذه الظاهرة جاءت من الشعر[10].

1 المصدر نفسه : 335.
2 المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.
3 اللهجات العربية القديمة : 239.
4 اللهجات العربية في التراث : ج2/ 689.
5 مادة (سنح) .
6 الكتاب : ج211/4.
7 معاني القرآن : ج1/ 91.
8 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
9 الإنصاف : ج1/ 385.
10 المصدر نفسه : ج385/1-390.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما ابن يعيش فقد عدّ هذا الحذف أشبه بالضرورة، فقال : " ومثل ذلك لا يحسن في الكلام وهو بالضرورة أشبه "[1]. وقال أبو حيان في هذا الحذف : " وهذا خصَّه أصحابنا بالضرورة فلا يُحمل كتاب الله عليه "[2]. وقد ذهب أحمد علم الدين الجندي إلى أنَّ الظاهرة لا تقتصر على الضرورة [3]، بل تجاوزتها إلى النثر، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَبَانِيَة﴾ [4]، و﴿وَيَدْعُ الإنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ [5]. وبقراءة ﴿قَدْ أَفْلَحُ المُؤمِنُونَ ﴾ [6] إذ الأصل (أفلحوا) ، وقراءة (عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ) [7]والأصل (أَحْسَنُوا) ، وقراءة ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمُّ الرَّضَاعَة ﴾ [8]، والأصل (يُتمُّوا) ، وبما حكاه السيوطي [9] (من العرب من يقول : الزيدون قامُ).

وأُضيف هنا أنَّ حذف الواو أو الياء قد وقع كثيراً في القرآن الكريم والقراءات، وقد ذكر هذا الحذفَ العلماءُ الذين ألّفوا في إعراب القرآن ومعانيه، فالفراء يقول في قوله تعالى : ﴿ وَيَمْحُ اللهُ البَاطِلَ﴾[10]: " و (يمحُ) في نيّة رفع مستأنفة وإن لم تكن فيها واو؛ حُذفت منها الواو كما حذفت في قوله تعالى﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَة﴾"[11]. وتظهر مع هذه الآية قضيَّةٌ أخرى هي أنّ الحذف قد يقع في مواضع ولا يقع في أخرى، فقد ورد الفعل (يمحو) غير محذوف الواو في آية أخرى، يقول تعالى: ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ [12].

وهذه القضية قد تجيب عن سؤال يتبادر إلى الذهن عند النظر في الأبيات التي أوردتُها في صدر هذه المسألة في نصّ الفرّاء، والأبيات التي استشهد بها سيبويه [13] وأبو البركات الأنباري [14]، والسؤال هو : لماذا حُذفت الواو من الفعل (شاءوا) ، ولم تُحذف من الفعلين (ضرّوا، وأرادوا) من قول الشاعر :

---

1 شرح المفصل : ج80/8.
2 البحر المحيط : ج256/4.
3 اللهجات العربية في التراث : ج688/2.
4 العلق، 18.
5 الإسراء، 11.
6 المؤمنون، 1، وجاء في البحر المحيط : ج365/6 " قال عيسى بن عمر : سمعت طلحة بن مصرّف يقرأ (قد أفلحوا المؤمنون) ، فقلت له : أتلحن ؟ قال : نعم كما لحن أصحابي. يعني أنّ مرجوعه في القراءة إلى ما رُوي وليس بلحن لأنه على لغة (أكلوني البراغيث) ".
7 الأنعام، 154، وينظر : مغني اللبيب : ج553/2، وفي البحر المحيط : ج256/4 أنها قراءة يحيى بن معمر وابن أبي إسحاق.
8 البقرة، 233، وبنظر : مغني اللبيب : ج553/2، وفي البحر المحيط : ج223/2 أن النحويين نسبوا هذه القراءة إلى مجاهد.
9 همع الهوامع : ج196/1، وقال السيوطي : (ولم يُسمع ذلك في المضارع، ولا الأمر) فاستدرك عليه الشنقيطي في الدرر اللوامع : ج87/1 قائلا: "والحق أنه سمع مع المضارع كقوله : وإذا احتملت لأن تزيدهُمُ تقىً فرُّوا فلم يزدادُ غير تَمَادِ [لم أعثر على قائل البيت]
وسُمع أيضا مع الأمر، كقوله:
جزيتُ ابنَ أروى في المدينة قرضَه وقلتُ لشُقّاع المدينة أوجِفُ [البيت لتميم بن مُقبل، يُنظر: ديوانه: 105، والكتاب: ج212/4] يريد: أوجفُ، فسكن للوقف"
10 الشورى، 24.
11 معاني القرآن : ج206/1.
12 الرعد، 39.
13 الكتاب : ج211/4.
14 الإنصاف : ج385/1 –390.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا ما شاءُ ضرُّوا من أرادوا ولا يألو لهم أحدٌ ضِرارا ؟

فالأمر أن العرب لا يحذفون كُلَّ واو أو ياء ويجتزئون بالضمة أو الكسرة عنهما، وإنما هم قد يحذفون وقد لا يحذفون. وقد حُذفت الياء كثيرا مع النداء، فقيل (يا قوم) في (يا قومي) ، وقيل (يا أبتِ) في (يا أبتي) ، وقد أشار إلى هذا الحذف عدد من العلماء الذين ألفوا في إعراب القرآن ومعانيه، أذكر على سبيل التمثيل[1] نصّا لأبي عبيدة ونصّا للأخفش، يقول أبوعبيدة : "﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ ﴾ [2] بعض العرب يقول : يا قوم، يكسرها ولا يطلق ياء الإضافة كما حذفوا التنوين من نداء المفرد، قالوا : يا زيدُ أقبلْ، وبعضهم ينشد بيت زهير[3]:

تبينْ خليلِ هل ترى من ظعائنٍ تحمَّلْنَ بالعلياءِ من فوق جُرثُمِ". [4]

ويقول الأخفش : " وقال بعضهم : (يابنَ أمِّ) ، فجعله على لغة الذين يقولون : هذا غلامِ قد جاء "[5].

ومما حُذفت فيه الياء ولم تكن ضميراً، ولم تقع في النداء، قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بِإِذْنِهِ﴾[6]، فقد قال فيها الفرّاء : " كُتبت بغير الياء وهو في موضع رفع، فإن أثبتَّ

1 وينظر: الزّجّاج: معاني القرآن وإعرابه: ج2/378-379، والنحاس: إعراب القرآن: ج1/640.
2 يس، 20
3 البيت في ديوانه ص9 : تبينْ خليلي هل 0000
4 مجاز القرآن : ج2/159، وينظر: ج1/13و352.
5 معاني القرآن : ج2/311 ويُنظر : ج1/ 70، 71، 73.
6 هود، 105.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه الياء إذا وصلت القراءة كان صوابا. وإن حذفتها في القطع والوصل كان صوابا. قد قرأ بذلك القُرّاء ... فالوجه فيها أن تثبت الياء إذا وصلت وتحذفها إذا وقفت. والوجه الآخر أن تحذفها في القطع والوصل، قرأ بذلك حمزة، وهو جائز "[1].

وخلاصة ما يترجّح لديّ في هذه المسألة أنها تتعلّق بطول صوت اللين وقِصره، وهي قضية صوتية لا ترتبط بالواو أو الياء وهما ضميرا رفع في مثل (قالوا وتخضّبي) ولا بهما وهما من أصل الفعل في مثل (يأتي، و ندعو) ، وإنّما هي ترتبط بأصوات اللين الثلاثة الألف والواو والياء، فهي الحركات نفسها مع زيادة في الكميَّة [2]. فبعض العرب يقلّلُ كمية هذه الأصوات في بعض المواضع، ويُطيلها في مواضع أخرى ويؤكد ذلك ما ذكره أبو البركات الأنباري بقوله : " وقال الآخر[3]:

فلستُ بمُدركٍ ما فات منِّي بلَهْفَ، ولا بلَيْتَ، ولا لَوَانِّي

أراد (بلَهْفا) فحذف الألف اجتزاءً بالفتحة عنها "[4].

4_ إعمال الثاني، وحذف صدر الصلة:

ذكر أبو عبيدة أن بني تميم يُعمِلون آخر الفعلين والأداتين في الاسم، وذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحِي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[5]، فقال: " وسأل يونس رؤبة عن قول الله تعالى ﴿ما بعوضة ﴾ فرفعها، وبنو تميم يُعملون آخر الفعلين والأداتين في الاسم، وأنشد رؤبة بيت النابغة مرفوعا[6]:

قالت ألا ليت ما هذا الحمامُ لنا إلى حمامتنا ونصفه فقدِ "[7]

وذكر هذه اللغة الأخفش والنحاس، فقال الأخفش في تفسير الآية نفسها " وناس من بني تميم يقولون : (مَثَلاً مَا بَعُوضَةٌ) ، يجعلون (ما) بمنزلة (الذي) ، ويضمرون (هو) ، كأنهم قالوا:

1 معاني القرآن : ج27/2، ويُنظر : الزجاج : معاني القرآن وإعرابه : ج3/ 77، والنحاس : إعراب القرآن : ج111/2.
2 إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية : 38، و156.
3 ينظر : اللسان : مادة (لهف) ، وشرح الأشموني : ج332/2، وخزانة الأدب : ج131/1.
4 الإنصاف : ج390/1-391.
5 البقرة، 26.
6 ديوانه: 85، وينظر: الكتاب: ج137/2، والإنصاف: ج479/2، والخصائص: ج460/2، وشرح المفصل: ج54/8 و 58.
7 مجاز القرآن: ج35/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(لا يستحي أن يضرب مثلاً الذي هو بعوضةٌ) "[1].

وقال النحاس في الآية نفسها : " وحُكي أنه سُمِع رؤبة يقرأ ﴿إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضةٌ﴾ بالرفع[2]، وهذه لغة تميم، جعل (ما) بمعنى (الذي) ورفع بعوضة على إضمار ابتداء، والحذف في (ما) أقبح منه في (الذي) لأنّ (الذي) إنّما له وجه واحد، والاسم معه أطول"[3].

وهذه اللغة التي تحدّ ث عنها العلماء هنا ذات ركنين : الأول إعمال الفعل الثاني أو الأداة الثانية في الاسم، والثاني حذف صدر الصلة (المبتدأ بعد (ما) الموصولة) . وقد تحدث النحاة في هذين الركنين، ولكنّهم لم ينسبوا إعمال الثاني إلى تميم[4] ولم ينسبوا إليهم كذلك حذف صدر الصلة بعد (ما) الموصولة [5]. وإنما اكتفوا في قضية الإعمال بالخلاف بين البصريين والكوفيين، " فذهب البصريون إلى أنّ الثاني أولى به، لقربه منه، وذهب الكوفيون إلى أنّ الأول أولى به لتقدُّمه "[6].

وفي حذف صدر الصلة اكتفوا بالإشارة إلى قلّة هذا الاستعمال وشذوذه، فأورد ابن يعيش [7]عبارةً ذكرها الزمخشري ممّا سمِعه الخليل عن عربي يقول: (ما أنا بالذي قائلٌ لك شيئا) ، وقراءة (مثلا ما بعوضةٌ) [8]، وقراءة (تماماً على الذي أحسنُ) [9]، وقول الشاعر[10] :

لم أرَ مِثْلَ الفِتيانِ في غِيَرِالـ أيّامِ يَنْسَوْنَ ما عواقبُها

ثم قال ابن يعيش : " وحذف الضمير من هذا ضعيف جداً "[11].

وقال الأشموني : " الحذف نزرٌ لا يُقاس عليه، وأجازه الكوفيون، ومنه قراءة يحيى ابن يعمر (تماماً على الذي أحسنُ) وقراءة مالك بن دينار وابن السماك (ما بعوضةٌ) بالرفع، وقوله[1]:

---

1 معاني القرآن: ج1 /53.
2 ينظر : مختصر شواذ القرآن: 4
3 إعراب القرآن: ج153/1.
4 ينظر : الإنصاف : ج83/1[مسألة (13) القول في أولى العاملين بالعمل في التنازع]، وشرح ابن عقيل : ج1/ 455.
5 ينظر : شرح المفصل : ج3 /152، وشرح الأشموني : ج78/1، ومغني اللبيب : ج314/1، وشرح ابن عقيل : ج1/ 144.
6 شرح ابن عقيل : ج456/1.
7 شرح المفصل : ج152/3.
8 في البحر المحيط : ج267/1 : " قرأ الضحاك، وإبراهيم بن عبلة، ورؤبة بن العجّاج، وقطرب : بعوضة بالرفع ".
9 الأنعام، 154. وفي البحر المحيط: ج256/4: أنها قراءة يحيى بن معمر، وابن أبي إسحاق.
10 البيت لعدي بن زيد العبادي، ديوانه : 45.
11 شرح المفصل : ج153/3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تَنْوِ إلا الذي خيرٌ فما شقِيَتْ إلا نفوسُ الألى للشرِّ ناوونا

وقوله: [2]

من يُعنَ بالحَمْدِ لا ينطِقْ بما سَفَهٌ ولا يحِدْ عن سبيلِ المجدِ والكرم"[3].

وعند ابن هشام أنّ الحذف " شاذٌ عند البصريين، قياسٌ عند الكوفيين"[4]، وفي شرح ابن عقيل أنّ الحذف قليل، وقد أجازه الكوفيون قياساً[5]. فلم نجد عند النحاة إشارةً إلى أنّ هذا الاستعمال لغة لبني تميم، بل اكتفوا بوصفه بالقلة والشذوذ. وكذلك لم يُنسب هذا الاستعمال (إعمال الثاني وحذف صدر الصلة) إلى بني تميم في بحث خُصِّص للغة تميم[6]. وبما ثبت من وجود الشواهد لهذه المسألة من القراءات القرآنية، والشعر العربي، والعبارة التي رواها الخليل عن عربي، وبما جاء عن أبي عبيدة والأخفش والنحاس، من أنّ هذا الاستعمال لغة بني تميم، يترجح لدينا أنّ ما أجازه الكوفيون من القياس عليه، هو الأولى أن يُعتمد عليه، وليس القول بشذوذه أو قِلّته، كما قال البصريون.

5- وقوع الضمير المتصل بعد (لولا) :

يقع بعد (لولا) في اللغة المشهورة ضمير رفع منفصل، ولكن ذكر النحاس أن من العرب من يأتي بضمير متصل بعد (لولا) ، فقال في إعراب قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ الَذِيْنَ اسْتُضْعِفُوا لِلَذِيْنَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُم لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[7] : " هذه اللغة الفصيحة، ومن العرب من يقول: لولاكم. حكاها سيبويه، ويكون (لولا) تخفض المضمر وترفع المظهر بعدها بالابتداء وتحذف خبره، ومحمد بن زيد يقول : لا يجوز (لولاكم) لأنّ المُضمر عَقِبَ المُظْهَر، فلمّا كان المُظهرُ مرفوعاً بإجماع وجب أن يكون المضمر أيضاً مرفوعاً"[8].

---

1 ذكر عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية : 383 أن البيت للناجم، وأشار إلى شرح الأشموني وحده. وكذا إميل يعقوب في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية : ج55/8، ولم ينسباه.

2 ينظر: أوضح المسالك : ج533/1، وهمع الهوامع : ج294/1، والدرر اللوامع : ج1/ 186، وشرح التصريح: ج173/1.

3 شرح الأشموني : ج78/1.

4 مغني اللبيب : ج314/1.

5 شرح ابن عقيل : ج144/1.

6 ضاحي عبد الباقي : لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، وقد خُصِّص الباب الرابع للمستوى النحوي في لغة تميم، ولم يُشِر الباحث إلى هذا الاستعمال. وأما غالب المطلبي في (لهجة تميم) فقد ذكر هذه اللغة، وأشار إلى نص الأخفش وأبي عبيدة اللذين ذكرناهما.

7 سبأ، 31.

8 إعراب القرآن : ج674/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونقف هنا عند ما ذكره النحاس من أن وقوع ضمير الرفع المنفصل بعد (لولا) هو اللغة الفصيحة، وأن من العرب من يقول : (لولاكم) . فهذا تصريح بأنَّ وقوع الضمير المتصل بعد (لولا) هو لغة للعرب لم تبلغ في شهرتها مبلغ اللغة التي يقع فيها الضمير المنفصل بعد (لولا) ، كما جاء في الآية الكريمة المتقدّمة، وقد أشار سيبويه إلى وقوع الضمير المتصل بعد (لولا) ، ولكنّه لم يذكر أنها لغة للعرب، فقال : " هذا باب ما يكون مُضمراً فيه الاسم متحوِّلاً عن حاله إذا أُظهر بعده الاسم وذلك لولاكَ ولولايَ، إذا أضمرْتَ الاسمَ فيه جُرّ، وإذا أظهرت رُفع. ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت لولا أنت، كما قال سبحانه: ﴿ لَوْلا أَنْتُم لَكُنَّا مُؤمِنِيْن﴾، ولكنّهم جعلوه مُضمراً مجروراً "[1].

فالقياس على اللغة الأشهر أن يأتي بعد (لولا) ضمير رفع، لأنّ هذا الضمير يحلُّ محل اسم يقع مبتدأ مرفوعاً بعدها، ولكنّ وقوع الضمير المتصل بعدها، قد سُمع عن العرب كما تقدّم عند سيبويه والنحاس، وأشار إلى ذلك ابن هشام [2] وأبو حيّان [3]، وأما أبو البركات الأنباري فقد ذكر عدداً من الشواهد على وقوع الضمير المتصل بعد (لولا) ، واحتجَّ لجواز هذه اللغة بقوله : " وأما مجيء الضمير المنفصل بعده نحو (لولا أنا، ولولا أنت) كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْتُم لَكُنَّا مُؤْمِنِيْنَ﴾ فلا خلاف أنّه أكثر في كلامهم وأفصح، وعدم مجيء الضمير المتّصل في التنزيل لا يدلُّ على عدم جوازه، ألا ترى أنّه لم يأتِ في التنزيل تركُ عمل (ما) في المبتدأ والخبر، نحو (ما زيد قائم، وما عمرو منطلق) وإن كانت لغة جائزةً فصيحة، وهي لغة بني تميم "[4]. وهذا يؤكّد ما جاء عند النحاس من أنَّ وقوع الضمير المتصل بعد (لولا) هو لغة لبعض العرب. ولم ينسب النحّاس هذه اللغة إلى قوم من العرب، ولم ينسبها غيره من العلماء.

1 الكتاب : ج373/2.
2 مغني اللبيب : ج1/ 274.
3 البحر المحيط : ج270/7.
4 الإنصاف : ج694/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

6- تعدد الخبر :

ذكر الأخفش أنَّ قوماً من العرب يرفعون اسمين على أنّهما خبر لمبتدأ واحد، فقال : " وقد يكون ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيْدٌ﴾[1]، على وجه آخر، أخبر عنهما خبراً واحداً، كما تقول : هذا أحمرُ أخضرُ. وذلك أنّ قوماً من العرب يقولون : هذا عبدُ الله مقبلٌ. وفي قراءة ابن مسعود: ﴿ وَهَذَابَعْلِي شَيْخٌ ﴾ [2]. كأنّه أخبر عنهما خبراً واحداً، أو يكون كأنّه رفعه على التفسير، كأنه إذا قال (هذا ما لديّ) ، فقيل : ما هو ؟ أو علم أنه يُراد ذلك منه، فقال: (عتيد) ، أي : ما عندي عتيد. وكذلك ﴿هذا بعلي شيخٌ ﴾. وقال الراجز[3] :

من يكُ ذا بتٍّ فهذا بتّي مُقيِّظٌ مُصيِّفٌ مُشتّي "[4].

وهذه قضيّةٌ يتناولها النحاة في باب تعدُّد الخبر[5] للمبتدأ الواحد بغير عطف، فالأخفش في النص الذي بين يدينا، يجعل (ما لدي عتيد) و (بعلي شيخ) و (عبد الله مقبل) بمثابة كلمةٍ واحدةٍ هي خبر للمبتدأ (هذا) في العبارات السابقة، ويجعله استعمالاً لقوم من العرب.

ويؤكد ما جاء عند الأخفش من أنه استعمال لبعض العرب قول سيبويه: " هذا باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة وذلك قولك : هذا عبد الله منطلقٌ، حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمَّن يوثق به من العرب "[6].

ونستطيع بذلك الاطمئنان إلى أن وجه الرفع هو من لغة بعض العرب، وإن لم يعيّن سيبويه أو الأخفش هؤلاء العرب، ويزيد هذا الاطمئنان قولُ ابن عقيل: " وذهب بعضهم إلى أنه لا يتعدد الخبر إلا إذا كان الخبران في معنى خبر واحد، فإنْ لم يكونا كذلك تعيَّن العطف، فإن جاء من لسان العرب شيء بغير عطف قُدِّر له مبتدأ آخر " [7]، فتقدير بعض النحاة المبتدأ الآخر لِما جاء في لسان العرب بغير عطف يؤكد أنّ مثل هذه الشواهد ممّا يقع في لغة العرب، ويؤكّد أنَّ هذا التقدير هو من التمحُّل، ولننظر فيما رواه سيبويه عن الخليل من التقدير فقال : " وزعم الخليل رحمه الله أنّ رفعه يكون على وجهين : فوجه أنّك حين قلت: هذا عبد الله أضمرت (هذا)

---

1 ق، 23.
2 هود، 72.
3 هذا من الزيادات على ديوان رؤبة، يُنظر : مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه : اعتنى بتصحيحه : وليم بن الورد البروسيّ : ص189، وينظر : الكتاب : ج2/84، وشرح المفصل : ج1/99، وشرح الأشموني : ج1/206، وشرح ابن عقيل: ج1/219.
4 معاني القرآن : ج1/37.
5 ينظر : شرح المفصَّل : ج1/99، وشرح الأشموني : ج1/106، وشرح ابن عقيل : ج1/219.
6 الكتاب : ج2/83.
7 شرح ابن عقيل : ج1/219.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو (هو) ، كأنّك قلت هذا منطلق أو هو منطلق"[1]. فإننا نرى في هذا التقدير أنَّه رجع إلى المبتدأ الأول فقدَّره (هذا منطلق) وهو دليل التمحُّل في مقابل الوجه الآخر الذي ذكره سيبويه : " أن تجعلهما جميعاً خبراً لـ (هذا) ، كقولك : هذا حلو حامض، لا تريد أن تَنْقُص الحلاوة، ولكنّك تزعم أنه جَمَع الطعمين. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ كلّا إنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾[2] "[3].

ولكنَّ هذا الوجه الآخر لا نجده يفسِّر الشواهد التي ذكرها الأخفش على هذه المسألة، فنحتاج إلى أن نناقش ضربي تعدد الخبر اللذين ذكرهما الأشموني[4]، ثم نصل إلى رأي في المسألة.

الضرب الأول- مما يتعدد فيه اللفظ والمعنى، ومنه قول الشاعر [5]:

ينام بإحدى مقلتيه ويتّقي بأخرى الأعادي فهو يقظانُ نائمُ

قال الأشموني : " وهذا الضرب يجوز فيه العطف وتركه"[6].

والآخر – مما يتعدّد فيه اللفظ دون المعنى، مثل (هذا حُلْوٌ حامض) ، و (هذا أعسرُ يَسَرٌ) ، " وضابطه أن لا يصدق الإخبار ببعضه عن المبتدأ... وهذا الضرب لا يجوز فيه العطف "[7].

وإذا رجعنا إلى شواهد المسألة في نصِّ الأخفش السابق وهي قوله تعالى: ﴿هذا ما لديّ عتيد﴾، وقراءة عبد الله بن مسعود قولَه تعالى: ﴿هذا بعلي شيخٌ﴾و(هذا عبدُ الله مقبلٌ) ، وجدناها من الشواهد التي يتعدّد فيها اللفظ والمعنى أي من الضرب الأول، ولكنها في الوقت نفسه ممّا لا يضبطه ضابط الأشموني، فلا يجوز فيها العطف بل يجب تركه. ولا يصدق الإخبار بواحدة من الكلمتين عن المبتدأ، فلا نقول (هذا عتيدٌ) أو (هذا شيخٌ) أو (هذا مُقبلٌ) ، وإنما يُراد الإخبار عن (هذا) بكلا الاسمين المرفوعين بعده. وهي بهذا تتداخل مع الضرب الثاني الذي ذكره الأشموني.

---

1 الكتاب : ج2/ 83.

2 المعارج، 15، 16. و (نزّاعة) في المصحف منصوبة، وقال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه : ج221/5 : " وقُرئت (نزّاعةٌ للشوى) . والقراءة نزّاعةٌ، والقُرّاء عليها وهي في النحو أقوى من النصب، وذكر أبو عبيد أنها تجوز في العربية، وأنّه لا يعرف أحداً قرأ بها. وقد رويت عن الحسن، واختلف فيها عن عاصم، فأما ما رواه أبو عمرو عن عاصم فنزاعةٌ – بالنصب، وروى غيره نزّاعةٌ بالرفع ".

3 الكتاب : ج83/2.

4 يُنظر في هذين الضربين : ج1/ 106.

5 البيت لحميد بن ثور الهلالي، وهو موجود في ديوانه، صنعة عبد العزيز الميمني : 105 برواية :
ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع
وقد أشار إلى هذه الرواية محمد محيي الدين عبد الحميد في تحقيق شرح ابن عقيل : ج220/1.

6 شرح الأشموني : ج106/1.

7 المصدر نفسه : ج106/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويترجَّح لديّ بالتداخل بين هذين الضربين، أنَّ الشواهد التي وردت عند الأخفش، وأشار إلى أنَّ مثلها قولهم (هذا عبد الله مقبلٌ) ، وأنه من استعمال بعض العرب، ما هي إلا وجهٌ لهجي يجيء فيه الحال مرفوعاً على هذه الصورة، وأما المعنى فهو معنى الحال وليس الإخبار. ويؤكد ذلك نصُّ سيبويه الذي قدَّمناه : " هذا باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة وذلك قولك : هذا عبد الله منطلق"[1].

فالقضية قضية لهجيّة، إذ رفع بعض العرب الحال فأدخله النحاة في باب تعدُّد الخبر لمّا رأوه مرفوعا، وما هو من الخبر وإنّما هو بمعنى الحال، بدليل قول الزجاج في إعراب قوله تعالى: ﴿هذا بعلي شيخا﴾: " وهو منصوب على الحال، والحال ههنا نصبُها من لطيف النحو وغامضه. وذلك أنّك إذا قلت : هذا زيدٌ قائما، فإن كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيداً أنّه زيد لم يجُز أن تقول : هذا زيد قائما، لأنّه يكون زيداً ما دام قائماً، فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنّما تقول ذاك للذي يعرف زيداً : هذا زيدٌ قائماً، فيعمل في الحال التنبيه، والمعنى انتبه لزيد في حال قيامه، وأشير لك إلى زيد حال قيامه، لأنّ (هذا) إشارة إلى ما حضر "[2].

وأرى أنّ معنى الحال لا يزول في هذه الآية مع الرفع كذلك، وإنما هو استعمال لبعض العرب، ووردت به قراءة عبد الله بن مسعود، لكنَّ المعنى يبقى وهو الإشارة إلى البعل في حال الشيخوخة.

7- إعمال (ما) وإهمالها :

يشيع في كتب النحو أنّ إعمال (ما) النافية عمل (ليس) بشروط معينة[3] هو من لغة أهل الحجاز، وأنّ إهمالها وإبقاء المبتدأ والخبر بعدها مرفوعين هو من لغة تميم.

وقد جاء الحديث عن هاتين اللغتين في كتب إعراب القرآن ومعانيه عند الفرّاء والأخفش والزجّاج والنحاس، وكان أغلب حديثهم عن هاتين اللغتين عند الآيتين

1 الكتاب : ج83/2.
2 معاني القرآن وإعرابه : ج63/3-64.
3 ينظر : الزجاجي : الجمل في النحو، 105 وشرح ابن عقيل : ج1 / 257 – 261.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿مَا هَذا بَشَراً﴾[1]، و﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِم﴾[2]. إلا النحاس فإنّه ذكرها مع آيات أخرى كما سنرى.

فأما الفرَّاء فقد ذكر اللغتين في موضعين من كتابه، قال في الموضع الأول : "وقوله: ﴿ماهذا بشراً﴾ نصبت (بشراً) لأنّ الباء قد استعملت فيه فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلّما حذفوها أحبّوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه فنصبوا على ذلك، ألا ترى أن كُلَّ ما في القرآن أتى بالباء إلا هذا، وقوله ﴿مَا هُنَّ أُمَهاتِهِم﴾، وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وغير الباء، فإذا أسقطوها رفعوا. وهو أقوى الوجهين في العربية، أنشدني بعضهم[3]:

لشتّانَ ما أنوي وينوي بنو أبــي جميعاً فما هذان مستويان

تمنَّوا لي الموت الذي يَشْعَبُ الفتى وكلُّ فتىً والموتُ يلتقيان

وأنشدوني[4] :

ركابُ حُسَيْلٍ أشهُرَ الصيفِ بُدَّنٌ وناقةُ عمروٍ ما يُحَلُّ لها رحْـلُ

ويزعمُ حِسْلٌ أنّه فرعُ قومِـه وما أنت فرعٌ يا حُسَيْلُ ولا أصلُ

وقال الفرزدق[5]:

أما نحنُ راعو دارها بعد هذه يَدَ الدهرِ إلا أنْ يمُرَّ بها سَفْرُ "[6]

وقال في الموضع الآخر : " وقوله: ﴿ما هُنَّ أُمّهاتِهِم﴾ الأمهات في موضع نصب لما ألقيت منها الباء نصبت، كما قال في سورة يوسف: ﴿ما هذا بشراً﴾، إنما كانت في كلام أهل الحجاز : ما هذا ببشر، فلما ألقيت الباء ترك فيها أثر سقوط الباء، وهي في قراءة عبد الله ﴿ما هنّ بأمهاتِهِم﴾، وأهل نجد إذا ألقوا الباء رفعوا، فقالوا: ﴿ما هذا بشرٌ﴾، ﴿ما هُنَّ أُمَّهاتُهُم﴾"[7]، ثم ذكر الفراء بيتي (ركابُ حُسيل) اللذين تقدَّم ذِكرُهما في الموضع الأول.

---

1 يوسف، 31.
2 المجادلة، 2.
3 نُسِب البيت الثاني للفرزدق وليس في ديوانه، ينظر عبد السلام هارون : معجم شواهد العربية : 398، وإميل يعقوب : المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية : ج8/ 208.
4 ينظر : الإنصاف : ج694/2، وهما بلا نسبة، ينظر : المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية : ج230/6.
5 ديوانه : 224.
6 معاني القرآن : ج2/ 42-43.
7 المصدر نفسه : ج139/3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الأخفش فقد ذكر أن الرفع لغة تميم، وذلك في موضع واحد من كتابه، فقال : "وذلك قول الله عزّ وجل: ﴿ما هذا بشراً﴾. وتميم ترفعه، لأنّه ليس من لغتهم أن يُشبِّهوا (ما) بالفعل"[1].

وذكر كذلك الزجّاج اللغتين في موضع واحد من كتابه، فقال في قوله تعالى : ﴿ما هذا بشراً﴾: " وسيبويه والخليل وجميع النحويين القدماء يزعمون أنَّ بشراً منصوب خبر (ما) ، ويجعلونه بمنزلة (ليس) ، و (ما) معناها معنى (ليس) في النفي، وهذه لغة أهل الحجاز، وهي اللغة القُدمى الجيّدة. وزعم بعضهم أنّ الرفع في قولك: (ما هذا بشراً) أقوى الوجهين، وهذا غلط، لأنّ كتاب الله ولغة رسول الله أقوى الأشياء وأقوى اللغات. ولغة بني تميم: ما هذا بشرٌ، ولا تجوز القراءة بها إلا برواية صحيحة. والدليل على ذلك إجماعهم على ﴿ما هُنَّ أمهاتِهِمْ﴾ وما قرأ أحدٌ (ما هُنَّ أمُهاتُهُم) "[2].

وأما النحاس فقد ذكر اللغتين في (ما) في أربعة مواضع :

الأول - عند إعراب قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِمُؤمِنِين﴾[3] فقال: " و (هم) اسم (ما) على لغة أهل الحجاز، ومبتدأ على لغة بني تميم". [4]

الثاني - عند إعراب قوله تعالى: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [5]، فقال في إعراب (غافل) : " في موضع نصب على لغة أهل الحجاز، والباء توكيد"[6].

الثالث - عند إعراب قوله تعالى: ﴿ما هذا بشراً﴾[7]، يقول: " وحكى البصريون والكوفيون: ما زيد منطلق بالرفع، وحكى البصريون أنها لغة بني تميم وأنشدوا [8]:

أتيماً تجعلون إليَّ نِدّاً وما تَيْمٌ لذي حَسَبٍ نديدُ

وحكى الكسائي أنها لغة تهامة ونجد، وزعم الفرّاء أنّ الرفع أقوى الوجهين"[9].

---

1 معاني القرآن : ج129/1.
2 معاني القرآن وإعرابه : ج107/3-108.
3 البقرة، 8.
4 إعراب القرآن : ج137/1.
5 البقرة، 74.
6 إعراب القرآن : ج1 / 189.
7 يوسف، 31.
8 البيت لجرير، ديوانه: ج167/1، وينظر: الزجاجي : مجالس العلماء : 114.
9 إعراب القرآن : ج140/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرابع - عند إعراب قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾[1]. يقول: "قال أبو إسحاق: أي لستَ تقول قول الكُهّان، (ولا مجنون) عطف على بكاهن، ويجوز النصب على الموضع في لغة أهل الحجاز، ويجوز الرفع في لغة بني تميم على إضمار مبتدأ"[2].

والقضيتان البارزتان في النصوص المتقدمة هما:

1- أيُّ الوجهين أقوى الرفع أم النصب ؟

2- نسبة كُلٍّ من الوجهين إلى قبيلة أو بيئة معينة.

فأما القضية الأولى (أيُّ الوجهين أقوى) . فقد ذكر الفراء في نصِّه الأول الذي قدّمناه أن الرفع أقوى الوجهين في العربية، وأنشد ثلاثة شواهد من الشعر على وجه الرفع[3].

وعارض الزجّاجُ، في نصِّه الذي تقدم، رأيَ الفراء في أنّ الرفع أقوى الوجهين، وعدّ لغة الحجاز اللغة القُدمى الجيدة، ونسب الغلطَ إلى من رأى أن الرفع أقوى الوجهين، واحتجّ لذلك بأن كتاب الله ولغة النبي عليه السلام أقوى الأشياء وأقوى اللغات، وأنه لا تجوز القراءة بلغة تميم ﴿ما هذا بشرٌ﴾ إلا برواية صحيحة، ثم استدلّ على ذلك بقوله: " والدليل على ذلك إجماعهم على: ﴿مَا هُنّ أُمّهاتِهم﴾ وما قرأ أحدٌ (ما هُنَّ أُمَّهاتُهُم) "[4].

ويبدو أنّ الزَّجاج في نصِّه السابق يردّ على الفراء الذي وجدناه قد ذكر صراحة أن الرفع هو أقوى الوجهين، لكنّ الزجاج لم يذكر الفراء نصّاً في ردِّه، وإنما قال: " وزعم بعضهم أن الرفع في قولك (ما هذا بشراً) أقوى الوجهين"[5]. في حين نجد النحَّاس قد ذكر أنّ الفراء هو القائل بأن الرفع أقوى، واحتج الزجّاج في الردِّ عليه بحجَّة أن كتاب الله ولغة رسوله صلى الله عليه وسلم أقوى وأولى[6].

ويؤيد ما قاله الفراء من أن الرفع أقوى الوجهين، أن سيبويه يرى أن الرفع هو القياس، يقول في (ما) : " وأما بنو تميم فيُجرونها مُجرى (أمّا) و (هل) ، أي لا يُعملونها في شيء، وهو

---

1 الطور، 29.
2 إعراب القرآن : ج255/3.
3 معاني القرآن : ج2 / 42-43.
4 معاني القرآن وإعرابه : ج3 / 108.
5 المصدر نفسه : ج3 /108.
6 ينظر : إعراب القرآن : ج2 / 140.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القياس، لأنّه ليس بفعل وليس (ما) كـ (ليس) ، ولا يكون فيها إضمار"[1]. وكذلك يرى ابن جني أنّ الرفع" أقوى قياساً وإن كانت الحجازيَّةُ أسْيَرَ استعمالاً "[2].

وإذا رجعنا إلى حُجَّة الزجّاج والنحاس في نسبة الغلط إلى من قال بأن الرفع أقوى الوجهين، وجدنا أنّها تتمثّل في الاحتجاج بكتاب الله، ولغة النبي عليه السلام. ولم يذكرا من لغة النبي عليه السلام ما يؤيّد لغة النصب، ولكنّهما احتجّا بالآيتين ﴿مَا هذا بشراً﴾، و﴿مَا هُنَّ أمّهاتِهم﴾. فذكر الزّجاج إجماع القُرّاء على النصب في ﴿ما هن أمهاتِهم﴾ وأنه لم يقرأ أحد بالرفع[3].

ولكنّ هذا الإجماع لم يثبت، فقد رُوي أنّ عاصماً قرأ قوله تعالى: ﴿ما هُنَّ أمهاتُهُم﴾ بالرفع[4]، وأنَّ ابن مسعود قرأ قوله تعالى: ﴿ما هذا بشرٌ ﴾ بالرفع[5]. وبهاتين القراءتين يبطُلُ استدلالُ الزجّاج بما ذكره من إجماع القُراء على النصب، ولكنْ يبقى أن الجمهور يقرأ بالنصب، على وفق لغة أهل الحجاز، ولا غرابة في ذلك فهي الأسير استعمالاً كما ورد عند ابن جني[6].

وليس من شأن هذا البحث أن يؤيِّد قَوَّة الرفع أو النصب، فكُلٌّ من الوجهين هو لغةٌ لقوم من العرب، ولكنّه يذهب مع ابن جني في التوفيق بين اللغتين بقوله: " إلا أنّك إذا استعملت أنت شيئاً من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله، وهو اللغة الحجازيَّة؛ ألا ترى أنّ القرآن بها نزل، وأيضاً فمتى رابك في الحجازيّة رَيْبٌ من تقديم خبر، أو نقض النفي فزعْتَ إذ ذاك إلى التميمية، فكأنّك من الحجازيّة على حَرْفٍ، وإن كثُرَتْ في النظم والنثر"[7].

وأما القضية الثانية في هاتين اللغتين وهي نسبة كُلٍّ من الوجهين إلى قبيلة أو بيئة معينة؛ فقد رأينا الفرّاء ينسب النصب إلى أهل الحجاز، والرفع إلى أهل نجد[8]. ونسب الأخفش الرفع إلى تميم[9]، ونسب الزجّاج النصب إلى أهل الحجاز والرفع إلى تميم[10]، وكذلك النحاس نسب النصب إلى أهل الحجاز والرفع إلى تميم، ولكنّه نقل عن الكسائي أنّ الرفع لغة تهامة ونجد[11].

---

1 الكتاب : ج1 /57.
2 الخصائص : ج1 /125.
3 معاني القرآن وإعرابه : ج108/3.
4 مختصر في شواذ القرآن: 153.
5 البحر المحيط : ج5 / 304، وينظر : مُغني اللبيب : ج1 / 303.
6 الخصائص : ج1/ 125.
7 المصدر نفسه : ج1/ 125.
8 معاني القرآن : ج2/ 42، و ج3 /139.
9 معاني القرآن : ج1 / 129.
10 معاني القرآن وإعرابه : ج3 / 108.
11 إعراب القرآن : ج140/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما تقدَّم نرى اتفاقاً على نسبة النصب إلى أهل الحجاز، وأما الرفع فقد نُسب في الأكثر إلى تميم، ونسبه الفرّاء إلى أهل نجد، ونُقل عن الكسائي نسبته إلى تهامة ونجد.

ويُعلّل أحد الباحثين المحدثين الربط بين تميم ونجد وتهامة في لغة الرفع، بأنّ " النسبة إلى نجد وتهامة قد نقلت عن الكسائي، وهو عالم ثقة جاب الجزيرة وتنقّل بين قبائلها، ولقد كانت معظم مساكن تميم عند تسجيل اللغة في نجد، وكثيراً ما يذكر اللغويون نجداً ويعنون تميماً وحدها. أو هي وغيرها من جيرانها فكما سبق أن ذكرنا ذلك، وإنّ تهامة بيئة مقفلة يناسبها الإهمال، وكونها تشارك النجديين ومنهم تميم فهذا أمر طبيعي لتشابه البيئتين"[1].

ولكنّ إشارةً وردت عند ابن هشام في نسبة النصب إلى تهامة ونجد مع الحجاز" فإن دخلت[أي ما] على الجملة الاسمية أعملها الحجازيون والتهاميون والنجديون عمل ليس بشروط معروفة نحو (ما هذا بشراً) ، (ما هن أمهاتِهم) "[2]. فهذه الإشارة تحدُّ من القدرة على الفصل بين اللغتين على وفق الحدود الجغرافية، فقد ذُكرت تهامة ونجد مع الذين يُهملون (ما) ، ومع الذين يُعملونها. وتلفت هذه الإشارة أيضاً النظر إلى أن القبائل العربية قد تشترك في ظاهرة لغوية ما، مع كون قبيلة أو بيئة منها تغلب عليها هذه الظاهرة اللغوية. ويؤيد هذا ما جاءعند الفرزدق من إعمال (ما) وهو تميمي وما جاء عند عمر بن أبي ربيعة من إهمالها وهو حجازي[3].

وخلاصة ما أرى في نسبة هاتين اللغتين، أن يكون الإهمال شاع وانتشر في تميم مع وجوده في غيرها كتهامة وبعض قبائل نجد الأخرى، والإعمال شاع وانتشر في الحجاز مع وجوده في غيرها كتهامة ونجد أيضاً، ولهذا نُسب الإهمال إلى تميم وتهامة ونجد عند بعض العلماء، ونُسب الإعمال إلى الحجاز وتهامة ونجد عند آخرين.

8- تخفيف (إنَّ وكأنَّ) وإعمالهما :

ذُكرت لغة تخفيف (إنَّ) وإعمالها عند الأخفش في موضعين من كتابه، وعند النحاس في موضع واحد، وذُكر تخفيف (كأنَّ) وإعمالها عند الأخفش في موضع واحد من كتابه.

1 ضاحي عبد الباقي : لغة تميم، 508-509.
2 مغني اللبيب : ج1/ 303.
3 ينظر:تشيم رابين:اللهجات العربية القديمة : 331- 332، وأحمد علم الدين الجندي:اللهجات العربية في التراث: ج1 / 66- 67.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأمّا تخفيف (إنّ) وإعمالها، فيقول الأخفش فيه: " وقد زعموا أنّ بعضهم يقول: إنْ زيداً لمنطلقٌ، يُعملها على المعنى، وهي مثل : ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيهَا حَافِظٌ﴾[1]، يُقرأ بالنصب والرفع" [2]. ويقول في موضع آخر: " وقال: ﴿إِنْ هذانِ لَسَاحِرَانِ﴾[3] خفيفة في معنى ثقيلة، وهي لغة قوم يرفعون، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى (ما) " [4].

فالأخفش يقول إن لغة قوم الرفع بعد (إنْ) الخفيفة، ويُفهم من ذلك أن لغة غير هؤلاء القوم النصب، وهذا ما أشار إليه الأخفش في النص الأول. ومثل ذلك نصُّ النحاس الآتي: " ﴿ وَإِنْ كُلٌ لَمّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُوْنَ﴾ [5]. هذه (إنّ) الثقيلة في الأصل خُفِّفت فزال عملها في أكثر اللغات"[6].

وأما تخفيف (كأنّ) وإعمالها فقد ذكره الأخفش بقوله: " وقال ﴿كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾[7]، و: ﴿كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً﴾[8]، وهذا في الكلام كثير، وهي (كأنّ) الثقيلة، ولكنّه أضمر فيها وخفّف، كما تُخفَّف (إنّ) ويُضمر فيها، وإنما هي (كأنّه لم) ، وقال الشاعر[9]:

وَيْ كَأَنْ من يكن له نَشَبٌ يُحـ بَبْ ومن يفتقِرْ يعِشْ عَيْشَ ضُرّ

و كما قال[10] :. . ... كَأَنْ ثدياه حُقّان.

1 الطارق، 4.
2 معاني القرآن : ج1/ 112.
3 طه، 63.
4 معاني القرآن : ج2/ 408.
5 يس، 32.
6 إعراب القرآن : ج2 /719.
7 يونس، 12.
8 يونس، 45.
9 الشاهد في الكتاب : ج2/ 155 لزيد بن عمرو بن نفيل القرشي، و يبدو أنه جاهلي أو مخضرم لقول البغدادي فيه (خزانة الأدب ج225/2) : " كان قد تألّه في الجاهلية وترك عبادة الأصنام ". وهو يتحدث في البيت عن زوجتيه، وقبله :
سالاتاني الطلاقَ أنْ رأتاني قلَّ مالي، قد جئتُماني بنُكْرِ
وينظر : مجالس ثعلب: 322، و الخصائص : ج3/ 41، وشرح المفصل : ج4/ 76.
10 صدر البيت في الكتاب ج2 / 135 (ووجهٌ مشرقُ النحر) والبيت مجهول القائل، وقال عبد السلام هارون (الشاهد من الخمسين) وينظر : المنصف ج128/3، وشرح المفصل : ج82/8، وشرح الأشموني : ج1 / 147، وشرح قطر الندى : 158، وهمع الهوامع : ج456/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي: كأنَّه ثدياه حُقّان.

وقال بعضهم: (كأنْ ثدييهِ) [1]، فخفّفها وأعملها ولم يُضمر فيها، كما قال: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[2]، أراد معنى الثقيلة فأعملها كما يُعمل الثقيلة ولم يُضمر فيها" [3].

فالمسألة تكمن في أنَّ (إنَّ وكأنَّ) قد خُفِّفت نوناهما، وعملتا النصب في الاسم كما كانتا تعملان وهما ثقيلتان، ويؤكد ذلك ما قاله سيبويه : "حدثنا من نثق به، أنّه سمع من العرب من يقول: إنْ عمراً لمنطلقٌ. وأهل المدينة يقرأون: ﴿وَإِنْ كُلاً لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾[4]. يُخَفِّفون وينصبون، كما قالوا: كأنْ ثدييه حُقّان" [5]. وما قاله الزمخشري في (إنّ وأنَّ) : " وتخفّفان فيبطل عملهما ومن العرب من يُعملهما"[6].

فقد تبَيَّن أنَّ الإعمال مع التخفيف هو لغة لبعض العرب، غير أنّ النحاة واللغويين الذين ذكروا هذه اللغة لم ينسبها أحدٌ منهم إلى قبيلة أو بيئة معينة. وإنما كان يُكتفى بالقول أو الإشارة إلى أنّ الإعمال مع التخفيف لغة[7]، ولم أجد نسبة إلا في لسان العرب عن الليث أنّه قال : " فأمّا مَنْ خفّف فإنّه يرفع بها إلا أنّ ناساً من أهل الحجاز يخففون وينصبون على توهم الثقيلة، وقرئ: ﴿وإنْ كُلاً لَمَا لَيُوفيَّنهم﴾ خففوا ونصبوا " [8].

ولم أهتد إلى هذه النسبة في اللسان إلا من خلال إشارة رابين إليها[9]، ثمَّ هو يشكّكُ عند ذكرها بالقدرة على تأكيدها، يقول: " لا يمكن إنكار أنّه من الصعوبة بمكان البرهنة على صدق عبارة الليث، وقد يكون معناها الحقيقي أن الصيغ المخففة في حدّ ذاتها وُجدت في بيتها الأصلي وهو الحجاز "[10].

---

1 وهذه الرواية في الإنصاف : ج1/197، وفي شرح ابن عقيل : ج1/328، وفي اللسان : مادة (أنن) .
2 الطارق، 4. وفي معاني القرآن بتحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد : ج2/566 (أنْ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حَافِظٌ) وهذا يستقيم مع قول الأخفش إنّه خفف وأعمل، ولم يُذكَر أنّ أحداً قرأ بالتخفيف مع النصب.
3 معاني القرآن : ج2 / 341- 342.
4 هود، 111.
5 الكتاب : ج2 / 140.
6 شرح المفصل : ج8/ 71.
7 ينظر : الكتاب : ج2 / 140، والمنصف : ج3/ 128، والإنصاف : ج1/ 196، وشرح المفصل : ج8/ 71، وشرح ابن عقيل : ج1 / 317، ومغني اللبيب : ج1/ 24.
8 اللسان : مادة (أنن) .
9 اللهجات العربية القديمة : 318-319.
10 المصدر نفسه : 319.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاللغة قد نسبت إلى أهل الحجاز، ولم تُنسب إلى غيرهم، مما يشير إلى أنّ بيئة الحجاز قد تكون هي بيئة هذه اللغة، ويمكن أن تكون هذه البيئة قد احتفظت بالصورة الأولى لـ (إنّ) وهي (إنْ) المخفّفة التي تطورت عنها الثقيلة، وهذا ما ذهب إليه (ركندورف) ووافقه عليه رابين[1]، ذلك أنّ المظاهر اللهجية قد تكون صورة قديمة للصورة التي جاءت في الفصيحة، ثُمّ حافظت عليها قبيلة أو بيئة معينة دون غيرها. فتكون الصورة المخففة هي الأصل الذي حافظت عليه لغة أهل الحجاز.

وإذا رجعنا إلى رأي النحاة في تخفيف (إنَّ) وإعمالها، وجدناهم فريقين[2]: الكوفيين وهي لا تعمل عندهم، والبصريين وهي تعمل. وكان من شواهد[3] البصريين على إعمالها الآية التي استشهد بها سيبويه قبل قليل: ﴿وإن كُلاًّ لَمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾[4]. في قراءة من قرأ بالتخفيف[5]. وما صحَّ عن العرب من قولهم: (إلا أنْ أخاك ذاهب) . واستشهدوا أيضاً بقول الشاعر:

وصَدْرٍ مُشرِقِ النَحْرِ كأنْ ثدييه حُقَّانِ

وقول الآخر[6] :

كأنْ وريديْهِ رشاءا خُلْبِ

فهذه شواهد كافية في الدلالة على إعمال (إنْ) مع التخفيف في الاسم الظاهر، وأنها لغة تكلم بها العرب وإن لم يُحدَّد فيها مكان هؤلاء القوم أو قبيلتهم.

وفي مقابل شواهد البصريين السابقة، نجد الكوفيين يتمسكون بأدلة عقلية[7] على إهمال (إنْ) المخففة، من مثل قولهم إنَّ (إنَّ) قد عملت لأنها أشبهت الفعل في كونها على ثلاثة أحرف،

---

1 اللهجات العربية القديمة : 325.
2 الإنصاف : ج1 / 195.
3 ينظر في هذه الشواهد : الإنصاف ج 1/ 196 وما بعدها.
4 هود، 111.
5 في الكتاب : ج2/ 140 أنها قراءة أهل المدينة، وفي الإنصاف : ج1/ 196 هي قراءة نافع وابن كثير، وروى أبو بكر عن عاصم بتخفيف (إنْ) وتشديد (لمّا) .
6 ملحقات ديوان رؤبة : 169 والرواية فيه:
يَسُوقُها أعْيَسُ هدّارٌ يبب إذا دعاها أقبلتْ لا تَثَّئِبْ
كأنْ وريديه رشاءٌ خُلُبْ
وهو من الأبيات المفردة المنسوبة إلى رؤبة، وبعضها إلى أبيه، وينظر : الكتاب : ج164/3، والإنصاف : ج198/1 وشرح المفصل: ج83/8، وشرح التوضيح على التصريح : ج333/1.
7 ينظر : الإنصاف : ج1/ 195.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا خُفِّفت زال شبهها، فبطل عملها، وأنَّ (إنّ) المشدّدة من عوامل الأسماء، والمخفّفة من عوامل الأفعال، ولا ينبغي أن تعمل عوامل إحداهما في الأخرى، ولهذا وجب إهمال (إنْ) المخففة.

فمن قال إن للُّغة منطقاً يقبل وجود الشبه بين (إنَّ) والفعل أو عدم وجوده ؟ وأنّه متى وُجِد الشبه أُعملت ومتى زال أُهملت ؟ ولعلَّ بعض أبناء اللغة يميل إلى التخفيف، ويميل بعضهم الآخر إلى التثقيل، كُلٌّ بحسب ما تتطلبُ بيئته وحياته من يُسْرٍ وخِفَّة، أو عُنف وشدَّة[1].

وقد عهدنا الكوفيين يميلون إلى الاعتداد بالنصوص والشواهد، ويبنون عليها القواعد[2]، ولكنّهم في هذه المسألة يتمسكون بالقاعدة ثُمَّ يحاولون تأويل الشواهد بما ينسجم مع قاعدتهم، مع أنّ هذه الشواهد ترجع إلى لغة من لغات العرب.

9- التأنيث والتذكير :

نتناول هذه القضية في مجال النحو لعلاقتها بتركيب الجملة، فالفعل يؤنّث أو يُذكَّر بحسب جنس الفاعل؛ نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِم السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾[3]، والصفة قد تؤنّث أو تُذكّر بحسب جنس الموصوف، نحو قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِرَاطَ المُسْتَقِيْمَ﴾[4]، والضمير العائد قد يكون مذكراً أو مؤنثاً بحسب الاسم الذي يعود عليه، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾[5]. ومن هنا فإنَّ مجال التراكيب معنيٌّ بدراسة قضيَّة التذكير والتأنيث، وإن كانت تبدو قضيّة صرفيّة لأنّها تتعلّق ببِنية الكلمة.

ومن الأسماء التي ذكر العلماء أنَّ فيها لغتين؛ التذكير والتأنيث :

- السماء : قال الفرّاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾[6]: " ومن العرب من يُذكّر السماء، لأنّه جمع كأنَّ واحدته سماوة أو سماءة. قال: وأنشدني بعضهم [7]:

فلو رفع السماءُ إليه قوماً لحِقْنا بالسماءِ مع السحاب"[8]

1 ينظر : إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية : 89، وأحمد علم الدين الجندي : اللهجات العربية في التراث : ج2/ 657.
2 ينظر : مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة : 377 وما بعدها.
3 الدخان، 29.
4 الفاتحة، 6.
5 الجن، 13.
6 البقرة، 212.
7 مجالس العلماء : 75، واللسان؛ مادة (سما) ، والبيت بلا نسبة.
8 معاني القرآن : ج1/ 128.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال النّحاس في إعراب قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾[1]: " وجاء بكَتْ على تأنيث السماء. وزعم الفرّاء : أنَّ من العرب من يُذكّرها "[2].

- **النحْل**: قال الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَحْلِ أَنْ اتّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً﴾[3] : "على التأنيث في لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول: هو النحل، وكذلك كلُّ جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء، نحو: البُرُّ والشعير، هو في لغتهم مؤنّث "[4].

- **النخل**: قال النحاس في إعراب قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُم أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[5]: "النخل تُذكَّر وتؤنث لغتان جاء بهما القرآن"[6].

- **الهُدى** : قال النحاس في إعراب قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيْهِ هُدَىً لِلْمُتَقِينَ﴾[7]: " قال الفرّاء : بعض بني أسد يؤنِّث الهدى فيقول : هذه هدى حسنة"[8]. وقال الأخفش: " وبنو أسد يؤنّثون الهدى"[9].

- **الصراط والطريق والسبيل والزُّقاق والسوق والكَلّاء**[10]:

قال الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾[11] : " وأهل الحجاز يؤنثون (الصّراط) ، كما يؤنثون: الطريق والسبيل والزُّقاق والسوق والكَلاَّء، وبنو تميم يُذكّرون هذا كلّه"[12].

- **العنكبوت** : قال الفرَّاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوْتِ اتّخَذَتْ بَيْتاً﴾[13] :

---

1 الدخان، 29.
2 إعراب القرآن : ج113/3 ، وينظر : 602، و643.
3 النحل، 68.
4 معاني القرآن : ج384/2، وينظر : ج105/1.
5 القمر، 20.
6 إعراب القرآن : ج288/3.
7 البقرة، 2.
8 إعراب القرآن : ج130/1، وينظر : ج524/3.
9 معاني القرآن : ج17/1.
10 جاء في لسان العرب، مادة (زقق) أن الكلّاء سوق البصرة.
11 الفاتحة، 6.
12 معاني القرآن : ج17/1، وينظر : ج276/2و 381، و إعراب القرآن : ج0123/1
13 العنكبوت : 41.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" العنكبوت أُنثى. وقد يُذكّرها بعض العرب. قال الشاعر[1]:

على هطَّالِهم منهم بيوتٌ كأنَّ العنكبوتَ هو ابتناها " [2].

- اللِسان: قال النحاس في إعراب قوله تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُم الكَذِبَ﴾[3]: " جَمْعُ لِسانٍ على لغة من ذكَّر اللسان، ومن أنَّث قال: ألسُنٌ "[4].

- الصُواع: قال النحاس في إعراب قوله تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيْهِ ثُمَ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيْهِ﴾[5]: "فأنَّثَ، ففيه ثلاثة أقوال: منها أن يكون الكناية للصُواع على لغة من أنَّث، ومنها أن يكون للسقاية، والجواب الثالث أن يكون للسرقة "[6].

- الذراع: قال النحاس في إعراب قوله تعالى: ﴿ ثُمَ فِيْ سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُوْنَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوْه﴾[7]: " الذراع مؤنّثة كما قال: وهي ثلاثُ أذرُعٍ وإصبعُ. وحكى الفرّاء أنّ بعض عُكل يذكّرها، وقد حكى ذلك غيره"[8].

هذه هي الأسماء التي جاءت مؤنثةً ومذكرةً في كتب إعراب القرآن ومعانيه، وقد ذكر العلماء أنّ هذه الأسماء تؤنث في لغة بعض القبائل وتُذكَّر في لغة قبائل أُخرى، ومن هذه القبائل ما ذكره العلماء، ومنها ما لم يذكروه، كقول الفرّاء: " العنكبوت أُنثى، وقد يذكرها بعض العرب"[1].

ولعلَّ القبائل العربيّة قد اختلفت في نظرتها إلى الأشياء من حيث الجنس، فمنها من رأى في العنكبوت مثلاً أنّه أُنثى فأنّثه، ومنهم من رأى أنّه مذكَّر فذكّره، وكذلك غيره من الأسماء كالسماء والسوق والسبيل والصراط وغيرها. بعض القبائل يؤنّث وبعضها يُذكّر، كلٌّ بحسَبِ نظرته إلى الأشياء المُسمَّاة بهذه الأسماء.

وقد تكون الإشارات المتكررة في كتب اللغة والنحو والمعاجم إلى أنّ أهل الحجاز يُؤنّثون، وأهل نجد وتميم يُذكّرون مما يؤيِّد مسألة الاختلاف في النظرة بين قبائل الحجاز من

1 البيت في اللسان : مادة (عنكب) ومادة (هطل) ، وتهذيب اللغة : مادة (هطل) ، وتاج العروس : مادة (عنكب) ومادة (هطل) ، وهو بلا نسبة في هذه المعاجم.
2 معاني القرآن : ج317/2.
3 النحل، 62.
4 إعراب القرآن : ج2/ 214، وينظر : 318، و ج346/1.
5 يوسف، 76.
6 إعراب القرآن : ج151/2.
7 الحاقة، 32.
8 إعراب القرآن : ج500/3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جهة، وقبائل نجد وتميم من جهةٍ أُخرى، فقد جاء في نصِّ الأخفش الذي قدمناه قبل قليل أنّ " أهل الحجاز يؤنثون الصراط، كما يؤنثون الطريق والسبيل والزُّقاق والسوق والكَلأ، وبنو تميم يُذكّرون هذا كُلّه"[2]. وقد جاء في الأضداد للسجستاني: "النخل: يؤنثه أهل الحجاز ويذكره سائر الناس" [3]. وجاء في المصباح : " الصاع يُذكَّر ويؤنَّث. قال الفرّاء: أهل الحجاز يؤنثون الصاع ويجمعونها على أصوُع، وفي الكثرة على صِيعان، وبنو أسد وأهل نجد يُذكّرون ويجمعون على أصواع. وربّما أنّثها بعض بني أسد، وقال الزجّاج: التذكير أفصح عند العلماء" [4]. وجاء فيه أيضاً: " والعجُز من الرجل والمرأة: ما بين الوركين، وهي مؤنثة وبنو تميم يذكرون"[5].

فنصوص العلماء هذه تشير إلى أنّ أهل الحجاز يميلون إلى التأنيث في نظرتهم إلى الأشياء، على عكس أهل نجد وبني تميم الذين يميلون إلى التذكير في نظرتهم إلى الأشياء نفسها، وربّما كان أهل الحجاز الذين يسكنون بيئة حضريّة قد مالوا إلى التأنيث لِما فيه من رقّةٍ ونعومة تتلاءم مع بيئة الحضر التي تنعم فيها الأُنثى بحضور بارز لا تضاهيها فيه المرأة في بيئة البداوة، فالمرأة قد تُشارك الرجل في البيئة الحضرية بالكثير من أعماله ومظاهر حياته كالزراعة والتجارة ومجالس اللهو والسير في الأسواق، مما يُفسِّر تأنيثهم للأشياء.

وبعكس ذلك تكون البيئة البدوية بما فيها من قسوة العيش وصعوبته، مما يجعل المجتمع البدوي أكثر اعتماداً على الذكور، إذْ لا تحظى المرأة فيه بالمكانة التي يحظى بها الرجل، ولذا فقد يكون ميل أبناء هذا المجتمع إلى تذكير الأشياء مُنطلقاً من هذا الجانب، فهم يحبون الذكور ويعتمدون عليهم في التغلُّب على قسوة البيئة.

و مما يؤيِّد هذه النظرة أنّ أهل هاتين البيئتين لم يقف بهم الأمر في التأنيث والتذكير عند أسماء مُعيّنة كالتي أشار إليها العلماء في النصوص المتقدمة، بل يكاد التأنيث يبلغ حدَّ القياس في بعض الأسماء عند أهل الحجاز، وكذلك التذكير عند تميم وأهل نجد، فاسم الجمع، وهو كل جمع يُفرق بينه وبين مفرده بالتاء يؤنِّث أهلُ الحجاز أكثرَه، ويُذكِّر ذلك بنو تميم وأهل نجد فقال الأخفش في (النخل) : " التأنيث في لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول : هو النخل، وكذلك كل جمع

---

1 معاني القرآن : ج317/2.
2 معاني القرآن : ج17/1، وينظر : ج276/2، واللسان : مادة (زقق) .
3 الأضداد : 75.
4 المصباح المنير : مادة (صوع) .
5 المصدر نفسه : مادة (عجز) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس بينه وبين واحده إلا الهاء، نحو البُرُّ والشعير، هو في لغتهم مؤنث"[1]. وجاء في التسهيل: " الجنس المميز واحده بها [أي تاء التأنيث] يؤنثه الحجازيون، ويُذكّره التميميون و النجديون"[2].

وقد نجد شذوذاً في ميل بعض القبائل البدوية إلى تأنيث بعض الأسماء، كما جاء عند الأخفش في ما تقدَّم من قوله: " وبنو أسد يؤنثون الهُدى"[3]، فربّما كان هذا من قياس الهدى على (الهداية) وهي مُرادفة لها، إلاّ أنّ الظاهرة العامّة تشير إلى أنّ التأنيث من سمة أهل الحجاز، والتذكير من سمة نجد وتميم ومن جاورهم من القبائل البدوية كأسد.

ولا يستطيع البحث أن يقطع القول بأنّ التأنيث في الحجاز بأثر من البيئة الحضرية، وأنّ التذكير في تميم ونجد بأثر من بيئتهم البدويّة؛ لأنَّ مسألة التأنيث والتذكير ذات جوانب متعدّدة ومتشابكة، قال فيها برجسترسر: " التأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو ومسائلهما عديدة مشكلة "[4]، وقال إبراهيم السامرّائي: " التأنيث والتذكير مادة غير مستقرة في اللغات الساميَّة "[5]. فالتأنيث في اللغة العربية قد يكون بالعلامات المعروفة (التاء والألف المقصورة والممدودة) ، وقد يكون بغير العلامة نحو (أتان وفرس) ، والصفات التي تختص بها المرأة نحو (حامل وطالق) ، وقد تلحق (التاء) صفات المذكر نحو (علّامة وراوية) ، وقد يُجمع المفرد المذكر بزيادة الألف والتاء، وهما علامة جمع المؤنَّث السالم، مثل (سنَد و سندات وموضوع وموضوعات) .

وإذا كانت هذه حال التأنيث والتذكير، فإنّنا لا نستطيع أن نتابع من قال إنّ لغة الحجاز أكثر محافظةً على القديم؛ بحجَّة أنّ كثيراً من الألفاظ المؤنَّثة في لغتهم هي مؤنّثة في بعض اللغات الساميَّة[6]. إذ إنّه من غير المقنع أن يكون تأنيث أهل الحجاز لكلمة (تمر) هو محافظة على تأنيثها في الساميّة، بدليل أنّ (تامار) وهي (التمر) مؤنّثة في عبريّة المشناه [7]. فهُم إنْ أنّثوا (التمر) محافظة على تأنيثها في السامية، فلماذا أنّثوا كل جمع مثلها يُميّزُ بينه وبين مفرده بالتاء؟

لقد ناقش إبراهيم أنيس مسألة التطور اللغوي والمُحافظة على القديم بين لغة أهل الحضر وأهل البادية، ووصل إلى أن في كلٍّ منهما عوامل تجديد وعوامل محافظة، غير أنّ قوة التطوُّر والتجديد في البيئة الحضرية ليست كقوّتها في البيئة البدويّة[8].

---

[1] معاني القرآن : ج384/2، وينظر : ج105/1.
[2] التسهيل: 254، وينظر : المزهر: ج277/2، وتهذيب اللغة : مادة (شجر) ، والمصباح : مادة (نخل) .
[3] معاني القرآن : ج17/1.
[4] التطور النحوي للغة العربية : 73.
[5] من سعة العربية: 133.
[6] تشيم رابين : اللهجات العربية القديمة: 316.
[7] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
[8] في اللهجات العربية : 86 –90.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع ذلك فإنّ سمة التأنيث الغالبة على أهل الحجاز تثير الغرابة إن عددنا مظاهرها كلها محافظةً على خصائص السامية القديمة؛ ففي أهل الحجاز، وهم حضر وفي اختلاطهم بغيرهم مدعاة إلى التطور والتجديد، ولا يُعقل أن يتمسكوا بالقديم هذا التمسُّك في مقابل التطور عند إخوانهم أبناء نجد وتميم الذين يذكّرون كثيراً مما جاء مؤنّثاً عند أهل الحجاز.

ولعلّ الترجيح بأن يكون الاختلاف بين البيئتين في التأنيث والتذكير ناتجاً عن اختلافهما في النظرة إلى الأشياء هو الأكثر إقناعاً، وإن كانت القبائل العربية قد تابعت في تأنيث بعض الأسماء وتذكيرها موروث اللغة السامية القديمة، فليس معقولاً أن تنفصل القبائل عن ماضيها اللغوي، ولكن متابعة بيئة الحجاز - بمافيها من مظاهر الحضارة – للتأنيث والتذكير في اللغة السامية ليس معقولاً كذلك؛ إذ هم قوم لهم حاضرهم ومستجدات حياتهم، ولهم تأثُّرهم بغيرهم.

10- اسم (لا) النافية للجنس والمعطوف عليه :

ذكر الأخفش أن بعض العرب يرفع اسم (لا) النافية للجنس وما يُعطفُ عليه، فقال: " وقوله: ﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَفُسُوقَ وَ لاَجِدَالَ فِي الحَجِّ﴾ [1]، فالوجه النصب، لأنّ هذا نفيٌ، ولأنه كلَّه نكرة. وقد قال قوم: ﴿فلا رفثٌ ولا فُسوقٌ ولا جدالٌ في الحج﴾[2]، فرفعوه كله وذلك أنّه قد يكون هذا المنصوب كلّه مرفوعاً في بعض كلام العرب. قال الشاعر[3]:

وما صرمتْكِ حتى قُلتِ معلنةً لا ناقةٌ لي في هذا ولا جملُ "[4].

1 البقرة، 197.

2 قال أبو حيان في البحر المحيط: ج 2 / 96: " قرأ أبو جعفر بالرفع والتنوين في الثلاثة، ورويت عن عاصم في بعض الطرق، وهو طريق المفضّل عن عاصم ".

3 البيت للراعي النميري، ديوانه: 198، وينظر الكتاب: ج2/ 295، وشرح التصريح على التوضيح ج1/ 345، وشرح الأشموني ج152/1، وشرح المفصل: ج111/2.

4 معاني القرآن: ج24/1

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاسم (لا) النافية للجنس إن كان مفرداً [أي ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف] يُبنى على ما كان يُنصب به ما لم يكرَّر، وأما إن كُرِّر فقد أجاز النحاة رفعه بالابتداء، أو على إعمال (لا) عمل (ليس) [1]. ولم يذكروا أنه لغة لبعض العرب، قال ابن يعيش: " ولم يجُز الرفع في الإفراد وجاز مع التكرير، وقوله تعالى: ﴿ فَلا رَفَثٌ وَلا فُسوقٌ﴾وقوله تعالى: ﴿لا بَيْعٌ فِيْهِ وَلا خُلَّـةٌ ﴾[2] شاهد لجواز الرفع مع التكرير"[3].

وهذه اللغة التي ذكرها الأخفش في نصِّه السابق لم ترد الإشارة إليها في المصادر على أنها لغة للعرب، ولهذا لم تُنسب إلى قوم معينين من العرب.

1 ينظر: الكتاب: ج296/2 وشرح التصريح على التوضيح: ج345/1.
2 البقرة، 254.
3 شرح المفصل: ج111/2، وينظر: مغني اللبيب: ج239/1، وشرح الأشموني: ج152/1، وشرح ابن عقيل: ج339/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني- قضايا متعلقات الإسناد:

1. إعمال القول عمل الظن :

أشار إلى هذه اللغة ثلاثة من العلماء، هم : الأخفش، والزجّاج، والنحّاس. فأما الأخفش والنحّاس فلم ينسبا هذه اللغة، وإنما اكتفيا بالإشارة إلى أن بعض العرب يفتح همزة (إ نّ) بعد القول، لأنهم يجرون القول مجرى الظن، فقال الأخفش : " لأن كل شيء بعد القول حكاية، تقول: (قلت: عبدُ اللهِ منطلقٌ) ، و (قلت : إنّ زيداً منطلقٌ) ، إلا في لغة مَنْ أعمل القول مِن العرب كعمل الظنّ، فذاك ينبغي أن يفتح (أنّ) "[1].

وأما النحّاس فقد أشار إلى هذه اللغة في مواضع متعددة[2]، فقال في إعراب قوله تعالى : ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[3]. : "وزعم سيبويه أنّ من العرب مَنْ يجري القول مجرى الظنّ، وهي حكاية أبي الخطّاب فعلى هذا (أني أعلم) . "[4]

والنحّاس يشير في هذا النص إلى ما ورد عند سيبويه من قوله : " وزعم أبو الخطّاب – وسألته عنه غير مرّة – أن ناساً من العرب يُوثق بعربيتهم، وهم بنو سُليم، يجعلون باب (قلتُ) أجمع مثل (ظننتُ) "[5]، ولكن النحّاس لم يذكر ما جاء عند سيبويه من أنّ بني سُليم هم الذين يجعلون باب (قال) كباب (ظنّ) ، بل اكتفى بالقول (إنَّ من العرب من يجري القول مجرى الظن) ، ثم عاد فوصف هذه اللغة بأنها شاذَّة في موضع آخر من كتابه[6].

وأما الزجاج فقد نسب هذه اللغة إلى بني سُلَيم ثم ذكر أنها لغة لا يجوز أن يوجد شيء منها في كتاب الله عزّ وجلّ، فقال : " إلا أنّ قوماً من العرب، وهم بنو سُلَيم، يجعلون باب (قلت) أجمع كباب (ظننت) ، فيقولون : قلتُ زيداً منطلقاً، فهذه لغة لا يجوز أن يوجد شيء منها في كتاب الله عزّ وجلّ، ولا يجوز (قال أنّه يقول أنّها) ، لا يجوز إلا الكسر "[7].

---

1 معاني القرآن: ج109/1.
2 إعراب القرآن: ج381/1 و 468، و ج376/2 و 525 و 637، و ج160/3.
3 البقرة، 33.
4 إعراب القرآن : ج161/1.
5 الكتاب: ج124/1، وينظر : شرح الأشموني : ج165/1.
6 ينظر: إعراب القرآن : ج376/2
7 معاني القرآن وإعرابه : ج151/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أنّ المرجع في نسبة هذه اللغة إلى بني سُليم[1] هو سيبويه في النصّ الذي تقدَّمت الإشارة إليه، إذ إنه أول من نسب هذه اللغة إلى بني سُليم، فنسبها العلماء بعده إليهم، ولم ينسبها أحد إلى غيرهم.

وتتمثل هذه اللغة في مظهرين : أولهما أن يَنْصِب فعل القول، مطلقا[2]، مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر كما تنصب (ظنّ) ، ومن ذلك الشاهد الذي ذكره ابن عقيل[3]:

قالتْ وكنت رجلاً فطينا: هذا لعمرُ اللهِ إسرائينا

وثاني هذين المظهرين هو فتح همزة (إنَّ) بعد القول، من ذلك ما أشار إليه النحاس عند إعراب قوله تعالى : "﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾[4]، فقال : " كُسرت (إنَّ) لأنها مبتدأة بعد القول، ومن العرب من يفتحها فيُعملُ فيها القول "[5]. وكان سيبويه من قبل قد ذكر أن الذين يفتحون همزة (إنَّ) بعد القول يجعلون (القول) مثل (الظن) فقال : " وسألت يونس عن قوله : متى تقول أنه مُنطلق ؟ فقال : إذا لم تُرد الحكاية وجعلت (تقول) مثل (تظن) ، قلت : متى تقول أنّك ذاهب. وإنْ أردْتَ الحكاية قلت : متى تقول إنّك ذاهب "[6].

ويمكن لنا القول إن في العربية سعةً من خلال هذه اللغة تجعل فتح همزة (إنَّ) بعد القول، أو نصب الاسمين بعد فعل القول وجهاً كان جائزاً في العربية في مرحلة من عُمرها. ثم نحن اليوم لا نقول بجواز التحدُّث بهذا الوجه، ولكنَّا لا نؤيِّد من يقول إنّه خطأ.

---

1 ينظر أيضاً في نسبة هذه اللغة إلى بني سُليم : اللسان : مادة (قول) ، وشرح ابن عقيل: ج375/1.

2 نقول مطلقاً لأن مذهب عامة العرب أن يجرى القول مجرى الظن بشروط أربعة، هي : أن يكون الفعل مضارعاً، وأن يكون للمخاطب، وأن يُسبق باستفهام، وأن لا يُفصل بين الفعل والاستفهام بغير ظرف ولا مجرور ولا معمول الفعل. ينظر : شرح ابن عقيل : ج372/1.

3 ج375/1، وقد ذكر إبراهيم السامرائي أمثلة من الحديث الشريف على هذه اللغة، ينظر: من سعة العربية : 102-103.

4 النمل، 44.

5 إعراب القرآن : ج525/2.

6 الكتاب : ج142/3، ويُنظر : شرح الأشموني : ج1/ 165

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2- الاستثناء :

ظهرت في مبحث الاستثناء مسألتان :

أ- نصب المستثنى أو إتباعه في الاستثناء المنقطع المنفي.

ب- نصب (غير) مطلقاً إذا كانت بمعنى (إلا) ، أو إعرابها.

ونتناول هنا بالتحليل كل مسألةٍ منهما منفصلة عن الأخرى.

أ - نصب المستثنى أو إتباعه في الاستثناء المنقطع المنفي :

لقد تحدّث الفرّاء والأخفش عن هذه المسألة؛ فأما الفرّاء فقد تحدّث عنها في موضعين، الأول عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَولا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إلا قَوْمَ يُونُسَ﴾[1]. فذكر النصب في المثال (ما فيها أحدٌ إلا كلباً وحماراً) ، والنصب في قوله تعالى : ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلا اتّباعَ الظَنِّ ﴾"[2] ثم قال : " والنصب في هذا النوع المختلف من كلام أهل الحجاز، والإتباع من كلام تميم "[3]. والموضع الثاني عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾[4] فقال : " والعرب تقول : ما في الدار إلا أكلباً وأحمرة، وهي لغة لأهل الحجاز، ويتبعون آخر الكلام أوّله فيرفعون في الرفع، وقال الشاعر في ذلك[5]:

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلا اليعافير وإلا العيسُ

فرفع، ولو رفع ﴿إلا ابتغاء وجه ربّه﴾ رافعٌ [6] لم يكن خطأ؛ لأنك لو ألقيت من: (من النعمة) لقلت: ما لأحدٍ عنده نعمةٌ تُجزى إلا ابتغاء، فيكون الرفع على اتباع المعنى، كما تقول: ما أتاني من أحدٍ إلا أبوك "[7].

1 يونس، 98.
2 النساء، 157.
3 معاني القرآن : ج480/1.
4 الليل، 19.
5 البيت لجران العوْد النميري: ديوانه :52، ويُنظر: الكتاب ج263/1 وج322/2، والإنصاف: ج271/1.
6 قرأ ابن وثّاب بالرفع. البحر المحيط ج479/8.
7 معاني القرآن: ج273/3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الأخفش فقد تحدّث عن نصب المستثنى أو إتباعه في الاستثناء المنقطع عند تفسير قوله تعالى : ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم﴾[1]، فقال : " وقد قرأ قوم (غيرَ المغضوب عليهم) ، جعلوه على الاستثناء الخارج من أوّلِ الكلام، ولذلك تفسير سنذكره إن شاء الله. وذلك أنّه إذا استثنى شيئاً ليس من أول الكلام في لغة أهل الحجاز، فإنّه ينصب، يقول : ما فيها أحدٌ إلا حماراً. وغيرهم يقول هذا بمنزلة ما هو من الأول، فيرفع. فذا يجُرُّ (غير المغضوب) في لغته "[2].

نجد في النصوص الثلاثة السابقة للفرّاء والأخفش أنّ الفرّاء ينسب نصب المستثنى في الاستثناء المنقطع المنفي إلى أهل الحجاز، وينسب إتباع المستثنى لما قبل (إلاّ) إلى بني تميم، وأما الأخفش فهو ينسب النصب إلى أهل الحجاز، والإتباعَ إلى غيرهم من غير أن يحدِّد من هم (غيرهم) ، وإن كانت تبدو الإشارة واضحة إلى بني تميم من خلال تأكيد المصادر الأخرى نسبة الإتباع إلى بني تميم؛ فقد نسب سيبويه النصب إلى أهل الحجاز [3]، ثُمَّ ذكر المثال: (ماله عليه سلطانٌ إلا التكلُّفَ) ، وقوله تعالى : ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلا اتّبَاع الظَنِّ﴾[4]. وبيت النابغة[5]:

حلفتُ يميناً غيرَ ذي مثنويَّةٍ ولا عِلْمَ إلا حُسْنَ ظنٍّ بصاحبِ

وقال بعد ذلك : " وأما بنو تميم فيرفعون هذا كُلَّه، يجعلون اتّباع الظن عِلْمَهم، وحُسْنَ الظنِّ عِلْمَه، والتكلُّفَ سلطانه"[6]. وجاء كذلك عند ابن يعيش: " ومذهب بني تميم وهو أن يجيزوا فيه البدل والنصب "[7].

وقد التفت أحد الباحثين المحدثين إلى مفارقة بين قول سيبويه السابق (وأما بنو تميم فيرفعون هذا كُلَّه) وقول ابن يعيش إنهم يجيزون البدل والنصب، وتتمثل المفارقة في أنَّ كِلا العالمين ينسب الإتباع إلى تميم، ولكنّ ابن يعيش يقول بأنهم يجيزون الإتباع أو النصب، أما سيبويه فهو لم يذكر أنَّ تميم تنصب، ولكنَّه قال إنهم يرفعون هذا كُلَّه، ففُهم ضمناً من عبارته أنهم يُتبعون ولا يجيزون النصب. وقد قال الباحث في ذلك : " ولا نستطيع أن نجزم أي الرأيين هو الصواب، لأننا لا نجد نصوصاً تميمية كثيرة تعيننا على اتخاذ رأي حاسم، وإن كنت أميل إلى

1 الفاتحة، 7.
2 معاني القرآن: ج18/1.
3 الكتاب: ج319/2، و321.
4 النساء، 157.
5 ديوانه: 44، والبيت فيه برفع (حُسْنُ)، والخصائص: ج228/2، وخزانة الأدب: ج329/3.
6 الكتاب: ج323/2.
7 شرح المفصل: ج80/2، ويُنظر: شرح ابن عقيل: ج498/1، وشرح الأشموني: ج229/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرأي الأول [رأي سيبويه] وهو التزام تميم بالإتباع، لأنه ورد عند علماء متقدمين مشهود لهم بتحري الدقة "[1].

ولا أؤيِّد الباحث في ما ذهب إليه؛ ذلك أنّ العلماء [2] الذين نسبوا إجازة الإتباع والنصب إلى تميم قد عُرفوا بتحري الدقة أيضاً، ولكنني أميل إلى أنَّ النصب كان شائعاً في الحجاز كما ورد عند العلماء، مع شيوعه أيضاً في قبائل أخرى منها بعض بني تميم، وكذلك الإتباع كان شائعاً في كثير من بني تميم وفي قبائل أخرى، " فليس بنو تميم وحدهم في تجويز الإتباع هنا، فهذا جِران العوْد النُميري يقول[3]:

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ

كما يقول ضرار بن الأزور في يوم اليمامة[4] :

عشيّة لا تُغني الرماحُ مكانَها ولا النبلُ إلا المشرفيُّ المصمِّمُ

وضرار شاعر من بني أسد، ومثله قول الأخطل التغلبي[5]:

فرابية السكران قفرٌ فما لهم بها شبحٌ إلا سِلامٌ وحرملُ

والسِلام: الحجارة. والحرمل: شجر. ومثله قول سعد بن مالك بن ضبيعة، جد طرفة بن العبد البكري[6]:

والحرب لا يُبقي لجا حِمِها التخيُّلُ والمِراحُ

إلا الفتى الصبَّارُ في النَجَداتِ والفرسُ الوَقَاحُ

فهذه الأبيات –كما ترى – لشعراء من نُمير، وأسد، وتغلب وبكر"[7]. فلمّا رأى النحاة شيوع الإتباع في بني تميم، ووجود النصب عند بعض تميم على لغة الحجازيين، ذهبوا إلى القول إن بني تميم يجيزون الإتباع والنصب .

1 ضاحي عبد الباقي : لغة تميم : 531، ومن العلماء المتقدمين الذين نسبوا الإتباع لتميم : المبرد : المقتضب : ج413/4، وابن جني : اللمع : 67.
2 كابن يعيش، وابن عقيل : ج498/1، والأشموني في شرحه : ج229/1.
3 ورد الشاهد قبل قليل.
4 ينظر : الكتاب : ج325/2، وخزانة الأدب : ج318/3.
5 ديوانه : 20.
6 الكتاب : ج324/2، وخزانة الأدب : ج470/1 وج317/2.
7 رمضان عبد التواب : بحوث ومقالات في اللغة : 154 –155.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - نصب (غير) مطلقاً إذا كانت بمعنى (إلا) ، أو إعرابها[1]:

تعرب (غير) إعراب ما بعد (إلا) : " فتقول : (قام القومُ غيرَ زيدٍ) بنصب (غير) كما تقول : (قام القوم إلا زيداً) بنصب (زيد) ، وتقول : (ما قام أحدٌ غيرُ زيدٍ، وغيرَ زيدٍ) بالإتباع والنصب، والمختار الإتباع، كما تقول : (ما قام أحدٌ إلا زيدٌ، وإلا زيدا) وتقول (ما قام غيرُ زيدٍ) فترفع (غير) وجوباً كما تقول: (ما قام إلا زيدٌ) برفعه وجوباً، وتقول : (ما قام أحدٌ غيرَ حمارٍ) بنصب (غير) عند غير بني تميم، وبالإتباع عند بني تميم، كما تفعل في قولك: (ما قام أحدٌ إلا حمارٌ، وإلا حماراً) "[2]. وهذا الذي تقدّم في (غير) هو المشهور عند النحويين، إلا أنَّ الفرّاء ذكر أنَّ " بعض بني أسد وقضاعة إذا كانت (غير) في معنى (إلا) نصبوها، تمَّ الكلام قبلها أو لم يتمّ، فيقولون : ما جاءني غيرَكَ، وما أتاني أحدٌ غيرَك. قال : وأنشدني المفضل[3] :

لم يمنع الشربَ منها غيرَ أن هتفت حمامةٌ من سَحوقٍ ذات أوقالِ

فهذا نصب وله الفِعْل والكلام ناقص. وقال الآخر[4] :

لا عيب فيها غيرَ شُهْلَةِ عينِها كذاك عِتاقُ الطيرِ شُهْلاً عيونُها

فهذا نصبٌ والكلامُ تامّ قبله "[5].

ثم جاء النحاس فذكر أنَّ " الكسائي والفرّاء أجازا نصب (غير) في كل موضع يحسُنُ فيه (إلا) في موضعها تمَّ الكلام أو لم يتم "[6] . ثم ذكر أن الفرّاء يقول هي لغة بعض بني أسد وقضاعة، وأنشد البيت (لم يمنع الشرب.....) ، وقال بعد ذلك : " لا يجوز عند البصريين نصب (غير) إذا لم يتم الكلام، وذلك عندهم من أقبح اللحن. قال أبو اسحاق : وإنما استهواه –يعني الفراء- البيت الذي أنشده سيبويه منصوباً، وإنما نُصب (غير) في البيت لأنها مضافة إلى ما لا إعراب فيه، فأما ما جاءني غيرَك، فلحن وخطأ"[7].

---

1 يُنظر : لهجة قبيلة أسد : 210 (رسالة ماجستير) ، واللهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء : 354.
2 شرح ابن عقيل : ج1/ 507
3 البيت مختلف في نسبته، وقيل هو لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري، ويُنظر : الكتاب، ج329/2، والإنصاف: ج1/ 278، ومغني اللبيب : ج159/1، وشرح المفصل : ج80/3 وج135/8، واللسان : مادة (وقل).
4 اللسان: مادة (شهل) .
5 معاني القرآن : ج1/ 382 – 383.
6 إعراب القرآن : ج621/1.
7 المصدر نفسه : ج621/1 – 622 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومناقشة النحاس هذه تشير إلى عنايته بمسائل النحو وقواعد النحويين، فهو قد أشار إلى ما ورد في بناء (غير) على الفتح عند سيبويه[1]، ونقل رأي النحويين البصريين في المسألة وهو أنهم لا يجيزون نصب (غير) إذا لم يتم الكلام، وذلك عندهم من أقبح اللحن[2]. وليست المسألة عند الفراء تتّخذ منحى النحويين الكوفيين الذين يذهبون " إلى أنّ (غير) يجوز بناؤها على الفتح في كل موضع يحسن فيه (إلا) سواء أضيفت إلى متمكن أو غير متمكن، وذلك نحو قولهم : ما نفعني غير قيام زيد، وما نفعني غير أنْ قام زيد "[3]. ولا منحى البصريين الذين يذهبون إلى " أنها [أي غير] يجوز بناؤها إذا أضيفت إلى غير متمكن، بخلاف ما إذا أضيفت إلى متمكن"[4].

وإنما هو ينقل لنا لغةً عن العرب، نسب التحدُّث بها إلى قبيلتين هما (بعض بني أسد، وقضاعة) ، فاللغة قد لا تخضع لقواعد النحاة، ولكنها في الوقت نفسه لا توصف بالقبح أو اللحن والخطأ، كما رأينا عند النحاس. ونستطيع أن نقول إن هذه اللغة يمكن أن تكون علامةً من علامات التطوُّر اللغوي الذي كان يسري في جوانب النحو العربي في لغات القبائل العربية؛ ذلك أنّ أهل هذه اللغة قد مالوا إلى توحيد الحركة على آخر كلمة (غير) دون النظر إلى تمام الكلام قبلها أو عدم تمامه، أي كأنّ (غير) مبنية على الفتح في هذه اللغة.

وإذا كان لنا أن ننظر إلى هذه اللغة في إطار ما يقع فيه المتعلمون من أخطاء في باب (غير) ، فإننا قد نجد في اللجوء إلى هذه اللغة مخرجا يساعد في تيسير النحو العربي.

3-الاشتغال :

ذُكرت لغتان في الاسم المشغول عنه : الأولى الرفع، والثانية النصب. وقد أشار إلى هاتين اللغتين الأخفش والنحاس، وذلك عند حديثهما عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[5]، وقوله تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾[6].

فأما الأخفش فقد ذكر اللغتين، وأن الأكثر الرفع، فقال : " وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، فهو يجوز فيه الرفع، وهي اللغة الكثيرة، غير أنّ الجماعة اجتمعوا على النصب،

1 الكتاب : ج330/2، ويُنظر : الإنصاف : ج287/1.
2 يُنظر : إعراب القرآن : ج1/ 621 – 622.
3 الإنصاف : ج1/ 287.
4 المصدر نفسه : ج287/1.
5 القمر، 49.
6 فاطر، 32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربّما اجتمعوا على الشيء كذلك ممّا يجوز والأصل غيره، لأنّ قولك: إنّا عبدَ اللهِ ضربناه، مثل قولك : عبدَ اللهِ ضربناه، لأنّ معناهما في الابتداء سواء "[1].

وأما النّحاس فقال في إعراب قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾: " وزعم سيبويه أن نصب (كلَّ) على لغة من قال : زيداً ضربتُه" [2]، وقال في إعراب قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾: " ويجوز أن يكون في موضع نصب [أي جنّاتِ] على لغة من قال : زيداً ضربتُه"[3].

وقد تحدّث سيبويه، من قبل، عن وجود لغتين في الاسم المشغول عنه فقال: " فالنصب عربيٌّ كثيرٌ، والرفع أجود "[4]، ونصُّ سيبويه هذا نجد فيه أنّ لغة الرفع أجود. وكذلك وجدنا في نصّ الأخفش الذي تقدّم، فقال في (كُلَّ) من قوله تعالى: ﴿إنّا كُلَّ شيءٍ خلقناه بقَدَر﴾: (يجوز فيه الرفع، وهي اللغة الكثيرة، غير أنّ الجماعة اجتمعوا على النصب، وربما اجتمعوا على الشيء كذلك مما يجوز والأصل غيره) . فلماذا جاء القرآن الكريم بالنصب، مع أن الرفع أجود ؟ يبين الأشموني أن ذلك مُتَعَلّقٌ بالاختلاف الدلالي بين وجهي النصب والرفع، فيقول: " النصبُ نصٌّ في عموم خلق الأشياء خيرها وشرِّها بقَدَر، وهو المقصود، وفي الرفع إيهامُ كون الفعل وصفاً مخصِّصاً، و (بِقَدَرٍ) هو الخبر، وليس المقصود؛ لإيهامه وجودَ شيء لا بقَدَر؛ لكونه غير مخلوق "[5].

فاللغتان جائزتان في الاسم المشغول عنه: الرفع والنصب، والرفع أكثر كما نصَّ على ذلك العلماء، إلا أنّ اللبس في حالة الرفع بين أن تكون جملة (خلقناه) خبراً لـ (كلٌّ) أو صفةً لشيء، قد حمل القُرّاء على الاجتماع على النصب.

ومع ذكر العلماء لهاتين اللغتين، وإقرارهم بوجودهما إلا أنهم لم ينسبوهما إلى قبيلة أو قبائل معينة، وإنما اكتفوا بالإشارة إلى أنهما لغتان للعرب، ولم أجد كذلك في ما رأيت من المصادر والمراجع من نسب إحدى هاتين اللغتين إلى قبيلة معينة.

1 معاني القرآن : ج78/1.
2 إعراب القرآن : ج3/ 298.
3 المصدر نفسه : ج698/2.
4 الكتاب : ج82/1، ويُنظر : ج1/ 148.
5 شرح الأشموني : ج191/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما النحاة القدماء فهم مختلفون في الاسم المنصوب المتقدّم، بين أن يكون منصوباً بفعل محذوف يفسِّره الفعل المذكور، وأن يكون منصوباً بالفعل المذكور نفسه، والضمير ملغىً لا محلَّ له[1]. وليس اختلاف النحاة في عامل النصب مما يُعنى به هذا البحث؛ لأنّ البحث يحاول أن يجتنب الخوض في مسائل الخلاف، ويُعنى بالوصف والتحليل للُّغة التي يذكرها العلماء، واللغة المقابلة لها، ومع هذا فإني أؤيِّد أحد الباحثين المحدثين[2] في أنْ يُعدَّ هذا الاسم (المشغول عنه) منصوباً على الاعتناء أو الاهتمام أو التنبيه كالاسم المنصوب على الاختصاص أو التحذير أو الإغراء.

4- التعدي واللزوم :

وتشتمل هذه القضية على ثلاث مسائل لهجيَّة:

أ- تعدية الفعل بنفسه وحذف الجار.

ب- استعمال الجار مع المتعدي بنفسه أصلاً.

ج- استعمال الفعلين (سَفِه، ورجع) متعديين.

أ- تعدية الفعل بنفسه وحذف الجار :

ذكر هذه المسألة أبو عبيدة والفراء والأخفش، فقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِيْنَ رَجُلاً﴾[3]: " مجازه: اختار موسى من قومه، ولكنّ بعض العرب يتجاوزون فيحذفون (مِن) ، قال العجَّاج[4] :

تحت التي اختار له اللهُ الشَجَرْ

أي تحت الشجرة التي اختار له الله من الشجر"[5].

وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كَالُوْهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُوْنَ﴾[6]: " الهاء في موضع نصب، تقول : قد كِلْتُكَ طعاماً كثيراً، وكلتني مثله. تريد: كِلْت لي، وكِلْتُ لك، وسمعتُ أعرابية تقول : إذا صدر الناس أتينا التاجر، فيكيلنا المُدَّ والمُدَّين إلى الموسم المقبل، فهذا شاهد، وهو من

1 يُنظر : شرح ابن عقيل : ج1/ 432. .
2 محمد عبد الله جبر : الضمائر في اللغة العربية : 149.
3 الأعراف، 155.
4 ديوانه : 7.
5 مجاز القرآن : ج229/1.
6 المطففين، 3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلام أهل الحجاز، ومن جاورهم من قيس" [1]. وقال في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ المُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾[2]: " وفي قراءة عبد الله ﴿تُبَوِّىءُ لِلْمُؤمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ والعرب تفعل ذلك، فيقولون : رَدِفَكَ ورَدِفَ لك، قال الفراء: قال الكسائي: سمعت بعض العرب يقول : نقدت لها مئة، يريدون نقدتها مائة، لامرأة تزوَّجها. وأنشدني الكسائي[3]:

أستغفر اللهَ ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ ربَّ العباد إليه الوجهُ والعملُ

والكلام باللام، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾[4] و﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[5]، وأنشدني[6]:

أسغفرُ اللهَ من جِدِّي ومن لعبي وزري وكلُّ امرىءٍ لا بدَّ مُتَّزِرُ

يريد لِوِزْري، ووزري حين أُلقيت اللام في موضع نصب" [7].

وقال الأخفش في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[8]: " أي : إذا كالوا الناسَ أو وزنوهم، لأن أهل الحجاز يقولون : كِلْتُ زيداً ووزنته، أي كِلت له ووزنتُ له"[9]. وقال في موضع آخر من كتابه : " وأهل الحجاز يقولون : هديتُه الطريق، أي عرَّفتُه، وكذلك (هديتُه البيتَ) في لغتهم، وغيرهم يُلحق فيه (إلى) " [10].

أشار العلماء الثلاثة الذين قدّمنا نصوصهم إلى أنّ حذف الجارّ، وإيصال الفعل إلى مفعوله بغير واسطة هو لغةٌ لبعض العرب، ولم يذكر أبو عبيدة من هم هؤلاء العرب الذين يحذفون الجار، أما الفرّاء فقد نسب حذف الجار وتعدية الفعل بنفسه إلى أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس، وأكّد النسبة إلى أهل الحجاز الأخفشُ إذ ذكرهم في الموضعين اللذين اقتبسناهما من كتابه.

يتبين أن الذين يحذفون حرف الجر ويُعدُّون الفعل بنفسه هم أهل الحجاز ومن جاورهم من قبيلة قيس، ولعل مجاورة قيس لأهل الحجاز كانت سببا في وجود مظاهر لهجيّة مشتركة بينهما،

---

1 معاني القرآن : ج245/3 –246.
2 آل عمران، 121.
3 ينظر : الكتاب : ج37/1، والخصائص : ج3 / 247، وخزانة الأدب : ج111/3، وشرح ابن يعيش: ج63/7.
4 يوسف، 29.
5 آل عمران، 135.
6 البيت في شرح شذور الذهب : 478 بلا نسبة، وروايته :
أستغفر الله من عمدي ومن خطئي ذنبي وكل امرىءٍ لا بدّ متزرُ
ينظر : المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية : ج3/ 252.
7 معاني القرآن : ج233/1.
8 المطففين، 3
9 معاني القرآن : ج2 /532.
10 المصدر نفسه، ج16/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل إن بعض الناس قد وقع الخلط في نسبتهم هم إلى أهل الحجاز أو إلى قيس، يقول رابين : " فبدو الداخل كان يُشار إليهم على أنهم من بين أهل الحجاز أحيانا ومن بين قيس أحيانا أخرى" [1].

ولم يذكر سيبويه أن حذف الجار وتعدية الفعل بنفسه لغة، ولكنه قال : " إنّما يتكلَّم بها بعضُهم "[2]. وجعل هذا الاستعمال ثانوياً، والأصل " أن توصل بحرف الإضافة، وليس كل الفعل يُفعل به هذا"[3]، فقد قصر سيبويه تعدية الفعل على أفعال معينة، ولم يُجز القياس على هذه الأفعال.

وإلى مثل هذا أشار ابن يعيش، فجعل حذف الجار من الاتساع في الفعل، فقال : " ومن هذا الباب ماكان يتعدى إلى مفعولين إلا أنه يتعدى إلى الأول بنفسه من غير واسطة وإلى الثاني بواسطة حرف الجر، ثم اتسع فيه فحذف حرف الجر فصار لك فيه وجهان وذلك نحو قولك: (اخترتُ الرجالَ بكراً، وأصله من الرجال) " [4]. ولعلَّ هذا الاستعمال اللهجي، الذي يقوم على تعدية الفعل بالحرف مرَّة وبنفسه أخرى، يشير إلى مرحلة من التطور في تاريخ اللغة العربية، وهذا ما ذهب إليه نهاد الموسى، فقال: " إننا نجد العربية تتَّجه في تطورها إلى حذف الجارّ وإيصال الفعل اللازم أي تعديته إلى مفعوله مباشرة. فالفعل (رضي) كان يتعدى بالحرف، فكنا نقول : رضيتُ به، ورضيتُ عليه، ورضيتُ عنه. ثم أصبح يتعدى إلى مفعوله مباشرة، وصرنا نقول: رضيتُ الشيءَ " [5].

فما ورد في لغة أهل الحجاز وقيس من حذف الجار وتعدية الفعل بنفسه هو طور متقدِّم من أطوار اللغة العربية يتّجه إلى الإيجاز والتخلُّص من حرف الجر مع بعض الأفعال المتعدية بحرف الجر في لهجات عربية أخرى.

1 اللهجات العربية القديمة : 190.
2 الكتاب : ج38/1.
3 الكتاب : ج39/1.
4 شرح المفصل: ج63/7.
5 في تاريخ العربية : 220-221.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- **استعمال الجار مع المتعدي بنفسه أصلا:**

جاءت بعض المظاهر اللهجية في أفعال وردت متعدية بنفسها في المشهور من اللغة العربية، ولكنَّها عُدِّيت بحرف جر، وهذه الأفعال ثلاثة هي (ورد، ورجا، وأذهب) ، فأما الفعلان الأولان فقد ذكرهما الفرّاء فقال في الفعل (ورد) : " وقد قرأ بعض القرّاء : ﴿ ومن يَرِدْ فيه بإلحاد﴾[1]من الورود، كأنه أراد : من وَرَده أو تورَّده. ولست أشتهيها، لأن (وردت) يطلب الاسم، ألا ترى أنك تقول : وردنا في مكة. وهو جائز تريد النزول. وقد تجوز في لغة الطائيين لأنهم يقولون: رغبت فيك، يريدون: رغبت بك. وأنشدني بعضهم في بنت له[2]:

وأرغب فيها عن لقيطٍ ورَهْطِهِ ولكنّني عن سِنْبسٍ لستُ أرغبُ "[3]. وقال الفراء في الفعل (رجا) : " وسمعتُ أعرابياً من ربيعة وسألته عن شيء، فقال : أرجو بذاك، يريد: أرجو ذاك "4.

وأما الفعل (أذهب) فقد ذكره الزجاج عند قوله تعالى : ﴿وَلَو شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم﴾[5]، فقال : " ويُقال : أذهبته وذهبتُ به، ويروى أذهبت به وهو لغة قليلة " [6].

نجد في هذه المسألة أننا أمام أمثلة تشكل الجانب المقابل للأمثلة في المسألة السابقة، وهي (تعدية الفعل بنفسه وحذف الجار)؛ ذلك أننا نقول : وردنا مكة، ولا نقول : وردنا في مكة. ولكنه جائز كما ذكر الفراء (تريد النزول) .

وعبارة الفرّاء هذه [تريد النزول] تشير إلى تضمين الفعل (ورد) معنى الفعل (نزل) الذي يُعدَّى بـِ (في) ، ولهذا قال : (وهو جائز) أي (ورد في مكة) يريد : نزل فيها. ولكن التضمين لا يكون بين فعلين في معنى واحد، أو معنيين متشابهين، "وإلا فما حاجتك أن تضمِّن (استند) معنى (اعتمد) وتقول: (استندت عليه) عوض (اعتمدت عليه) . بل أي داع تعبيري يقتادك إلى هذا ويغريك به؟ ..... ونظير هذا أن تقول (حزت على الشيء) حملاً على (حصلت عليه) بدلاً من (حزته) ، و (ظلمت عليه) حملاً على (جُرت عليه) بدلاً من (ظلمته) "[7].

---

1 الحج، 25. وقال أبو حيان في البحر المحيط : ج337/6 : "وقرأت فرقةٌ : (ومن يَرد) بفتح الياء من الورود ، وحكاها الكسائي والفراء ومعناه : ومن أتى به بإلحاد ظالماً ".
2 البيت في اللسان : مادة (ذرأ) ، و (فيا) ، و تاج العروس : (فيا) ، بلا نسبة.
3 معاني القرآن: ج223/2.
4 المصدر نفسه والصفحة نفسها
5 البقرة، 20
6 معاني القرآن وإعرابه : ج96/1.
7 صلاح الدين الزعبلاوي : بحث (التضمين) ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد (55) ، ج1، 1980، ص62-63.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا فلسنا نقبل أن يكون (ورد) متعديا بحرف الجر (في) على سبيل التضمين، ولكن على سبيل أنه لهجة عربية لقوم من العرب لا يريدون به تضمين معنى فعل معين. وإنما هكذا نطقوا بهذا الفعل مع حرف الجر بعده.

ويؤكد هذا ما ذكره الفرّاء في النص الثاني عن أعرابي ربيعة الذي قال (أرجو بذاك) ، فهو لم يُرد تضمين الفعل (رجا) معنى فعل آخر، وإنما في لغته يعُدَّى هذا الفعل بحرف الجر، وليس بنفسه كما هو الشائع في لغات أخرى.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه من كون تعدية الفعل بحرف الجر بدلاً من تعديته بنفسه لغة وليست تضميناً، أنَّ الزّجّاج عندما ذكر (أذهبت به) قال: (وهو لغة قليلة) [1]، فالنحويون قد منعوا الجمع بين همزة التعدية والباء[2]. ولكن المتكلم بلغة قومه لا يعنيه منها ما منعه النحاة أو أجازوه، بل قد يجد النحاة بعض المظاهر اللهجية الكثيرة فلا يلتفتون إليها عند وضع القواعد لقلّتها، أو لأسباب أخرى.

بقي أن نقول إننا قد ذهبنا في المسألة السابقة (تعدية الفعل بنفسه وحذف الجارّ) إلى أنه يشكّل طوراً من أطوار العربية في الميل إلى الإيجاز والتخلص من حرف الجر ليصل الفعل إلى مفعوله بلا واسطة، فأما في هذه المسألة فنرى أن استعمال حرف الجر مع أفعال اشتُهر أنها تتعدى بغير حرف جر، يشير إلى نوع من المحافظة لدى بعض لغات العرب على النمط السابق في الحقبة السابقة، الذي كانت التعدية فيه بواسطة الحرف، أكثر منها بغير واسطة. ومما يزيد هذه المسألة توضيحاً ما جاء في الإتقان : " وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ﴾[3]؛ قال: هي لغة يمانية؛ وذلك أن أهل اليمن يقولون : زوّجنا فلاناً بفلانة"[4]، وما جاء في التهذيب : " تقول العرب : زوّجتُهُ امرأةً، وتزوّجتُ امرأةً، وليس من كلام العرب : (تزوّجت بامرأةٍ) ولا (زوّجت منه امرأةً) قال: وقول الله تعالى: ﴿وزوّجناهم بحورٍ عين﴾ أي قرنّاهم بهنَّ. وقال الفرّاء : هي لغة في أزد شنوءة "[5].

فالفعلان (زوّج) و (تزوّج) يتعديان بأنفسهما، ولكن ورد في القرآن الكريم الفعل (زوّج) متعديا بالباء، فنُسبت هذه اللغة في الإتقان إلى أهل اليمن، وفي التهذيب عن الفرّاء إلى أزد شنوءة. وليس من مشكلة في النسبة إلى أهل اليمن في مصدر وإلى أزد شنوءة في آخر؛ لأن قبيلة أزد

1 معاني القرآن وإعرابه : ج1/ 96.
2 شرح المفصل : ج7 /65.
3 الدخان، 54.
4 الإتقان في علوم القرآن : ج2 /89.
5 التهذيب : ج11/ 152.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شنوءة فرع من الأزد اليمنية تنزل في سروات الحجاز الجنوبية[1]. ولكن القضية تكمن في أن أهل اليمن أو أزد شنوءة وكذلك طيّىء وربيعة، قد يعدِّي كل منها فعلا أو أفعالا، ولكنها في الوقت نفسه لا تعدي أفعالا أخرى بحرف الجر، مما يُبقي القضية مقيدة بالأفعال التي ذكرت، ولا يمكن تعميم القاعدة على هذه القبائل.

وأما القبائل التي نُسب إليها استعمال الجار مع المتعدِّي بنفسه أصلا، فهي طيّىء وربيعة كما رأينا عند الفراء، وذكر الزجّاج أنّ تعدية الفعل (أذهب) بالباء لغة قليلة ولكنه لم ينسبها. ولا نستطيع بناءً على ما جاء عند الفرّاء أن نعمم نسبة استعمال حرف الجر مع المتعدي بنفسه إلى طيّىء وربيعة؛ لأن الشاهدين اللذين ذكرهما الفرّاء عن هاتين القبيلتين يمكن أن يؤكدا تعدية الفعل (ورد) بـ (في) عند طيّىء، والفعل (رجا) بالباء عند ربيعة، ولكنهما لا يسمحان بإطلاق القاعدة على القبيلتين ما لم ترد شواهد من لغتي القبيلتين تؤيد الشاهدين المذكورين.

ج- استعمال الفعلين (سفِه، ورجع) متعديين :

هذه هي المسألة الأخيرة من المسائل اللهجية في التعدية واللزوم، وهي تتمثل في تعدية الفعلين (سَفِه ورجع) ، إذ استُعمل كُلٌّ منهما متعدياً، فقد ذكَر تعدية الفعل (سَفِه) الأخفشُ والزجَّاج، وكلاهما نقل عن يونس أنها لغة[2] ورأى الأخفش أن أحسن تأويل لتعديته هو أنه جرى مجرى (سفَّه) ، فقال : "وأحسن ذلك أن تقول : إنّ (سفِه نفسه) جرت مجرى (سفَّه) إذ كان الفعل غير متعدٍّ، وإنّما عدّاه إلى (نفسه ورأيه) وأشباه ذا إنما هو في المعنى نحو (سفِه) إذا لم يتعدَّ " [3]. ووافقه الزجّاج في ذلك [4].

وقد أيد محمد حسن عواد هذا التأويل " فالفعل (سفِه) إذا كان بمعنى خفَّ وطاش فهو لازم، وإذا كان بمعنى جهل بكسر الهاء فهو متعدٍّ " [5]. وبهذا نستطيع التخلص من القول بالتضمين، ونستطيع القول إن بعض الأفعال قد يكون متعدِّيا مرَّة، ولازما أخرى، وذلك من خلال الرجوع إلى لغات العرب، فبعضها يستخدم الفعل متعديا، وبعضها يستخدمه لازما.

وكذلك الفعل (رجع) فقد ذكره النحاس عند قوله تعالى : ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُم إِلَى بَعْضٍ القَوْلَ﴾[6]. فقال : " أي يجاوبُه، واللغة الفصيحة هذه، يقال، رجعتُ زيداً "[1]. وقد أشار محمد حسن

---

1 اللهجات العربية في القراءات القرآنية : 188.
2 ينظر: الأخفش : معاني القرآن، ج148/1، والزّجّاج : معاني القرآن وإعرابه، ج209/1.
3 معاني القرآن : ج149/1.
4 ينظر: معاني القرآن وإعرابه، ج209/1-210.
5 تناوب حروف الجر في لغة القرآن : 67
6 سبأ، 31

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عواد إلى أن هذا الفعل قد ورد لازما ومتعدِّيا "ولا يخرجه شيوع اللزوم فيه عن كونه متعديا "[2]. فمن الآيات التي ورد الفعل فيها لازما، قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِم فَقَالُوا إِنَّكُم أَنتُم الظَّالِمُونَ﴾[4]. ومن الآيات التي ورد فيها متعديا، قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُم﴾[5]، وقوله تعالى : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[6]. وكذلك الآية التي وقف النحّاس عندها من قبل، وهي قوله تعالى : ﴿ يَرْجِعُ بَعْضُهُم إِلَى بَعْضٍ القَوْلَ ﴾. وفي لسان العرب أن (رجع) فعل لازم ومتعدٍّ [7].

وإذا رجعنا إلى نص النحّاس السابق وجدناه يقول : " واللغة الفصيحة هذه، يقال : رجعتُ زيداً " [8]. ومما يلفت النظر في الفعل (رجع) أن هُذيلا والضبيين يُعدّونه بالهمزة، قال ابن منظور: " و (أرجعتُه) في لغة هذيل، قال : وحكى أبو زيد عن الضبيين أنهم قرأوا: (أفلا يرون أن لا يُرجِعُ إليهم قولا)[9] " [10]. فهذه لغة ثالثة في تعدية هذا الفعل؛ إذ ورد متعديا بنفسه في لغة لم تُنسب إلى قبيلة معينة، وورد لازما (متعديا بحرف الجر) في لغة لم تُنسب كذلك، وورد متعديا بالهمزة في لغة هذيل والضبيين. وبهذا يمكن أن تُحلّ إشكالية التعدية واللزوم في الفعلين (سفِه ورجع) ، فقد وردا لازمين ومتعديين في لغات العرب، وإن شاع اللزوم فيهما، ولكن ذلك لا يمنع من مجيئهما متعديين في لغة أخرى للعرب. ولا نحتاج بذلك إلى القول بالتضمين.

5- العطف على الضمير المرفوع دون توكيد :

ذكر النحاس أن اللغة الفصيحة توكيد المضمر المرفوع عند العطف عليه، فقال في إعراب قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[11]: " (ورسلي) معطوف على المضمر الذي في (لأغلبنَّ) و (أنا) توكيد. قال أبو جعفر : و هذه اللغة الفصيحة، وأجاز النحويون جميعاً في الشعر: لأقومَنَّ وزيدٌ، وأجاز الكوفيون وجماعة من أهل النظر أن يُعطف على المضمر المرفوع من غير توكيد، لأنّه يتصل وينفصل فخالف المضمر المخفوض "[12].

---

1 إعراب القرآن : ج674/2
2 تناوب حروف الجر في لغة القرآن : 73
3 الأعراف، 150
4 الأنبياء، 64
5 التوبة، 83
6 طه، 40
7 اللسان : مادة (رجع) .
8 إعراب القرآن : ج674/2.
9 طه، 89.
10 اللسان، مادة (رجع) .
11 المجادلة، 21.
12 إعراب القرآن : ج383/3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقول النّحاس إنّ اللغة الفصيحة هي توكيد الضمير المرفوع عند العطف عليه، يشير إلى أن عدم التوكيد عند العطف هو لغة أخرى أقل فصاحة، ولكنّ النحّاس لم يتحدّث عن هذه اللغة الثانية، بل انتقل إلى إجازة النحويين جميعاً للعطف من غير توكيد في الشعر، وإجازةِ الكوفيين له في اختيار الكلام، وهذا مُلخَّص قول النحاة في هذه المسألة [1]، غير أنَّ ابن مالك قد عدّ العطف دون فاصل ضرورة شعرية، فقال في الألفية [2]:

وإن على ضمير رفعٍ مُتَّصِلْ عَطَفْتَ فافصِلْ بالضمير المنفصِلْ

أو فاصلٍ ما، وبلا فَصْلٍ يردْ في النظم فاشياً، وضَعْفَه اعتقِدْ

ثم عاد في شواهد التوضيح والتصحيح فأجازه في النثر بقوله : " وهو مما لا يجيزه النحويون في النثر، إلا على ضعف. ويزعمون أنَّ بابه الشعر، والصحيح جوازه نثراً ونظماً "[3]. واحتج لجوازه في النثر [4]، بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: (كنتُ وأبو بكر وعمر، وفعلتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقتُ وأبو بكر وعمر) ، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (كنت وجارٌ لي من الأنصار) . وقوله تعالى: ﴿ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ [5]، وقال : " فإنّ واو العطف فيه متصلة بضمير المتكلمين. ووجود (لا) بعدها لا اعتداد به لأنها بعد العطف، ولأنها زائدة، إذ المعنى تام بدونها "[6].

وبالشواهد النثرية التي ذكرها ابن مالك وبما قبَّحه سيبويه بقوله : " وأما قوله : مررتُ برجل سواءٍ والعدمُ، فهو قبيح حتّى تقول : هو والعدمُ، لأنَّ في سواء اسماً مضمراً مرفوعاً"[7]. نستطيع أن نقول إن لهذه الظاهرة شواهد نثريَّة لا يمكن ردُّها، أو القول بالضرورة الشعريّة[8] كما قيل في بيت الشاعر[9]:

قلتُ إذ أقبلتْ وزُهْرٌ تهادى كنِعاج الفلا تعسَّفْنَ رملا

والبيت [10]:

---

1 يُنظر : الإنصاف : ج2/474 –475، وشرح ابن عقيل : ج2/200.
2 شرح ابن عقيل : ج2/ 199-200.
3 شواهد التوضيح والتصحيح : 114
4 ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
5 الأنعام، 148.
6 شواهد التوضيح والتصحيح : ص115.
7 الكتاب : ج2/31.
8 يُنظر : الإنصاف : ج2/277.
9 البيت منسوب إلى عمر بن أبي ربيعة، ديوانه : 498، ويُنظر : الكتاب : ج2/379، والإنصاف : ج2/475، وشرح ابن عقيل: ج2/200، وشرح الأشموني : ج2/429، وشرح المفصل : ج3/76.
10 البيت لجرير : ديوانه : ج1/451، وينظر : الإنصاف : ج2/476، وشرح الأشموني: ج2/429.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورجا الأُخيطِلُ من سفاهةِ رأيهِ ما لم يكن وأبٌ له لينالا

ثم نستطيع أن نؤكّد بذلك ما تبيّناه من نص النحاس أنّ اللغة الفصيحة هي الفصل بين المعطوف والضمير المتصل المرفوع، وأنهّ توجد لغة أقل فصاحة، يُعطف فيها على الضمير المتصل المرفوع دون فاصل، ولا نستطيع نسبة هذه اللغة إلى قبيلة معيّنة اعتماداً على بيتي الشعر السابقين؛ لأنَّ في الاعتماد على الشعر وحده في نسبة الظاهرة شيئاً من المجازفة؛ إذ إنّ الشعر مستوى من الكلام قد يلجأ فيه الشاعر إلى مستوى من التعبير يخالف ما يتحدث به في قبيلته، فيكون ترجيح نسبة ظاهرة لهجية إلى قبيلة ما اعتماداً على بيت أو بيتين من الشعر ترجيحاً غير مبنيّ على أُسس سليمة. ولكنّنا نكتفي في هذا البحث بالتأكيد أنّ هذه الظاهرة هي ظاهرة لهجيّة، ترجع إلى قبيلة أو قبائل معينة، وهذه حال كثير من الظواهر اللهجية التي ترد في هذا البحث دون نسبة إلى قوم معينين.

6- العطف بالفاء :

ذكر الأخفش أنّ لغة بني تميم رفع الفعل بعد الفاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ له﴾[1]، فقال : " ويُقرأ نصباً أيضاً إذا نَوَيْتَ بالأول الاسم، لأنّه لا يكون أن تعطف الفعل على الاسم، فأضمر في قوله (فيضاعفه) أن حتى تكون اسماً، فيجريه على الأول إذا نوى به الاسم، والرفع لغة بني تميم، لأنهم لا ينوون بالأوّل الاسم، فيعطفون فعلاً على فعل "[2].

فبنو تميم لا يُضمرون (أنْ) بعد الفاء، بل يرفعون الفعل بعطفه على الفعل الذي قبله (يُقرض) ، أو على الإستئناف أي فهو يضاعفه[3]، ولم يذكر النحويون أنّ هذا الرفع لغة بني تميم، بل نظروا في مسألة النصب أو العطف بعد هذه الفاء [4]من غير إشارة إلى الجانب اللهجي، أو إلى لغة تميم وعلاقتها بهذه المسألة.

ويبدو أن الأخفش وحده هو الذي نبّه على هذه اللغة، ونسبها إلى بني تميم، فلم تُذكر عند غير الأخفش، وقد أشار إليها غالب المطلبي معتمداً على كتاب معاني القرآن للأخفش[5]، وأهمل الإشارةَ إليها ضاحي عبد الباقي في رسالته (لغة تميم) .

7- نصب المضارع بعد (أو) أو عطفه على ما قبله :

---

1 البقرة، 245. والحديد، 11.
2 معاني القرآن : ج179/1.
3 ينظر: البحر المحيط : ج261/2 وج219/8.
4 ينظر: الكتاب: ج28/1 –41، ومغني اللبيب: ج167/1-168، وشرح المفصل: ج38/7-40.
5 لهجة تميم وأثرها في العربية الموحّدة : 249.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكر الفراء أنّ في الفعل المضارع بعد (أو) لغتين : هما النصب والعطف على ما قبله، فقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِم لَنُخْرِجَنَّكُم مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِيْ مِلَّتِنَا﴾[1] : "قال (أو لتعودُنَّ) فجعل فيها لاماً كجواب اليمين وهي في معنى الشرط، مثله من الكلام أن تقول : والله لأضربنَّك أو تُقِرَّ لي : فيكون معناه معنى حتى أو إلا، إلا أنها جاءت بحرف نَسَق. فمن العرب من يجعل الشرط مُتبَعاً للذي قبله، إن كانت في الأول لام كان في الثاني لام، وإن كان الأول منصوباً أو مجزوماً نسقوا عليه كقوله : (أو لتعودُنَّ) ، ومن العرب من ينصب ما بعد (أو) ليؤذِنَ نصبه بالانقطاع عمّا قبله. وقال الشاعر[2]:

لتقعُدِنَّ مقعَدَ القصيِّ منِّي ذي القاذورةِ المقلِيِّ

أو تحلفي بربِّكِ العليِّ أنِّي أبو ذيَّالِكَ الصَّبِيِّ

فنصب (تحلفي) لأنّه أراد: أن تحلفي. ولو قال أو لتحلِفنَّ كان صواباً، ومثله قول امرئ القيس[3]:

بكى صاحبي لما رأى الدرْبَ دونَه وأيقن أنّا لاحقانِ بقيصرا

فقلتُ له لا تبكِ عينُك إنّما نحاولُ مُلكاً أو نموتَ فنُعْذرا

فنصب آخره ورفع (نحاول) على معنى إلا أو حتى. وفي إحدى القراءتين: (تُقاتلونهم أو يُسلموا)[4] والمعنى – والله أعلم- تقاتلونهم حتى يُسلموا. وقال الشاعر[5]:

لا أستطيعُ نزوعاً عن مودَّتها أو يصنعَ الحُبُّ بي غير الذي صنعا "[6].

لقد تحدّث الفرّاء في هذا النصِّ عن أنّ للعرب لغتين في المضارع بعد (أو) ، فمن العرب من يعطف ما بعد (أو) على ما قبلها، ومنهم من ينصب ليُؤذِنَ النصب بالانقطاع عمّا قبله. وقد ناقش النحاة مسألة العطف أو النصب دون التعرُّض للجانب اللهجي، فقال سيبويه: " واعلم أنّ معنى ما انتصب بعد (أو) على إلا أنْ، كما كان معنى ما انتصب بعد الفاء على غير معنى التمثيل تقول : لألزَمنَّك أو تقتضيَني، ولأضربنَّك أو تسبقَني، فالمعنى لألزمنّك إلا أن تقتضيَني [7]،

---

1 إبراهيم، 13.
2 ينسب البيتان إلى رؤبة بن العجّاج، الديوان : 188، وشرح ابن عقيل: ج302/1. ، وينظر: العيني: شرح شواهد شروح الألفية : ج232/2وج535/4.
3 ديوانه: ج425/2، وينظر: الكتاب: ج47/3، والخصائص: ج263/1، وشرح الأشموني: ج558/3، وشرح المفصل:ج22/7.
4 الفتح، 16، وفي البحر المحيط : ج94/8 : " قرأ الجمهور (أو يُسْلمون) مرفوعاً، وأُبيّ وزيد بن علي بحذف النون منصوباً ".
5 هو الأحوص، ينظر : شعر الأحوص الأنصاري: 153.
6 معاني القرآن : ج70/2-71.
7 زيدت التاء في الفعل هنا، وأظنها من خطأ الطباعة، إذ لا علاقة لزيادتها بالمعنى الذي ذكره سيبويه، والمثال في مغني اللبيب : ج67/1 : (لألزمنك أو تقضيني حقي) بغير تاء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأضربنّك إلا أن تسبقني، هذا معنى النصب "[1]. والفعل المضارع منصوب بأن مضمرة بعد (أو) عند سيبويه[2]. و" ذهب الكسائي إلى أنّ (أو) المذكورة ناصبةٌ بنفسها، وذهب الفرّاء ومن وافقه من الكوفيين إلى أنّ الفعل انتصب بالمخالفة "[3]. إلا أنّ سيبويه أشار إلى الجانب اللهجي في هذه المسألة إشارتين : الأولى بعد أن أنشد بيت امرىء القيس :

فقلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنّما نحاولُ مُلكاً أو نموتَ فنُعذَرا

شاهداً على النصب قال: " ولو رفعت لكان عربيّاً جائزاً على وجهين : على أنْ تُشرك بين الأول والآخر، وعلى أن يكون مبتدأ مقطوعاً من الأول، يعني أو نحن ممّن يموتُ "[4].

والإشارة الثانية قال فيها : " وبلَغَنا أنّ أهل المدينة يرفعون هذه الآية : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) [5]،

1 الكتاب: ج47/3.
2 المصدر نفسه: ج46/3.
3 شرح الأشموني: ج559/3 ويُنظر في تفصيل أوجه هذه المسألة : شرح المفصل: ج22/7.
4 الكتاب: ج47/3.
5 الشورى، 51.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكأنّه، والله أعلم، قال الله عزَّ وجلَّ : لا يُكلِّمُ اللهُ البشر إلا وحياً أو يُرسِلُ رسولاً، أي في هذه الحال و هذا كلامه إيَّاهُم"[1]. ويبدو من إشارة سيبويه الأولى أنّ الرفع وجه عربي جائز في الكلام، ويؤكّد وجود هذا الوجه ما جاء في الإشارة الثانية من أنّ أهل المدينة يرفعون الفعل (يرسل) بعد (أو) في الآية التي ذكرها سيبويه.

ومع أن الرفع قراءة أهل المدينة[2]، إلا أننا لا نستطيع أن ننسب وجه الرفع إلى أهل المدينة، ولا نطمئن إلى هذه النسبة ما لم ترد نصوص نثريّة أو شعريّة يرفع فيها أهل المدينة المضارع بعد (أو) ، ولكننا نطمئن إلى أن النصب لغة، والعطف لغة أُخرى.

8- نصب المصدر أو رفعه:

ذكر الأخفش في المصدر لغتين : النصب والرفع، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[3] : " وإذا قُلْت (ويلَ زيدٍ) فكأنّك قلت: (ألزمه اللهُ الويْلَ) . وأما رفعُك إيّاها باللام فإنّما كان لأنّك جَعَلْت ذلك واقعاً واجباً لهم في الاستحقاق. ورفعه على الابتداء، وما بعده مبنيٌّ عليه، وقد ينصبه قوم على ضمير الفعل وهو قياس حسن، فيقولون: وَيْلاً لزيد، ووَيْحَاً لزيد، قال الشاعر[4]:

كسا اللؤمُ تَيْماً خُضْرةً في جلودها فويلاً لتيْمٍ من سرابيلها الخُضْرِ

قال الأخفش : حدثني عيسى بن عمر أنّه سمع الأعراب ينشدونه هكذا بالنصب. ومنهم من يرفع ما ينصب في هذا الباب، قال أبو زُبَيْد [5]:

أغار وأقوى ذاتَ يومٍ وخيبةٌ لأوَّلِ من يلقى وشرٌّ مُيَسَّرُ "[6]

وقد أشار سيبويه من قبل إلى هاتين اللغتين، فقال : " إلا أنّ العرب رُبّما أجرت الحروف على الوجهين. ومَثَلُ الرفع : ﴿ طُوبَى لَهُم وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[7]، يدلُّك على رفعها رفعُ حُسْنُ مآب ...

---

1 الكتاب : ج50/3.
2 في البحر المحيط، ج504/7 : أنها قراءة نافع وأهل المدينة.
3 البقرة، 79.
4 البيت لجرير: ديوانه : ج212/1 والرواية فيه : (فيا خِزْيَ تَيْمٍ من سرابيلها الخُضْرِ) ، وينظر : الكتاب : ج333/1، وشرح المفصل : ج121/1، ولسان العرب : مادة (ويل) .
5 البيت لأبي زُبيد حرملة بن المنذر الطائي، يُنظر : ديوانه : 61، والرواية فيه :
أقلّ فأقوى ذات يومٍ وخيبةٌ لأوّلِ من يلقى وغيٌّ مُيسَّرُ.
و ينظر : الكتاب : ج313/1، وشرح المفصل : ج114/1، ولسان العرب : مادة (يسر) .
6 معاني القرآن: ج118/1-119.
7 الرعد، 29.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعلم أنَّ بعض العرب يقول: وَيْلاً له وويلةً له، وعولةً لك، ويُجريها مجرى خيبةٌ. من ذلك قول الشاعر، وهو جرير :

كسا اللؤمُ تَيْماً خُضْرةٌ في جُلودها فويلاً لتيمٍ من سرابيلها الخُضْرِ "[1].

والمقصود بهذه المصادر التي فيها لغتان، هي تلك المصادر التي تليها اللام، وأما المصادر المضافة نحو (ويحه، وويله) التي لا تليها اللام فليست ممّا يدخل في لغتي النصب والرفع، وقد أوضح هذه المسألة ابن يعيش بقوله: " اعلم أنّ هذه المصادر إذا أُضيفت لم تتصرّف ولم تكن إلا منصوبة لما ذكرناه، ولأنّك لو رفعتها بالابتداء لم يكن لها خبر، فإن أفردتها أوجِئْتَ باللام جاز الرفع فتقول : " ويلٌ لك وويحٌ له، فيكون الجار والمجرور الخبر، ويجوز النصب مع اللام، فتقول : ويحاً له وويلاً له "[2].

ولم أجد نسبةً لهاتين اللغتين إلا في معجمي (لسان العرب) و (تاج العروس) ، فقد جاء في اللسان: " وقالوا في الدعاء : مبرورٌ مأجورٌ ومبروراً مأجوراً؛ تميم ترفع على إضمار أنت، وأهل الحجاز ينصبون على اذهب مبروراً "[3]. وجاء في التاج : " وإن دعوت به قلت : (بُعداً له) ، المختار فيه النصب على المصدرية. وكذلك سُحقاً له، أي (أبعده الله) ، أي لا يُرثى له فيما نزل به. وتميم ترفع فتقول : بُعْدٌ له وسُحْقٌ، كقولك: غلامٌ له وفرس "[4].

ولم تُنسب اللغتان في أبحاث[5] اختصَّت بلغة تميم ولغة قريش، والذي التفت إلى نسبة هاتين اللغتين هو رابين، وقال بعد أن أشار إلى ما جاء في اللسان و التاج: " ومن المحتمل ألا تكون هذه الأمثلة (إذا كانت صحيحة) شيئاً سوى تثبيت محلي لاستعمال غير راسخ "[6].

فهو يُشَكِّك بصحَّة الأمثلة الواردة على هاتين اللغتين، ولا أرى مُسوِّغاً لهذا التشكيك إذ بعضُ هذه الأمثلة ما زال موجوداً في لغتنا المعاصرة كقولنا للحاجِّ : مبروراً ومأجوراً، ومبرورٌ مأجورٌ.

---

1 الكتاب : ج1/331-333.
2 شرح المفصل : ج1/121، ويُنظر : لسان العرب : مادة (ويل)
3 مادة (برر) .
4 مادة (بعد) .
5 ضاحي عبد الباقي (لغة تميم) ، وغالب المطلبي (لهجة تميم) ، ومختار الغوث (لغة قريش) .
6 اللهجات العربية القديمة : 317.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

9- استعمال (ما) مع العاقل :

يُستعمل الاسم الموصول (ما) للدلالة على غير العاقل، وتستعمل (مَنْ) للدلالة على العاقل، وهذا هو الغالب فيهما، إلا أنّ في استعمال كُلٍّ من الاسمين للدلالة على ما يدلُّ عليه الآخر خلافاً وله شروطا[1] وذلك في نحو قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ [2]. وقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [3].

ولم يُذكر أنّ استعمال (مَنْ) للدلالة على ما لا يعقل هو لغة للعرب، ولكنّ الأمر على خلاف ذلك في استعمال (ما) للدلالة على العاقل، فقد ذكر الزجاج عند تفسير قوله تعالى : ﴿ والسماء وما بناها﴾ أنّه يُحكى عن أهل الحجاز أنّهم يستعملون (ما) بمعنى (مَنْ) ، فقال : "وقيل معنى (ما) ههنا معنى (مَنْ) المعنى (والسماءِ والذي بناها) ، ويُحكى عن أهل الحجاز (سُبحان ما سبَّحْتُ له) أي سبحان الذي سبَّحْتُ له، ومَنْ سبَّحْتُ له" [4].

فالزجّاج ينسب هذا الاستعمال إلى أهل الحجاز، ولكنَّ أبا عبيدة يروي عن أبي عمرو ما يُخصِّص نسبة هذا الاستعمال، فهو ينسبه إلى أهل مكة، يقول : "وقال أبو عمرو : هي بمعنى الذي، قال : وأهل مكة يقولون إذا سمعوا صوت الرعد : سُبْحانَ ما سبَّحْتَ له"[5].

ويبدو أن أهل قريش قد اختصُّوا باستعمال (ما) مع العاقل إذ نُسِب الاستعمال عند الزجاج إلى أهل الحجاز ولكنّ أبا عبيدة قد نسبه إلى أهل مكة ، كما تقدّم، وهم من الحجاز، والشاهد واحد عند الاثنين (سُبْحانَ ما سبَّحْتَ بحمده، أوله) . مما يشير إلى أنّ هذا الاستعمال اللغوي قد سُمِع من قريش، وإن اختلفت عبارة النسبة بين الزجاج وأبي عبيدة.

ونستطيع أن نقول إن الشواهد الموجودة في لغة من لغات القبائل العربية، على استعمال (ما) في موضع (مَنْ) ، يمكن أن تكون دليلاً على حقبة تاريخية سابقة من تاريخ اللغة كانت فيها (ما) هي الأصل، تستخدم للعاقل وغير العاقل، ثم تفرعت عنها (مَنْ) للدلالة على العاقل، وظلَّت بقايا من استخدام (ما) على الأصل كما في الشاهد الذي سبق (سبحان ما سبَّحت بحمده)، والآية الكريمة ﴿والسماءِ ومابناها﴾. ويؤكد ما ذهبت إليه قول وبرجستراسر في هذين الاسمين: " إنّ (مَنْ) و (ما) أصلهما واحد يعني (ما) وألحقت بها النون وهي من العناصر الإشارية أيضاً، وإن

1 ينظر : شرح الأشموني: ج1/ 70، وارتشاف الضرب من لسان العرب: ج1034/2.
2 النور، 45.
3 الشمس، 5.
4 معاني القرآن وإعرابه : ج5/ 332.
5 تأويل مشكل القرآن : 533.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم توجد في العربية بين أسماء الإشارة، فتدل (ما) على الأشخاص إذا وقعت مع هذا الحرف اللاحق وعلى الأشياء إذا وقعت بدونه" [1].

وقد ذكر ابن قتيبة من قبل أن أصل (مَنْ) و (ما) واحد، فقال : " (ما) و (من)؛ أصلهما واحد، فجُعلت (مَنْ) للناس، و (ما) لغير الناس. تقول : مَنْ مرّ بك من القوم ؟ وما مرَّ بك من الإبل ؟ " [2].

10- استخدام المصدر النائب عن فعله :

ذكر أبو عبيدة أنّ بني تميم يستخدمون المصدر النائب عن فعله في موضع فعل الأمر، فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُم الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[3] : " كقول العرب: يا نفسي صبراً، قال حَرِيُّ بن ضمرة بن ضمرة النهشليّ[4] :

يا نفس صبراً على ما كان من مضضٍ إذا لم أجِدْ لفضولِ القولِ أقرانا

ولغة بني تميم يا نفس ويا عين [5]، في موضع يا نفس اصبري"[6].

ولم تُذكر هذه اللغة في المصادر التي وقفت عليها، حتى الدراسات التي عُنيت بلغة تميم[7] وحدها لم تذكر هذه الظاهرة.

11- إدخال لام الأمر على الفعل المسند للمخاطب :

ذكر الأخفش هذه اللغة عند تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[8]، فقال : " وقال بعضهم : (فلتفرحوا) [9]، وهي لغة للعرب رديئة، لأنّ هذه اللام إنّما تدخل في الموضع الذي لا يُقدر فيه على (افعلْ) ، يقولون: ليقُلْ زيد، لأنّك لا تقدر على (افعل) ولا تدخل اللام إذا كلّمت الرجل فقلت (قُلْ) ، ولم تحتج إلى اللام"[10].

---

1 التطور النحوي للغة العربية : 55.
2 تأويل مشكل القرآن : 406.
3 محمد، 4.
4 ينظر: اللسان : مادة (مضض) .
5 أظن أن العبارة (يا نفس صبراً ويا عين صبراً) لأنّ بعدها (في موضع يا نفس اصبري) .
6 مجاز القرآن : ج214/2.
7 غالب المطلبي : لهجة تميم، وضاحي عبد الباقي : لغة تميم.
8 يونس، 58.
9 قال ابو حيان : "قرأ عثمان بن عفان، وأبي، وأنس، والحسن، وأبو رجاء، وابن هرمز، وابن سيرين، وأبو جعفر المدني، والسلمي وقتادة، والجحدري، وهلال بن سياف، والأعمش، وعمرو بن قائد، والعباس بن الفضل الأنصاري : فلتفرحوا بالتاء على الخطاب، ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم)) البحر المحيط : ج5/ 170.
10 معاني القرآن : ج2/ 345.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر ابن هشام أنَّ دخول اللام على فعل الفاعل المخاطب أقلُّ من دخولها على فعل المتكلم، مع أنَّ دخولها على فعل المتكلم قليل، فقال : " ودخول اللام على فعل المتكلم قليل، سواء أكان المتكلم مفرداً، نحو قوله عليه الصلاة والسلام : (قوموا فلأصلِّ لكم) ، أو معه غيره كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾[1]، وأقلُّ منه دخولُها في فِعلْ الفاعل المخاطب كقراءة جماعة (فبذلك فَلْتفرحوا) [2]، وفي الحديث : (لِتَأْخُذوا مَصافَّكُمْ) [3] "[4].

وأما قول أبي حيان : " وفي مصحف أُبي : فبذلك فافرحوا، وهذه هي اللغة الكثيرة الشهيرة في أمر المخاطب، وأما فليفرحوا بالياء فهي لغة قليلة "[5]، فإني أحسب أن اللغة القليلة التي أرادها هي فلتفرحوا بالتاء، وليست (فليفرحوا بالياء) ، لأنها ليست قليلة إذا كانت بالياء، ولأنه تحدث عنها في أثناء المقارنة بين إدخال اللام في أمر المخاطب وعدم إدخالها فيه، ومما يؤكد أنه يريد بالتاء وليس بالياء أنه، بعد كلامه السابق، استشهد بحديث نبوي على التاء، فقال : " وفي الحديث : (لِتأخذوا مصافكم) "[6] .

فدخول اللام على فعل الفاعل المخاطب هو لغة رديئة عند الأخفش، ونُرجِّح أنَّ رداءة هذه اللغة عنده تتمثل في قلّتها كما ورد عند أبي حيان و ابن هشام، وفي استخدام اللام مع القدرة على صياغة فعل الأمر دون الحاجة إليها، فيقال في (فلْتفرحوا) : فافرحوا، وفي (لتأخذوا) : خُذوا.

وإذا أردنا تعليل هذه اللغة فإنّنا نحسب أن القياس على وجود اللام في نحو (لِتُعْنَ بحاجتي) و (لِيقُمْ زيدٌ) هو الذي حمل بعض العرب على إدخال اللام على فعل الفاعل المخاطب، وذلك كي تطّرد القاعدة على وتيرةٍ واحدة بحسب قوانين التطوُّر اللغوي[7].

وأما نسبة هذه اللغة فإنَّ الأخفش الذي ذكرها لم ينسبها إلى قبيلة معينة، وإنما اكتفى بالقول إنها (لغةٌ للعرب رديئة) ، ولم أجد فيما بين يدي من المصادر من نسبها إلى قوم من العرب، ولكنّ هذا لا يخرجها من كونها لغةً من لغات العرب، قد جاءت عليها قراءة قرآنية، وحديث شريف، كما سبق.

---

1 العنكبوت، 12.
2 يونس، 58.
3 ينظر : البحر المحيط : ج5/ 170.
4 مغني اللبيب : ج224/1.
5 البحر المحيط : ج170/5.
6 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
7 رمضان عبد التواب : لحن العامة والتطور اللغوي : 39، و53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

12- تمييز (كم) الخبرية:

ذكر النحاس لغتين في تميز (كم) الخبرية، فقال في إعراب قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ﴾[1]: "من العرب من يحذف (من) وينصب، ومنهم من يخفض وإن حذف (من) ، كما قال[2]:

كم بجودٍ مُقرفٌ نال العُلى وكريمٍ بُخْلُه قد وضعه

وأفصح اللغات إذا فَصَلْت أن تأتي بمن، وهي اللغة التي جاء بها القرآن. وكذا كل ما جاء به القرآن"[3].

هذه القضية ذات وجهين: الأول أنّ من العرب من يحذف (مِن) التي تجرُّ تميز (كم) فينصب التمييز، ومنهم من يجرُّ التمييز مع الحذف. والوجه الثاني أنّ أفصح اللغات أنْ يؤتى بمِن إذا فُصل بين (كم) وتمييزها. وهذا يشير إلى أنّ من العرب من لا يأتي بمِن مع وجود الفصل بين (كم) وتمييزها.

وهذا النصب الذي تحدث عنه العلماء، هو فيما لم يُفصل فيه بين (كم) وتمييزها، وأما إذا فصل بين (كم) وتمييزها فالوجه عند العلماء النصب"لأنه قبيح أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه لأن المضاف إليه من تمام المضاف فصارا كالكلمة الواحدة والمنصوب يجوز أن يفصل بينه وبين ما عمل فيه" [4].

ولهذا فإنَّ البيت الذي استشهد به النحاس في نصّه السابق، شاهد على الفصل، لأنَّه فُصل فيه بين (كم) وتمييزها، وقد عدَّ العلماءُ الجرَّ في هذا البيت من الضرورة، فقال سيبويه: "وقد يجوز في الشعر أن تجرّ وبينها وبين الاسم حاجز"[5]. وذكر بيت النحاس (كم بجود مقرف ...) . وأما رواية النحاس للبيت برفع (مقرف) مرة ونصبها أخرى[6]، فإنهما روايتان تمثّلان وجه الرفع على الابتداء، ووجه النصب على التمييز مع الفصل، وعند الأنباري أنّ "الرواية الصحيحة (مقرفٌ) بالرفع بالابتداء". [7]

1 الزخرف، 6.
2 البيت مختلف في نسبته، ينظر الكتاب:ج2 /167، والإنصاف: ج1/ 303، شرح الأشموني: ج635/3، وشرح المفصل:ج138/4.
3 إعراب القرآن: ج78/3-79، وينظر: ج368/2.
4 شرح المفصل: ج130/4-131.
5 الكتاب: ج166/2-167، وينظر : شرح المفصل: ج131/4، وشرح الأشموني: ج635/3.
6 ينظر: ج79/3، وج368/2.
7 الإنصاف: ج307/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأما الوجه الأول (وهو حذف (من) مع النصب) فهو لغة بني تميم، أشار إليها سيبويه، ولم يسمِّهم، فقال في (كم) الخبرية: " واعلم أنَّ ناساً من العرب يُعملونها فيما بعدها في الخبر كما يُعملونها في الاستفهام، فينصبون بها كأنَّها اسم مُنون[1]". ولكنَّ ابن يعيش نصَّ على نسبة هذه اللغة إلى تميم، فقال: " وبعض العرب ينصب بـ(كم) في الخبر كما ينصب في الاستفهام وهم بنو تميم " [2]. وجاء في شرح الأشموني: " قيل: إنّ لغة تميم نصب تمييز الخبريَّة إذا كان مفرداً "[3].

والذي يعنينا في هذا البحث أن بني تميم ينصبون دون فاصل، وغيرهم يجرّ، وقد علّل ضاحي عبد الباقي ظاهرة النصب عند تميم بأنها من باب القياس على تمييز (كم) الاستفهامية فقال : " قاس بعض العرب تمييزها على تمييز (كم) الاستفهامية، وهو الإفراد مع النصب على ما نلاحظ عند تميم " [4]. وأُرجح أن يكون هذا التعليل صحيحاً، يسانده قانون الميل إلى إطّراد القاعدة على وتيرة واحدة [5]، ذلك أن بني تميم عندما حذفوا (من) قبل تمييز (كم) الخبريّة، مالوا إلى نصب التمييز قياساً على تمييز (كم) الاستفهامية. وأمّا الوجه الثاني لهذه القضيَّة، وهو أن يؤتى بـ (من) عند الفصل بين (كم) الخبرية وتمييزها، أو لا يؤتى بها، فقد ذكر النحاس أن أفصح اللغات أن يؤتى بـ(من) عند الفصل، ولم يذكر شيئاً عن اللغة التي تحذف فيها (من) .

1 الكتاب: ج161/2.
2 شرح المفصل: ج130/4.
3 شرح الأشموني: ج634/3، وينظر: مغني اللبيب: ج185/1.
4 ضاحي عبد الباقي: لغة تميم، ص529.
5 ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي، ص39و53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

13- وضع (السنين) في موضع سنة :

ذكر الفرّاء هذه اللغة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِيْ كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِيْنَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾[1]، فقال: " قرأ كثيرٌ من القُراء (ثلاثَمئةٍ) يريدون : ولبثوا في كهفهم سنينَ ثلاثمئة فينصبونها بالفعل. ومن العرب من يضع السنين في موضع سنة، فهي حينئذٍ في موضع خفضٍ لمن أضاف " [2]، ففي قول الفرّاء: إنَّ من العرب من يضع (السنين) في موضع (سنة) ما يفسِّر قراءة كثير من القُرّاء (ثلاثمئةٍ سِنين) ، أي أنّ المراد ثلاثمئةِ سنةٍ، إلا أنها جاءت على لغة هؤلاء العرب الذين يضعون (السنين) في موضع (سنة) ، وقد أيَّد أبو حيان الأندلسي هذا التفسير ودافع عنه فقال : " المحفوظ من لسان العرب المشهور أنّ (مئة) لا يفسر إلا بمفرد مجرور وأن قوله (إذا عاش الفتى مئتين عاما) من الضرورات ولاسيما وقد انضاف إلى ذلك كون سنين جمعاً، وقرأ حمزة، والكسائي، وطلحة، ويحيى، والأعمش، والحسن، وابن أبي ليلى، وخلف، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جُبير الأنطاكي (مئةِ) بغير تنوين مضافاً إلى (سنين) أوقع الجمع موقع المفرد، وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة ولا يجوز له ذلك، وقال أبوعلي: هذه تضاف في المشهور إلى المفرد، وقد تضاف إلى الجمع"[3].

فالمشهور من لغة العرب أن تضاف (مئة) إلى المفرد ولكنها قد تضاف إلى الجمع، وهذه هي اللغة التي أشار إليهاالفرّاء ولم ينسبها، وفيها تعليل لقراءة (ثلاثمئةِ سنينَ) ، وأما قراءة (ثلاثمئةٍسنينَ) فلا تفسرها هذه اللغة، ولعل الشاهد الذي ورد في نص أبي حيان (إذا عاش الفتى مئتين عاماً) يمثل لغةً أخرى، لم تُذكر ولم يُشَر إليها في المصادر التي بين يدينا ويمكن أن تُفسِّر هذه القراءة من خلالها.

14- حذف التنوين من اسم الفاعل مع إرادة المستقبل :

ذكر الأخفش هذه اللغة عند تفسير الآية: ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيَاً بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾[4]، فقال : " انتصب (هديا) على الحال، و (بالغَ الكعبة) من صفته، وليس قولك (بالغَ الكعبةِ) بمعرفة لأنّ فيه معنى التنوين، لأنه إذا قال: هذا ضاربُ زيدٍ، في لغة من حذف النون ولم يفعل بعد، فهو

---

[1] الكهف، 25.
[2] معاني القرآن: ج138/2.
[3] البحر المحيط: ج112/6.
[4] المائدة، 95.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نكرة، ومثل ذلك: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾[1]، ففيه معنى التنوين، غير أنّه لا يوصل إليه من أجل الاسم المضمر"[2].

فالقاعدة النحوية تقول إنّ " اسم الفاعل إذا أُريد به الحال أو الاستقبال يعمل عمل الفعل إذا كان منوناً أو فيه الألف و اللام لأنّ التنوين مانع من الإضافة والألف واللام تعاقب الإضافة"[3]. وإذا أُريد باسم الفاعل معنى الماضي لم يعمل، ويجب إضافته، فنقول: (هذا ضاربُ زيدٍ أمس) [4].

وقد ذكر الأخفش في نصِّه لغةً للعرب يُحذف فيها التنوين لفظاً من اسم الفاعل ويضاف إلى ما بعده، غير أنّ هذا التنوين، وإن حُذف في لغتهم، مقدَّرٌ ولا يُراد باسم الفاعل في هذه اللغة معنى الماضي، ولا يُعرّف بالإضافة، بل هو نكرة، ولو لم يكن نكرة لما صح أن يكون صفةً للنكرة (هدياً) ، وكذلك (مُمطرُ) في الآية (هذا عارضٌ ممطرنا) هو نكرة وإن أُضيف إلى الضمير لأنّ التنوين مُقدَّرٌ على آخره في هذه اللغة، ولذلك صلح أن يكون صفة للنكرة (عارض) .

ولم يَنسب الأخفش هذه اللغة إلى قوم من العرب، ولم ينسبها غيره كذلك.

15- الإخبار عن آخر الكلمتين :

ذكر هذه اللغة أبو عبيدة في حديثه عن قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيْئاً﴾[5]، فقال : " وقع اللفظ على الإثم فذكّره، هذا في لغة من خبّر عن آخر الكلمتين"[6]، فقد جعل أبو عبيدة إعادة الضمير في (به) على الإثم دون الخطيئة لغةً؛ إذ يُعيد بعض العرب الضمير على الثاني من الاسمين المذكورين، وهذا يقتضي أن يكون عَوْدُ الضمير على الاسم الأول لغةً أُخرى، لم يذكرها أبو عُبَيْدة.

---

[1] الأحقاف، 24.
[2] معاني القرآن: ج264/1.
[3] شرح المفصّل: ج68/6.
[4] ينظر شرح ابن عقيل: ج93/2.
5 النساء، 112.
6 مجاز القرآن : ج139/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أجاز الفرَّاء عَوْد الضمير على الاثنين أو أحدهما، وذكر شواهد على ذلك من القرآن الكريم والقراءات، ولكنّه لم يقُل إنّ ذلك لغة للعرب، فقال في الآية نفسها : " وذلك أنْ يُكْنَى عن الفعلين وأحدهما مؤنث بالتذكير والتوحيد، ولو كثر لجاز الكناية عنه بالتوحيد، لأنّ الأفاعيل يقع عليها فعل واحد فلذلك جاز، فإن شئت ضممت الخطيئة والإثم فجعلته كالواحد، وإن شئت جعلت الهاء للإثم خاصّةً؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾[1]، فجعله للتجارة. وفي قراءة عبد الله : ﴿ وإذا رأوا لهواً أو تجارةً انفضوا إليها ﴾ فجعله للتجارة في تقديمها وتأخيرها. ولو أتى بالتذكير فجُعلا كالفعل الواحد لجاز. ولو ذكّر على نيَّة اللهو لجاز. وقال: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾[2] فثنّى. فلو أتى في الخطيئة واللهو والإثم والتجارة مثنّى لجاز. وفي قراءة أُبَيّ: ﴿إن يكن غنيٌّ أو فقيرٌ فالله أولى بهم﴾، وفي قراءة عبدالله ﴿إن يكن غنيٌّ أو فقير فالله أولى بهما﴾، فأما قول أُبَيّ (بهم) فإنَّه كقوله ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ﴾[3]، ذهب إلى الجمع، كذلك جاء في قراءة أُبيّ، لأنّه قد ذكرهم جميعاً ثم وحّد الغنيّ والفقير وهما في مذهب الجمع؛ كما تقول : أصبح الناسُ صائماً ومفطرا، فأدى اثنان عن معنى الجمع "[4] .

فقد ذكر الفراء شواهد من القرآن الكرم والقراءات يتضح فيها عود الضمير على الأول أو الثاني أو عليهما جميعاً، وهذا يشير إلى وجود شواهد على اللغة التي ذكرها أبو عبيدة، وهي إعادة الضمير على الاسم الثاني ولكن لم نجد عند الفرّاء أو غيره من العلماء أنّ هذا الاستعمال لغة للعرب، ولم يخبرنا أبو عبيدة من هم العرب الذين يستخدمون هذه اللغة.

ومع ذلك فهي لغة عليها شواهد من لغة العرب، وذكرها عالم من علماء العربية، ولعلّ أبحاثاً أخرى تكشف عن موطن هذه اللغة إن كانت لقوم معنيين من العرب، أو تكشف عن كونها استعمالاً كان يشيع جنباً إلى جنب مع الاستعمالين الآخرين، وهما إعادة الضمير على الاسم الأول أو على الاسمين معاً.

1 الجمعة، 11.
2 النساء، 135.
3 النجم، 26.
4 معاني القرآن : ج1/286-287.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلاصة الفصل الأول :

خلص هذا الفصل إلى النتائج الآتية:

1- أنّ إلحاق ضمير التثنية أو الجمع بالفعل مع وجود الفاعل اسما ظاهرا هو لغةٌ شائعة في عدد من القبائل العربية أشهرها بنو الحارث وأزد شنوءة وطيّىء، وأنّ هذه اللغة أصيلة في اللغات الساميَّة، وباقية في لهجات الخطاب في عصرنا.

2- فسّر جَعْلَ ضمير الفصل مبتدأ وما بعده خبرا له في لغة تميم، بأنّه تطوّر من الإهمال إلى الإعمال.

3- أنّ حذف ضميري الرفع (الواو والياء) هو لغة كانت منتشرة في كثير من القبائل العربية من أشهرها : هوازن، وقيس، وأسد، وهُذيل. وليس هذا الحذف ضرورةً شعرية، وإنما هو مما جاء في الشعر والنثر، بأثر من ميل بعض المتكلمين باللغة العربية إلى تقصير 7أصوات اللين، ولهذا قد تُحذف حروف العلة جميعا سواء كانت ضمائر رفع، أم كانت من أصل الكلمة، ونبّه الباحث إلى أنّ الذين يحذفون لا يطّرد الحذف عندهم مع كل حرف علة، وإنما قد يحذفون الواو من فعل، وقد لا يحذفون من آخر، وهما في عبارة واحدة.

4- أنّ إعمال الثاني (الفعل أو الأداة) في الاسم، وحذف صدر الصلة (المبتدأ بعد "ما") هو لغة لبني تميم وإن لم يُشر كثير من النحاة إلى أنه لغة، بل قال البصريون: إنه شاذ لا يقاس عليه.

5- أنّ وقوع الضمير المتصل بعد (لولا) نحو (لولاي، ولولاك) هو لغة للعرب، ولم يعيّن العلماء القبيلة أو البيئة التي تنسب إليها هذه اللغة.

6- أنّ تعدد الخبر للمبتدأ الواحد هو لغة لبعض العرب لم تُنسب، ورجّح البحث أن يكون الخبر الثاني في نحو القراءة القرآنية : (هذا بعلي شيخٌ) ، ما هو إلا حال قد جاءت مرفوعة في لغة للعرب، فأدخلها النحاة في باب تعدد الخبر.

7- أنّ إعمال (ما) عمل ليس هو لغة أهل الحجاز، وأن إهمال (ما) هو لغة تميم وأهل نجد وتهامة. ورجح البحث رأي الفرّاء بأنَّ لغة الإهمال أقوى في القياس، وفنَّد أدلّة الزجاج والنحّاس اللذين يريان أنّ لغة الإعمال أقوى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

8- أنّ تخفيف (إنَّ وكأنَّ) وإعمالهما لغة لأهل الحجاز، ورجَّح البحث أن تكون (إنْ وكأنْ) المخفّفتان هما الصورة الأولى التي تفرعت عنها (إنَّ وكأنَّ) الثقيلتان، وقد احتفظ أهل الحجاز بالصورة الأولى (المخففة) مع عملها.

9- أنّ أهل الحجاز يميلون إلى التأنيث وأهل نجد وبني تميم وأسد يميلون إلى التذكير، وأنّ هذا بأثر من البيئة، فالحجاز أهل حضارة تحتلُّ المرأة مكانةً كبيرة في مجتمعهم لذا مالوا إلى التأنيث. وتميم ونجد أهل بداوة، يعتمدون على الذكور وتقِلُّ مكانة المرأة في مجتمعهم ولذا مالوا إلى التذكير.

10- أنّ اسم (لا) النافية للجنس إنْ كُرِّرَ جاز فيه النصب والرفع، وهما لغتان للعرب لم ينسبهما الأخفش الذي ذكرهما، ولم ينسبهما غيره.

11- أنّ إعمال القول عمل الظن لغة بني سُليم، وتتمثل هذه اللغة في فتح همزة (إنّ) وفي نصب الاسمين بعد فعل القول.

12- أنّ نصب المستثنى في الاستثناء المنقطع هو لغة أهل الحجاز، وأنّ إتباع المستثنى لما قبل (إلا) هو لغة تميم، مع الترجيح بأن يكون وجه النصب قد شاع في قبائل أخرى منها بنو تميم أيضا إلى جانب الإتباع عندهم؛ ولهذا نسب بعض العلماء الإتباع إلى تميم، وبعضُهم قال إنّ بني تميم يُجيزون الإتباع والنصب.

13- أنّ نصب (غير) مطلقا سواء تمّ الكلام قبلها أو لم يتم هو لغة للعرب، نسبها الفراء إلى قُضاعة وبعض بني أسد، ورجّح البحث أن تكون هذه اللغة بأثر من ميل المتكلمين إلى طرد القاعدة، وتطوّر اللغة في بعض مظاهرها من الإعراب إلى البناء.

14- أنّ وجهي النصب والرفع في الاسم المشغول عنه هما لغتان للعرب، لم يصل البحث إلى نسبتهما.

15- أنّ حذف حرف الجر، وإيصال الفعل إلى مفعوله بغير واسطة هو لغة أهل الحجاز وقيس، ونرجّح أن يكون ذلك اتّجاهاً نحو الإيجاز والتخلّص من حرف الجر عند بعض القبائل العربية، ويقابل هذه اللغةَ لغة أخرى نُسبت إلى طيّىء وربيعة وأهل اليمن وأزد شنوءة يُستعمل فيها الجارُّ مع المتعدي بنفسه في اللغة المشهورة، ولكن تُقيّد النسبة إلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه القبائل بالأفعال التي عُدّيت فيها بحرف الجر، ولا نستطيع إطلاق القاعدة على كل هذه الأفعال في هذه القبائل.

16- أنْ يكون الفعلان (سفه، ورجع) قد استُعملا متعديين في لغة من لغات العرب، واستُعملا لازمين في اللغة المشهورة، وبذلك تُحلّ مشكلة التضمين فيها.

17- أنّ العطف على الضمير المرفوع دون توكيده هو لغة لبعض العرب، ولا يقتصر هذا الاستعمال على الضرورة فقد جاءت عليه شواهد من النثر.

18- أنّ لغة بني تميم العطف بالفاء في نحو قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفُهُ لَهُ ﴾[1]. والنصب لغة غيرهم.

19- أنّ نصب المضارع بعد (أو) لغة لبعض العرب في مقابل اللغة الشائعة التي يُعطفُ فيها المضارع بعد (أو) على ما قبله.

20- أنّ تميم ترفع المصادر، نحو (بُعدٌ له و سُحقٌ) و (ويلٌ له) ، وغيرها من القبائل ينصب هذه المصادر.

21- أنّ (ما) كانت تُستخدم في حقبة من تاريخ اللغة العربية للعاقل وغير العاقل، ثم تفرّعت عنها (مَنْ) ، فبقيت (ما) تُستخدم مع غير العاقل، واختصّت (مَنْ) بالدلالة على العاقل، وذهب البحث إلى أنَّ استخدام أهل مكة (ما) مع العاقل هو من بقايا تلك الحقبة التاريخية.

22- أنّ بني تميم يستعملون المصدر النائب عن فعله في موضع فعل الأمر، فيقولون : (صبرا في اصبر) و (ضربا في اضرب) .

23- أنّ إدخال لام الأمر على الفعل المسند للمخاطب لغةٌ للعرب لم تُنسب، وقد وُصِفت بالرداءة، فرجح البحث أنَّ ذلك بسبب قلّة انتشارها، وقد وردت قراءة قرآنية وحديث شريف على هذه اللغة.

24- أنّ لغة بني تميم نصب تمييز (كم) الخبرية، وأيَّد البحث تفسيرها بقانون القياس الخاطىء، إذ قاس المتحدثون بهذه اللغة تمييز (كم) الخبرية على تمييز (كم) الاستفهامية، ورجّح الباحث أن يكون قانون طرد القاعدة على وتيرة واحدة قد أثّر في تكوين هذه اللغة.

[1] 1البقرة، 245. والحديد، 11.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

25- أنَّ وضع (السنين) موضع (سنة) هو لغة لبعض العرب، يمكن أن تُفسَّر على وفقها القراءة : (وَلَبِثُوا فِيْ كَهْفِهِمْ ثَلاثَمئَةِ سِنِيْنَ) بإضافة (مئة) إلى (سنين) .

26- أنّ حذف التنوين من اسم الفاعل وإضافته إلى ما بعده مع إرادة المستقبل هو لغة للعرب، فيقولون (هذا ضاربُ زيدٍ) ولا يريدون الماضي. ولم ينسب الأخفش هذه اللغة، وهو الذي ذكرها، ولم ينسبها غيره كذلك.

27- أنّ الإخبار عن آخر الكلمتين، وإعادة الضمير على الكلمة الثانية نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً ﴾1 هو لغة لبعض العرب، ولم يصل البحث إلى نسبة هذه اللغة.

1النساء، 112.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

قضايا الحالة الإعرابية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتناول هذا الفصل قضايا الحالة الإعرابية للكلمة في سياقها الجُمْلي، وقد جاء هذا الفصل في مبحثين، الأول للمعربات: وتُدرس فيه قضايا الاختلاف بين لغات القبائل في جوانب من الاختلاف الإعرابي، كأن تُسقِط بعض القبائل حركات الإعراب من آخر الكلمات المعربة، وهو ما عُرف عند بعض العلماء القدماء بالاختلاس، ووهم بعض المحدثين فظنّه إسقاطاً لحركات الإعراب كما هو الحال في اللهجات الحديثة. وكأنْ تُصرف بعض الكلمات في لغات وتمنع في أخرى، أو أن يثبت حرف العلة في آخر المعتل المجزوم في لغات للعرب، ويحذف في أخرى وهو الوجه الفصيح.

وأما المبحث الثاني فهو للمبنيات، وفيه تُدرس قضايا الاختلاف بين لغات القبائل في عدد من المبنيات هي: أسماء الأفعال،والظروف، ولام التعليل، ولام الأمر، والضمائر (هو، وهي، والهاء) والمصدر المعرف بـ (الـ) الواقع في ابتداء الكلام، ونشير هنا إلى أن هذا المبحث لم يتناول أسماء الأفعال والظروف من حيث علامة البناء حسب، وإنّما دُرست في أثناء ذلك قضايا داخلية تختص بأسماء الأفعال والظروف لكونها من المبنيات مثل: تصرُّف اسم الفعل (هلُمَّ) مع الضمائر في لغة بعض العرب، والتزامه حالة واحدة في لغة أخرى للعرب، وكذلك حذف الظرف (بين) ونقل حركته إلى الاسم الذي يليه في لغة للعرب.

ويتجلّى في دراسة المبنيات التطورُ اللغوي عندما وضع العلماء قواعد اللغة، وسجّلوا في أثناء ذلك لغات بعض القبائل، فقد صادفوا القبائل وبعضها يبني الكلمة على حركة معينة، وبعضها يبني الكلمة نفسها على حركة أخرى، ويمكن أن يُفسَّر ذلك بأن اللغتين كانتا في طور الانتقال من الإعراب إلى البناء، فاختلفت حركة البناء بينهما بسبب هذه المرحلة الانتقالية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول- المعربات:

1 - إسقاط حركة الإعراب:

أشار الأخفش إلى ما يُعدُّ ملمحاً لهجياً يتمثّلُ في إسقاط حركات الإعراب من آخر الاسم أو الفعل، وذلك عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُم ﴾[1]. فقال : " قد قرأ بعضهم هذه الهمزة بالتخفيف فجعلها بين الهمزة وبين الياء. وقد زعم قوم أنها تجزم ولا أرى ذلك إلاّ غلطاً منهم، سمعوا التخفيف فظنوا أنّه مجزوم والتخفيف لا يُفهم إلا بمشاهدة ولا يُعرف في الكتاب. ولا يجوز الإسكان، إلا أن يكون أسكن وجعلها نحو (عَلْمَ) و (قَدْ ضُرْبَ) و (قَدْ سَمْعَ) ونحو ذلك "[2].

فالأخفش يُفسِّر إسكان الهمزة في (بارِئْكم) بأنّه تخفيف قد ظنّه قوم جزماً (أي إسكاناً) ، والتخفيف لا يظهر إلا بالمشافهة، ثم استدرك الأخفش على نفسه، فرأى أن المسموع في قراءة (بارِئْكم) قد يكون إسكاناً، ولكنّه الإسكان الذي يكون من أجل التخلُّص من توالي الحركات، ولا سيّما إن كان في هذه الحركات المتوالية انتقال من حركة إلى أخرى ليست من نوعها، ولذلك مثّل لهذا النوع من الإسكان بالكلمات (عَلْمَ، وضُرْبَ، وسَمْعَ) ، [3] والأصل: (عِلِم وضُرِب وسَمِع) .

ونتبين من التعليلين اللذين أشرنا إليهما عند الأخفش في تفسير إسكان الهمزة في كلمة (بارِئْكم) ، أنّه يرى أنّ هذا الإسكان ليس دليلاً على إسقاط الحركة الإعرابية، وإنّما هو ناتج عن تخفيف الهمزة لتنطق بين الهمزة والياء، فيظن السامع أنّه إسكان، أو أنّه إسكان حقّاً ولكنّه من أجل التخلُّص من توالي الحركات.

ثم يستشهد الأخفش على الإسكان لتوالي الحركات، بشواهد عَدَّها بعض الباحثين[4] شواهد على إسقاط حركة الإعراب في اللهجات العربية القديمة، يقول الأخفش: " سمعت من العرب مَنْ يقول : (جاءت رُسُلْنا) [5]، جزم اللام وذلك لكثرة الحركة. قال الشاعر [6]:

وأنتِ لو باكرْتِ مشمولةً صهباءَ مثل الفرس الأشقرِ

---

1 البقرة، 54.
2 معاني القرآن : ج93/1.
3 يُنظر : الكتاب ج113/4، وقال سيبويه: (هي لغة بكر بن وائل، وأُناسٌ كثير من بني تميم) .
4 ينظر : إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة : 248.
5 هود، 69، و 77، والعنكبوت، 31، و33.
6 البيت للأقيشر الأسدي، ينظر: الكتاب : ج203/4، والخصائص : ج74/1، وج340/2، وشرح ابن يعيش: ج48/1، وهمع الهوامع: ج184/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رُحتِ وفي رجْليْكِ ما فيهمـا وقد بـدا هَنْـكِ مـن المـئـزرِ

وقال امرؤ القيس[1] :

فاليوم أشربْ غير مُستحقبٍ إثـمـاً مـن اللـه ولا واغِـلِ

وقال آخر [2]:

إنّ بُنيَّ ثمرةُ فؤادي

وقال آخر[3] :

يـا علقمةُ يا علقمةُ يا علقمـة خيـرَ تـمـيـمٍ كُـلِّها وأكـرَمَـهْ

وقال[4]:

إذا اعوجَجْنَ قلتُ : صاحِبْ قَوِّم بالدوِّ أمثالَ السفينِ العُوَّمِ "[5]

لقد أشار الأخفش إلى هذه الأمثلة على إسكان الأواخر، ولكنّه فسّرها بما أشرنا إليه من التخفيف أو التخلص من توالي الحركات، ولذلك فإنّه لم يَعُدَّ الإسكان في هذه الأمثلة لغةً، ولم ينسبه إلى قبيلة معيّنة وإن كان هذا الملمح اللهجي قد نُسب إلى تميم، فقد قال السيوطي : " اختُلف في جواز حذف الحركة الظاهرة من الأسماء والأفعال الصحيحة على أقوال أحدها : الجواز مطلقاً، وعليه ابن مالك، وقال إنّ أبا عمرو حكاه عن لغة تميم " [6].

ونقف هنا عند تحليل الشواهد الكثيرة[7] من القراءات القرآنية والشعر العربي على إسكان أواخر الأسماء أو الأفعال ثم ننتقل إلى نسبة هذه الظاهرة.

فأما تحليل الشواهد فإنّ فيه وجهين، الأول تُثبت فيه هذه الشواهد تحلُّلَ لهجة عربية قديمة، أوعدد من هذه اللهجات من الحركات الإعرابية في بعض الأحيان، ثم عدَّ 1نهاد الموسى

---

[1] ديوانه: ج523/2، وينظر : الكتاب: ج204/4، والخصائص : ج74/1، وج340/2، وشرح بن يعيش: ج48/1، و همع الهوامع: ج148/1.

[2] لم يهتد فائز فارس محقق معاني الأخفش إلى القائل، وكذا عبدالأمير محمد أمين الورد في إعادة تحقيق معاني الأخفش ج267/1، لم يهتد إلى القائل، ولم أهتد كذلك إلى نسبة الشعر.

[3] لم يُعرف القائل كسابقه.

[4] البيت لأبي نُخيلة، ينظر: الكتاب : ج203/4، والخصائص: ج75/1، واللسان: مادة (عوم) .

[5] معاني القرآن: ج93/1-94.

[6] همع الهوامع: ج183/1.

[7] ينظر: الكتاب: ج203/4، والخصائص : ج74/1، وج340/2، ونهاد الموسى: في تاريخ العربية: 151-153، وسمير إستيتية: بحث (الازدواجية في اللغة العربية) : 133-134، وصاحب أبو جناح: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: 48-50.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الظاهرة بداية للتخلُّص من الإعراب في اللهجات العربية القديمة، وهي الحال التي أصبحت عليها اللهجات في العصر الحديث[1]، وعدَّها إبراهيم أنيس شاهداً على خلو اللهجات القديمة من الإعراب [2].

وكان ممَّن ذهب إلى نفي الإعراب عن بعض العرب رمضان عبد التواب الذي قال: " حتى ذلك الإعراب، الذي هو أهم مميزات اللغة الفصحى، لم تكن كل العرب تقدرعليه "[3]. ثم استدلَّ عبد التواب بنصٍّ اتَّخذه دليلاً على إسقاط حركات الإعراب عند بعض العرب، وهذا النص هو "قال أبو العيناء : ما رأيت مثل الأصمعي قط، أنشد بيتاً من الشعر، فاختلس الإعراب، ثم قال: سمعت أبا عمرو ابن العلاء يقول: كلام العرب الدرج، وحدثني عبد الله بن سَوّار، أنَّ أباه قال: العرب تجتاز بالإعراب اجتيازاً، وحدثني عيسى بن عمر، أنَّ ابن أبي إسحاق قال: العرب ترفرف على الإعراب، ولا تتفيهق فيه، وسمعت يونس يقول: العرب تُشامّ الإعراب ولا تُحقّقه، وسمعتُ الخشخاش بن الحُباب يقول: العرب تقع بالإعراب، وكأنها لم تُرد، وسمعت أبا الخطاب يقول: إعراب العرب الخطف والحذف. قال: فتعجب كل من حضر منه"[4].

وأقف في مناقشة هذا النص مع باحثين هما صاحب أبو جناح وسمير إستيتية، فقد اتخذه أبو جناح دليلاً على أن العرب لم يكونوا يحرصون على مراعاة التقيد بالعلامات الإعرابية. فقال: " نميل إلى الاعتقاد بأنّ هذه الظاهرة تمثّل وجهاً من وجوه السلوك اللغوي اليومي للمتكلّمين العرب الذين لم يكونوا يحرصون بدقة على مراعاة التقيد بالعلامات الإعرابية ونُطقها في جميع كلامهم" [5].

وعدّه سمير إستيتية نصّا يفسِّر تفسيراً جيّدًا مفهوم (اختلاس الإعراب) وذكر العبارات التي وردت في النّص وهي: (كلام العرب الدرج) ، و (العرب تجتاز بالإعراب اجتيازاً) ، و (العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيهق فيه) ، و (العرب تُشَامُّ الإعراب ولا تُحققه) ،

[1] في تاريخ العربية: 153.
[2] من أسرار اللغة: 248.
[3] فصول في فقة العربية: 80.
[4] (مخطوط نثر الدرر) للوزير أبي سعيد الآبي، نقلا عن رمضان عبدالتواب : فصول في فقة العربية: 80.
[5] الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: 47.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و (العرب تقع بالإعراب وكأنها لم تُرد) ، و (إعراب العرب الخطف والحذف) ، ثم قال: " فمجموع هذه العبارات يدُّل على أنّ الإعراب في لغة العرب يأتي سليقةً، غير متكلَّفٍ ولا مصنوع، وأنه يوظف في كلامهم، دون أن يقصد إلى تحقيقه بالجهد الذي يبذله المتعلمون أو بعض المتعلمين" [1].

وإذا ما رجعنا إلى القدماء للتحقُّق من أنَّ العرب لم يكونوا يتقيدون بالعلامات الإعرابية، أو أنّهم لا يتكلفون الإعراب ولا يصطنعونه وإنّما يأتي في كلامهم سليقةً، وجدنا أنّ ما ذكره سيبويه يؤكد الرأي الثاني، فهو يقول : " وأما الذين لا يُشبعون فيختلسون اختلاساً، وذلك قولك يَضْرْبُها، ومن ْمأمَنكَ، يُسرعون اللفظ، ومن ثَمَّ قال أبو عمرو : (إلى بارئْكم) [2]، ويدلُّك على أنّها متحركة قولهم : من مأمنك، فيبيّنون النون، فلو كانت ساكنة لم تُبيَّن النون" [3].

ويقول ابن جني مؤكداً ذلك : " كأنك لم تَرَهم وقد ضايقوا أنفسهم، وخففوا عن ألسنتهم، بأن اختلسوا الحركات اختلاساً، وأخفوها فلم يمكنوها في أماكن كثيرة ولم يُشبعوها؛ ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو ﴿: مَالكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾[4]، مختلساً لا مُحققاً، وكذلك قوله عزّ وجل : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى﴾ [5] مُخفىً لا مُستوفى، وكذلك قوله عزّ وجل : ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكِم﴾ [6]، مختلساً غير ممكن كسر الهمزة، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادّعى أنّ أبا عمرو كان يُسكِّن الهمزة" [7].

فهذان النصّان يؤكدان أنّ ما جاء في نصِّ أبي العيناء الذي نقلناه لم يكن فيه دلالة على أن بعض العرب يسقطون الحركات الإعرابية، وإنّما هو دليلٌ- كما ذكرسمير إستيتية - على أنّ الإعراب يأتي سليقة غير متكلّف ولا مصنوع .

وأما نسبة إسقاط الحركات الإعرابية إلى بني تميم كما جاء عند السيوطي[8] في ما نقله عن ابن مالك عن أبي عمرو، فإنّ هذه النسبة قد لا تثبتُ أمام وجود كثير من الكلمات التي "

[1] بحث (الازدواجية في اللغة العربية) : 136.
[2] البقرة، 54.
[3] الكتاب : ج202/4.
[4] يوسف، 11.
[5] القيامة، 40.
[6] البقرة، 54.
[7] الخصائص: ج72/1.
[8] همع الهوامع: ج183/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترد في العربية المشتركة بإعراب، وترد في لهجة تميم بإعراب آخر، ولو كانت تميم تُسقط الإعراب، لجاءت هذه الكلمات ساكنة " [1].

ويبدو أنَّ أبا عمرو لم يخطىء في ما حكاه عن لغة تميم من حذف الحركة، ولكنّه ليس الحذف الذي يعني إسقاط حركة الإعراب، وإنما هو الاختلاس وعدم التكلُّف والتصنُّع في الإعراب، وهو ما يُفهم من نصِّ أبي العيناء الذي تقدَّم، ومن النصّين اللذين نقلناهما عن سيبويه وابن جنّي .

ومما يؤكد أنّ تميم لم تكن تُسكِّن أواخر الكلمات وإنّما كانت تُعرب من غير تكلُّف ولا تصنُّع، وتختلس اختلاساً أنها قبيلة بدوية، وقد عُرف عن البدو" قلةُ عنايتهم بالنطق، وسرعتهم في الأداء ..... فليس بين البدو طبقات اجتماعية تقاس بمقاييس الحضر من رغبة في تجويد النطق وتخيُّر الألفاظ، فلا يكادون يتكلّمون إلا بقدر " [2].

2- الصرف وعدم الصرف :

ذكرت كتب إعراب القرآن الكريم ومعانيه ألفاظاً فيها لغتان من حيث الصرف والمنع من الصرف؛ فبعض العرب يصرف هذه الألفاظ، ويمنعها الآخرون من الصرف، وهذه الألفاظ هي : (عرفات، وهِنْد، ومِصْر، وعاد، وحُنين) .

فأما (عرفات) فقد ذكر الأخفش عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ﴾[3]، فقال: " ومن العرب مَنْ لا يصرف إذا سمّى به، ويُشبِّه التاء بهاء التأنيث نحو : (حَمْدَةَ) ، وذلك قبيح ضعيف. قال الشاعر[4]:

تنوَّرْتُها من أذرِعاتٍ وأهلُها بيثْرِبَ أدنى دارها نظرٌ عالِ

ومنهم من لا ينوِّن (أذرِعات) ، ولا (عانات) ، وهو مكان "[5].

---

[1] بحث (الازدواجية في اللغة العربية) : 135، وينظر في الاختلاف الإعرابي بين تميم وغيرها من القبائل: ضاحي عبدالباقي (لغة تميم) : 487-538.

[2] في اللهجات العربية: 88، وينظر: اللهجات العربية في التراث: ج692/2.

3 البقرة، 198.

4 البيت لامرىء القيس، ينظر: ديوانه : ج326/1، والكتاب : ج3/ 233.

5 معاني القرآن : ج1/ 165.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأخفش يبين في نصّه هذا أنَّ منْ مَنَعَها مِن العرب قد شبَّه التاء فيها بتاء التأنيث في نحو : (حَمْدَة) ، لكنّه قال إنّ ذلك قبيح ضعيف، وهو في ذلك ينطلق من نظرة النحاة المعيارية إلى قواعد اللغة؛ فالباحث يرجو، وهو يجد الأخفش ينسب المنع من الصرف إلى بعض العرب، أن يسمي الأخفش هؤلاء العرب الذين يمنعون (عرفات) من الصرف ويشبهون التاء فيها بهاء التأنيث، لا أن يجد حُكماً بالقُبح أو الضعف على هذه اللغة، لكنّ حرص النحاة على القاعدة كان يحملهم على العناية بهذه الأحكام أكثر من العناية باللغات الأُخرى التي تُخالف القواعد.

وفعل سيبويه، من قبل، كما فعل الأخفش مع هذه اللغة، فذكرها ولم يُعيّن العرب الذين يمنعونها، فقال : " ومن العرب من لا يُنوِّن (أذرِعات) ويقول: هذه قريشيَّاتُ كما ترى، شبهوها بهاء التأنيث"[1].

وأما (هِند ومصر) فقد ذكرهما الأخفش في موضعين من كتابه، الأول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ألم ﴾[2]، فقال: " ومن العرب من لا يصرف المؤنَّث إذا كان وسطه ساكناً نحو (هِنْد) و (جُمْل) و (دَعْد) ، قال الشاعر [3]:

وإنّي لأهوى بيتَ هِنْدٍ وأهلها على هَنَواتٍ قد ذُكرْنَ على هِنْدِ"[4].

والموضع الآخر عند تفسير قوله تعالى : ﴿اهْبِطُوا مِصْراً﴾[5] فقال : " ما كان من اسم مؤنث على هذا النحو، نحو: هِنْدٍ وجُمْل، فمن العرب من يصرفه، ومنهم من لا يصرفه " [6].

والأخفش في هذين النصين يذكر قاعدة هي أنّ العلم المؤنث إذا كان ساكن الوسط فمن العرب من يصرفه ومنهم من لا يصرفه، وهذه قاعدة عامّة ذكرها النحاة في باب الممنوع من الصرف، لكنهم لم يشيروا إلى أنّ ذلك من لغات العرب، بل اقتصروا على جواز الصرف وتركه، فقال سيبويه في المؤنث الساكن الوسط: " أنت بالخيار: إنْ شِئتَ صرفته، وإنْ شئتَ لم تصرفه، وترك الصرف أجود " [1].

وعبارة سيبويه (ترك الصرف أجود) تعود بنا إلى قضيّة الأحكام التي يصدرها النحاة على لغات العرب دون العناية بالقبائل التي تكلمت بهذه اللغات، فقد أجاز سيبويه الصرف ومنْعَه،

1 الكتاب : ج3/ 234.
2 البقرة، 1.
3 لم أعثر على قائل البيت.
4 معاني القرآن: ج20/1.
5 البقرة، 61.
6 معاني القرآن: ج99/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يذكر أن الوجهين لغتان للعرب، بل انتقل إلى الحكم بالجودة على منع الصرف. وتميز الأخفش بأنّه أشار إلى أنّ جواز الصرف والمنع في الأسماء المؤنثة الساكنة الوسط وجهان يرجعان إلى لغات العرب، إلاّ أنّه لم يُعيِّن قبائل العرب التي تمنع صرف هذه الأسماء، أو القبائل التي تصرفها.

وأما (عاد وحُنين) فقد ذكرهما النّحاس، فقال في (عاد) عند إعراب قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ﴾ [2]: " وحكى الكسائي والفراء أن مِن العرب مَن لا يصرف (عاداً) أي يجعله اسماً للقبيلة "[3]. وقال في (حُنين) عند إعراب قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ [4]: " انصرف (حُنين) لأنّه مذكر اسم واد. ومن العرب من لا يُجريه يجعله اسماً للبُقْعة "[5].

فقد نقل النحاس عن الكسائي والفرّاء أن العرب الذين لا يصرفون (عاداً) يجعلونه اسماً للقبيلة، وقال : إنّ العرب الذين لا يصرفون (حُنَيْناً) يجعلونه اسماً للبقعة. أي أنّ مدار الأمر على نظرة المتكلمين إلى هذه الأسماء، فمَن نظر إلى الاسم على أنه اسم للقوم فهو يصرفه في لغته، ومن نظر إليه على أنه اسم للقبيلة فهو يمنعه في لغته للعلميّة والتأنيث، وكذلك (حُنين) يحتمل التأنيث والتذكير، بأن يكون اسما للبقعة أو للوادي، فمن العرب من يصرفه ومنهم من يمنعه. وقد وردت اللغتان في القرآن الكريم مع اسم القبيلة (ثمود) ، فقال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَاً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدَاً لِثَمُودَ ﴾[6].

وإذا علمنا أن اللغة العربية قد ابتدعت عدم الصرف، وأنّه غير موجود في غيرها من اللغات كما يقول برجسترسر: " هو من غرائب اللغة العربية لا نظيرله في غيرها "[7]، استطعنا أن نفسّر اختلاف لغات العرب في صرف بعض الأسماء، بل وما جاء عند ابن جنّي من وجود لغة يصرف أهلُها جميع ما لا ينصرف [8]، ومثّل عليها بصرف (سلاسل) في قوله تعالى : ﴿ سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً ﴾ [9].

---

[1] الكتاب ج240/3، وينظر: شرح المفصل: ج70/1، وشرح ابن عقيل: ج281/2.
[2] هود، 59.
[3] إعراب القرآن: ج97/2.
[4] التوبة، 25.
[5] إعراب القرآن: ج11/2.
[6] هود، 68.
[7] التطور النحوي للغة العربية: 77.
[8] الخصائص: ج96/2.
[9] الإنسان، 4.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعدم الصرف من ابتداع اللغة العربية، ولهذا لم تتّجه كل القبائل العربية إلى هذا الابتداع، فلغة قوم، كما جاء عند ابن جنّي، يصرف أهلها جميع ما لا ينصرف، ونستطيع أن نقول، في ضوء ابتداع العربية للمنع من الصرف، إنّ هؤلاء القوم الذين ذكر ابن جني لغتهم قد حافظوا على الموروث السامي، فلم تتّجه لغتهم إلى منع الأسماء من الصرف، وبعبارة أُخرى هم لا يصرفون الممنوع، وإنّما هم لا يمنعون أسماء من الصرف أصلاً.

وأما القبائل التي ذكر العلماء أنها تصرف بعض الأسماء الممنوعة من الصرف مع أنها تمنع أسماء أُخرى فإننا نُرجِّح أن تكون هذه القبائل قد أُخِذَت اللغة عنها في مرحلة كانت فيها تتّجه من عدم الصرف إلى المنع من الصرف، فوُجدت وقد منعت بعض الأسماء وصرفت أُخرى، أي في مرحلة وسطى بين المرحلتين.

3- إبقاء حرف العِلَّة في آخر المعتل المجزوم :

ذكر هذه الظاهرة الفرّاء والنحاس، فقال الفرّاء : " قد قرأ يحيى بن وثّاب وحمزة : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُم طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً لَا تَخَفْ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى ﴾[1]، بالجزاء المحض. فإن قلت: فكيف أثبتت الياء في (تخشى) ؟ قلت: في ذلك ثلاثة أوجه؛ إن شئت استأنفت (ولاتخشى) بعد الجزم، وإن شئت جعلت (تخشى) في موضع جزم وإن كانت فيها الياء؛ لأن من العرب من يفعل ذلك؛ قال بعض بني عبس[2]:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زيادِ

فأثبت الياء في (يأتيك) وهي في موضع جزم؛ لأنّه رآها ساكنة، فتركها على سكونها؛ كما تفعل بسائر الحروف. وأنشدني بعض بني حنيفة [3]:

قال لها من تحتها وما استوى هُزِّي إليكِ الجِذعَ يجنيكِ الجنى

1 طه، 77.
2 البيت لقيس بن زهير، ينظر: الكتاب ج3/ 316، والخصائص: ج1/333، والإنصاف: ج1/30، وشرح المفصل: ج8/ 24، وج10/104، وشواهد التوضيح والتصحيح : 21.
3 لم أعثر على قائل البيت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان ينبغي أن يقول : يَجْنِكِ. وأنشدني بعضهم في الواو[1]:

هجوتَ زَبَّانَ ثُمّ جئت معتذراً من سَبِّ زبّانَ لم تهجو ولم تدع "[2].

وقال النحاس في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾[3] : " الأصل يأتيكم حُذفت الياء للجزم، ومن قال: ألم يأتيكم الأصل عنده يأتيُك، فحذفت الضمة للجزم إلا أنّ اللغة الفصيحة الأولى "[4].

ذهب الفراء في نصّه إلى أنّ من العرب من يُبقي حرف العِلّة في آخر المعتل المجزوم، وأنشد في ذلك ثلاثة أبيات، وذهب النحاس إلى أنَّ من يفعل ذلك يجعل حذف الضمَّة علامة الجزم كما هو الحال في الفعل الصحيح الآخر. ونتبين من نصِّ الفراء أنَّ هذه الظاهرة استعمال لبعض العرب وإن لم ينصّ على أنّه لغة، ولكنّ النحاس يؤكد أنه لغة لقوله: (إلا أنَّ اللغة الفصيحة الأولى) . ولم أعثر في المصادر التي توفرت لدي على نسبة هذه اللغة إلى قبيلة معيّنة من العرب، وإنما اكتُفي بالقول إنها لغة. وقد وردت عند ابن مالك شواهد كثيرة على هذه الظاهرة، منها قراءة قنبل: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِر فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ﴾[5]، وقول عائشة رضي الله عنها : (إن يقم مقامك يبكي) [6]، وقول الرسول –صلّى الله عليه وسلّم – في إحدى الروايتين: (مُرُوا أبا بكر فليصلّي بالناس) [7]، وقوله : (من أكل من هذه الشجرة فلا يغشانا) [8].

وقول الشاعر [9]:

وتضحكُ منِّي شيخة عبشميَّةٌ كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

وقول الآخر [10] :

إذا العجوز غضبت فطلّق ولا ترضّاها ولا تملّق

1 نُسب البيت إلى أبي عمرو بن العلاء، ينظر: الإنصاف: ج24/1، وشرح الأشموني: ج46/1، وشواهد التوضيح والتصحيح: 21.
2 معاني القرآن: ج1/ 161 – 162.
3 التغابن، 5.
4 إعراب القرآن : ج3/ 444.
5 يوسف، 90.
6 شواهد التوضيح والتصحيح : 21.
7 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
8 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
9 البيت لعبد يغوث بن وقّاص الحارثي، قصيدة رقم (30) في المفضليات: 155، وينظر: شرح المفصل: ج10/ 107، ومغني اللبيب : ج1/ 277، وشرح الأشموني : ج1/ 46.
10 البيت لرؤبة بن العجاج، ديوانه: 179، وينظر: الإنصاف ج26/1، وشرح المفصل: ج106/10.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عدّ سيبويه هذا الاستعمال من باب الضرورة، وفسَّره بأنّه جزمٌ على الأصل أي بحذف الحركة دون الحرف [1]. وهذا التفسير الذي ذكره سيبويه غيرُ مقنع، وهو نفسه الذي جاء عند الفراء والنحاس. ولكنّ الباحث يميل إلى التفسير الذي ذكره ابن يعيش وهو أنّ " بعضهم يجعل الواو في يهجو إشباعاً حدث عن الضمة قبلها والياء في (ألم يأتيك) إشباعاً حدث عن الكسرة فعلى هذا يكون وزن يهجو ويأتيك هنا يفعو ويفعيك وقد انحذفت اللام للجزم " [2].

وأكدّ هذا التفسير ابن مالك في حديثه عن ثبوت الألف في الفعل (يرى) بعد (متى) الشرطية، فقال: " تكون الألف متولّدةً عن إشباع فتحة الراء، بعد سقوط الألف الأصلية جزماً. وهي لغة معروفة. أعني إشباع الحركات الثلاث وتوليد الأحرف الثلاثة بعدها "[3].

وبهذا فإنَّ مِنَ القُدَماء مَنْ لم يوهم كما ذكر بعض الباحثين المحدثين [4]، بل إنَّ ما ذكره ابن يعيش وابن مالك في هذه اللغة هو نفسه الذي تراه الدراسات الصوتية الحديثة، إلا أنَّ الاختلاف بينهما في الاصطلاح حسب، فالمحدثون يسمون الصوت الناتج عن إشباع الكسرة كسرةً طويلة، ويسميه القدماء ياء، إلا أنَّ القدماء قد أدركوا أنَّ هذه الياء ليست الياء التي هي حرف العلّة الأصلي في آخر الفعل، وهو الذي يُحذف عند الجزم. وتأكيد ذلك أنّ ابن يعيش قد ذكر وزن (تهجو) و (يأتيك) ، فقال: يفعو ويفعيك وقد انحذَفَت اللام للجزم.

4 - الاسم المنقوص :

ذُكرت في الاسم المنقوص لغة تُخالف القاعدة النحوية التي تقول إن الضمة والكسرة لا تظهران على آخر الاسم المنقوص إن كان معرفاً، وتظهر الفتحة، فنقول: رأيتُ قاضيَ المدينة، لكنّ النحاس قال في إعراب الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[5]: " من العرب من يحذف منها[أي ياء الاسم المنقوص] الفتحة فيجريها مجرى الألف فلا يُحرِّكها بحال "[1]. فهذه لغة تُعامل فيها الياء معاملة الألف فلا تظهر الحركات الإعرابية عليها.

ويمكن أن تكون هذه اللغة بأثر من قانون طرد القاعدة على وتيرة واحدة، فالمتكلمون بهذه اللغة رأوا الضمة والكسرة لا تظهران، فمالوا إلى عدم إظهار الفتحة قياساًعلى الضمة و الكسرة. ومع أنّ هذه اللغة قليلة لم تحظ بوجود يُذكر في قواعد الاسم المنقوص، ولم يُعيَّن القوم

1 الكتاب : ج3/ 316 .
2 شرح المفصل: ج106/10، وينظر: شرح الأشموني: ج46/1.
3 شواهد التوضيح والتصحيح : 22.
4 يحيى عبابنة: بحث (شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى)، مؤتة للبحوث والدراسات، مجلّد (8)، عدد(6) ، 1993 : 158.
5 الانشقاق، 6.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين يتكلمون بها، إلا أنّ تطور اللهجات يشير إلى أنّها قد نحت منحى هذه اللغة في عدم إظهار الفتحة على ياء الاسم المنقوص، فلا نكاد نجدها تظهر في لهجاتنا المعاصرة، إذ نقول: رأيت قاضي المدينة ورأيتُ القاضي العادل، كما نقول: جاء القاضي ومررت بالقاضي.

وذُكرت في الاسم المنقوص لغة أُخرى تتمثّل في الوقف بالياء على المنقوص الذي حُذفت ياؤه في حالتي الرفع والجر، والعرب الفصحاء يقفون بغير ياء كما يقول الزجّاج في إعراب الآية﴿ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾[2]: " الفصحاء من العرب وقفوا بغير ياء ليُعلموا أنّ هذه الياء تسقط في الوصل. وزعم يونس أنّ بعض العرب الموثوق بهم يقف بياء، ولكنّ الاختيار اتّباع المصحف والوقف بغير ياء"[3].

ومثل ذلك نقل النحاس في هذه اللغة عن يونس أنّ بعض العرب يقف بالياء، فقال: " وحكى يونس أنّ بعض العرب الموثوق بهم يقف بالياء فيقول: جاءني قاضِي وجازِي"[4].

وهذا الذي نقله الزجّاج والنحاس عن يونس هو ما رواه سيبويه عن أبي الخطاب ويونس بقوله: " حدّثنا أبو الخطاب ويونس أنّ بعض من يوثَقُ بعربيته من العرب يقول: هذا رامي وغازي وعَمِي، أظهروا في الوقف حيث صارت في موضع غير تنوين، لأنّهم لم يُضطرّوا ههنا إلى مثل ما اضطرُّوا إليه في الوصل من الاستثقال "[5].

وعلّل هؤلاء العلماء لغة إثبات الياء في الوقف، بأنَّه لمّا زال تنوين الضم بسب الوقف زال الثقل، فعادت الياء. وهذا هو الأصل، لأنَّ عِلّة حذف الياء قد زالت فينبغي ألا تُحذف، إلا أنّ اللغة الفصيحة عند الزجّاج الوقف بغير ياء إشارةً إلى أنَّ هذه الياء تُحذف عند الوصل.

---

1 إعراب القرآن: ج662/3
2 لقمان، 33.
3 معاني القرآن وإعرابه: ج202/4.
4 إعراب القرآن: ج608/2، وينظر: ج533/2 و820.
5 الكتاب ج183/4.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يعيّن سيبويه أو العلماء الآخرون الذين ذكروا هذه اللغة القبائلَ التي تقف على الاسم المنقوص بالياء، كما لم يُعيِّنوا القبائل التي لا تُظهر الفتحة على ياء المنقوص في حالة النصب مع كونه معرَّفاً. ومع هذا فإنَّ لغة الوقف على المنقوص بالياء قد شقّت طريقها في اللهجات الحديثة كما هي حال اللغة التي لا تظهر فيها الفتحة على ياء المنقوص في حالة النصب، ففي اللهجات المعاصرة نقول: جاءنا قاضي ومررت بقاضي، ولا نقول: جاءنا قاضْ ومررت بقاضْ. مع أنَّ وجه الحذف كان هو الأجود والأكثر كما قال سيبويه فيه: " هذا الكلام الجيِّدالأكثر"[1]. فقد تكون اللغة قليلة الشيوع والانتشار، ولم تحظ لذلك بقدْرٍ وافرٍ من عناية النحاة، إلا أنّ منطق التطور اللغوي الذي أوجدها على ألسنة المتكلمين بها قد يدفع بها نحو الانتشار بين أبناء اللهجات الأخرى، وإن كان جيلاً بعد جيل، لتصبح اللغة التي كانت قليلة هي الأكثر بعد حين، وتُصبح اللغة التي كانت كثيرةً قليلة الشيوع والانتشار، وهذا ما نجده في لغتي الاسم المنقوص اللتين تحدثنا عنهما في هذا الباب.

5- **الملحق بجمع المذكر السالم:**

أ- الأسماء الملحقة بجمع المذكر السالم:

ذكر الفرّاء والنحّاس في الأسماء الملحقة بجمع المذكر السالم لغتين، الأولى هي اللغة المشهورة التي يُعرب فيها إعراب جمع المذكر السالم ولهذا ألحقوه به، والثانية هي لغة تثبتُ فيها الياء في آخر هذه الأسماء، وتعرب بالحركات على آخر كل منها.

والكلمات الملحقة بجمع المذكرالسالم التي وقف عندها الفرّاء والنحاس هي (عضين) [2] في الآية: ﴿الَّذِيْنَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ ﴾[3]، و (عِزين) [4] في الآية: ﴿عَنِ اليَمِيْنِ وعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾[5]، و (سِنين) في الآية: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾[6]، وفي الآية: ﴿فِيْ بِضْعِ سِنِيْنَ﴾[7]، وذكر الفرّاء كلمات أُخرى في حديثه عن (العضين) ليست في كتاب الله، هي: قُلِين[8] وبُرين[9]، وثُبين[10]. فقال الفرّاء: " واحدة العِضين عِضَة رفعُها عِضُون ونصبها وخفضها عِضِين.

1 الكتاب: ج183/4.
2 قال الفرّاء: العِضون في كلام العرب: السحر بعينه.
3 الحِجر، 91.
4 العِزون: العُصبة من الناس.
5 المعارج، 37.
6 الأعراف، 130.
7 الروم، 4.
8 قُلين جمع قُلة، وهي خشبة قَدْر ذراع تُنصب ليلعب بها الصبيان.
9 البرون: جمع البرة وهي الحلقة من صفر أو غيره تجعل في أنف البعير.
10 ثُبين جمع ثُبة، وهي الجماعة من الفرسان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن العرب من يجعلها بالياء على كل حال ويعرب نونها فيقول: عِضِينُك، ومررتُ بعِضينِك وسِنِينِك، وهي كثيرة في أسد وتميم وعامر.

أنشدني بعض بني عامر[1]:

ذراني َ من نجدٍ فإنّ سِنِينَه لعِبْنَ بنا شِيباً وشيَّبْنَنَا مُرْدا

متى نَنْجُ حَبْوا من سِنِينٍ مُلِحَّةٍ نُشمِّرْ لأُخرى تُنْزِلُ الأعصَمَ الفردا

وأنشدفي[كذا وأظنها أنشدني] بعض بني أسد[2]:

مثل المَقَالي ضُرِبَت قُلِينُها

من القُلَة وهي لُعبة للصبيان، وبعضهم[3]:

إلى بُرين الصُفْر المَلْوياتِ

وواحد البُرين بُرة، ومثل ذلك الثُّبين وعِزين يجوز فيه ما جاز في العِضين والسنين". [4]

وأما النحاس فقد ذكر هذه اللغة في عِدّة مواضع من كتابه، وكان في ذلك ينقل عن الفرّاء كقوله: " قال الفرّاء : ومن العرب مَنْ يقول: عِضِينُكَ يجعله بالياء على كُلِّ حال ويُعرب النون، كما تقول: مضت سنينُك، وهي كثيرة في أسد وتميم وعامر" [5].

فهذه اللغة التي تُعرب الملحق بجمع المذكر السالم بالحركات وتعامله معاملة جمع التكسير قد نسبها الفرّاء إلى بني أسد وبني تميم وبني عامر، ولم ينسبها غيره إلى غيرهم، ويبدو أن نسبة هذه اللغة إلى هذه القبائل البدوية هي نسبة صحيحة؛ ذلك أن أبناء البادية أكثر محافظةً على نقاء لغتهم من غيرهم، وقد حظوا لذلك برحلات النحاة إلى البادية عندما أرادوا أن يجمعوا اللغة نقيّةً صافية، ولهذا فإنّ أبناء القبائل البدوية التي ذكرها الفرّاء قد كان لهم حظٌّ وافرٌ من الملكة اللغوية، والإحساس المرهف تجاه لغتهم، مما مكّنهم من التمييز بين الأسماء المذكّرة التي

---

[1] نسب العيني البيت الأول إلى الصمّة القشيري، ولم يُشِر إلى البيت الثاني ولم يذكره، ينظر: شرح شواهد شروح الألفية: ج170/1، ولكن محمد علي النجار محقق الجزء الثاني من معاني الفرّاء نسب البيتين للصمة القشيري بناءً على ما جاء عند العيني مع أنّ العيني لم يذكر البيت الأول وليس في شعر الصمة القشيري الذي جمعه وحققه د. خالد الجبر إلا البيت الأول، ينظر الصمّة بن عبد الله القشيري حياته وشعره: 78. ويبدو أنّ البيت للصمّة وإن سقط الثاني من مجموع شعره؛ ذلك أنّ معاني الفرّاء لم يكن في مراجع خالد الجبر عند تخريج أبيات القصيدة التي منها البيتان.

[2] لم أعثر على القائل.

[3] لم أعثر على القائل.

[4] معاني القرآن : ج92/2.

[5] إعراب القرآن: ج203/2، وينظر : ج1 /632، وج578/2، وج509/3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تُجمع بزيادة الواو والنون في أواخرها في حالة الرفع، والياء والنون في حالتي النصب والجر من جهة، والأسماء المؤنثة التي تُجمع بزيادة الياء والنون كسنة وسنين من جهة أخرى، فأدركوا بحسِّهم أن الطائفة الثانية ليست كالأولى، وأنَّ علامة الجمع وإن كانت واحدة، إلا أنّ الإعراب مختلف.

بل إذا ذهبنا أبعد من ذلك في هذا التفسير، أمكن لنا أن نقول إن القبائل التي عاملت الملحقات بجمع المذكر السالم معاملته من حيث الإعراب، إنما هي قبائل قد يكون أبناؤُها وهِموا أول أمرهم كما يَوْهم بعض المتعلمين اليوم في (شُؤون) فيظنها جمع مذكر سالم، ثم فشا ذلك الوهم في تلك القبائل فأصبح عادةً كلامية عندهم، ثم كان له الشيوع والانتشار في كثير من القبائل العربية التي تشكلت من لغاتها العربية المشتركة، فجاء القرآن الكريم بهذه اللغة المشتركة.

ويؤيد ما ذهبنا إليه من أنّ الأصل في لغة من عامل هذه الأسماء معاملة جمع المذكر السالم التوَهُّمُ والخطأ ما نُقل عن بعض العرب من قولهم في (الشياطين) : الشياطون، وقد ذكر الأخفش هذا الاستعمال وعلّله بالتوهم، فقال: " وقد قال ناسٌ من العرب (الشياطون) ، لأنّهم شبّهوا هذه الياء التي كانت في (شياطين) إذا كانت بعدها نون وكانت في جمع وقبلها كسرة بياء الإعراب التي في الجمع، فلمّا صاروا إلى الرفع أدخلوا الواو، وهذا يشبه : (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ) "[1]، بل حتى (الشياطون) التي قرأ بها الحسن البصري في الآية: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِيْنُ ﴾[2]، وقال النحاة بتوهمه وغلطه " قال أبوحاتم: هي غلط منه أو عليه، وقال النحاس: هو غلط عند جميع النحويين، وقال المهدوي: هو غير جائز في العربية "[3]، حتى هذه القراءة وما قيل فيها من التوهُّم والخطأ، قد وجدت من يدافع عنها، فهذا أبوحيان يقول: " وقرأ الأعمش: (الشياطون) كما قرأه الحسن وابن السميفع، فهؤلاء الثلاثة من نَقَلَةِ القرآن، قرؤوا ذلك ولا يمكن أن يُقال غلطوا، لأنهم من العلم ونقل القرآن بمكان "[4].

وهذا يُرجِّح كون أسد وتميم وعامر قد حافظت على الأصل بِحِسٍّ سليقي مُرهَفٍ وإن كان الوهم قد داخل لغة غيرهم من القبائل العربية.

ب - إلحاق (الذين) بجمع المذكر السالم :

---

[1] معاني القرآن: ج1/14-15.
[2] الشعراء، 210.
[3] البحر المحيط: ج7/43.
[4] المصدر نفسه والصفحة نفسها، وينظر: الصاحب أبوجناح: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: 103.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه القضيَّة تقابل قضيَّة الأسماء الملحقة بجمع المذكر السالم السابقة، فكما أنّ بعض الأسماء قد أُلحقت بجمع المذكر السالم في اللغة المشهورة، ولم تُلحقها بعض القبائل بهذا الجمع بل عاملتها معاملة جمع التكسير، فإنّ الاسم الموصول (الذين) هو اسم مبني في اللغة المشهورة، إلا أنّ بعض القبائل قد عاملته في لغتها معاملة جمع المذكر السالم، فقالوا (اللذون) في حالة الرفع.

وقد ذكر هذه اللغة الفرّاء والأخفش والنحاس، فقال الفرّاء: " وكنانة يقولون (اللّذون) "[1]، وقال الأخفش : " إلا أنّ ناساً من العرب يقولون: هم اللّذون يقولون كذا وكذا، جعلوا له في الجمع علامة للرفع، لأنّ الجمع لا بُدَّ له من علامة : واو في الرفع، وياء في النصب والجر"[2].

وذكر النحاس هذه اللغة في مواضع متعددة من كتابه، فقال: " وهذيل تقول: اللذون في موضع الرفع "[3]، وقال في موضع آخر: " اللغة التي جاء بها القرآن (الذين) في موضع الرفع والخفض والنصب، وبنو كنانة يقولون : اللذون في موضع الرفع"[4]. وأما المواضع الأخرى فقد ذكر اللغة فيها دون نسبة إلى القبائل[5].

ونخلص إلى أنّ هذه اللغة قد نسبها الفرّاء والنحاس إلى بني كنانة، ونسبها النحاس وحده إلى هُذيل كذلك، ولم ينسبها الأخفش.

وأما عند غيرهم من العلماء فنجد ابن عقيل[6] قد نسبها إلى بني هذيل، وأنشد قول الشاعر[7]:

نحن اللذون صبَّحوا الصّباحا يومَ النُّخَيْلِ غارةً مِلْحاحاً

ونسبها الأشموني فتردَّد بين هُذيل وعُقيل قائلاً: "وهم هُذيل أوعُقيل "[8]، ويبدو أنّ هذا التردُّد بسبب الاختلاف في نسبة البيت السابق الذي أنشده ابن عقيل، وأنشده الأشموني بعد قوله هم هُذيل أوعقيل، فقد نُسب الشاهد إلى رجل جاهلي من عُقيل، ونُسب إلى كثير غيره فتردّد الأشموني في نسبة اللغة وفقاً للاختلاف في نسبة الشاهد، ومما يؤكّد أنّ التردّد بين هُذيل وعقيل

---

[1] معاني القرآن ج184/2.
[2] معاني القرآن: ج14/1
[3] إعراب القرآن : ج131/1.
[4] المصدر نفسه: ج427/1.
[5] ينظر: ج1 /513 و535، وج2 /84و598، وج15/3 و44 و143.
[6] شرح ابن عقيل: ج127/1.
[7] ذكر محمد محيي الدين عبد الحميد في تحقيق شرح ابن عقيل ج1 /127 أنّ البيت قد اختُلف في نسبته اختلافاً كثيراً، فقد نُسب إلى رجل جاهلي من بني عُقيل، وإلى ليلى الأخيلية، وإلى رؤبة بن العجاج، وينظر: شرح التصريح: ج153/1، فقد فصّل المحقّقُ القول في نسبة هذا الشاهد.
[8] شرح الأشموني ج68/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو شكٌّ في نسبة هذه اللغة قول الأزهري: " وهي لغة هذيل أوعقيل بالتصغير فيهما، وأو للشك"[1]. ولعل شكّ العلماء في نسبة هذه اللغة هو الذي حمل السيوطي على إدخالها في القبائل التي تعرب (الذين) ، فقد نسبها إلى طيّىء وهذيل وعقيل، فقال : "وإعرابه لغة طيّىء وهذيل وعقيل، فيقال في الرفع : اللذون بالواو". [2]

وأما ما جاء في معجم لغات القبائل والأمصار[3] من أنّ صاحب الصحاح قد نسب هذه اللغة إلى ربيعة وبني الحارث، فيبدو أنّه خطأ إذ عبارة الصحاح " وربّما قالوا في الرفع: اللذون" [4]، ولم يذكر الجوهري من هم الذين ربّما قالوا (اللذون) ، ومما يؤكّد خطأ ما جاء في معجم لغات القبائل والأمصار أنّ هذه اللغة لم تُنسب إلى هاتين القبيلتين في أيٍّ من المصادر الأخرى[5].

ونقف في نسبة العلماء لهذه اللغة عند كثرة القبائل التي نُسبت إليها، فقد نُسبت إلى كنانة وهُذيل وطيِّىء، وقد تكون لعُقيل كما جاء عند الأشموني والأزهري والسيوطي، فهذا العدد من القبائل، وإن كثر، لا يُشير إلى ميل المتكلمين إلى الانتقال من البناء إلى الإعراب في الاسم الموصول (الذين) ، بقدر ما يُشير إلى أنّ التوهُّم باب من أبواب التطوُّر اللغوي ليس في أصوات اللغة و صرفها ومعجمها حسب بل في نحو اللغة كذلك.

---

[1] شرح التصريح: ج1 /153.
[2] همع العوامع: ج269/1.
[3] معجم لغات القبائل والأمصار: ج273/1.
[4] الصحاح: مادة (لذ) .
[5] ووهم كذلك مؤلفا (معجم لغات القبائل والأمصار) فجعلا كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد من مصادر هذه اللغة، ينظر:ج256/2.
والواقع أنَّ أبا زيد لم يُشر إلى هذه اللغة من قريب أو بعيد بل قال: " قال أبو حرب بنُ الأعلم من بني عقيل وهو جاهلي: نحن الذين صبّحوا الصباحا. . . البيت"، ينظر: النوادر لأبي زيد: 47.
فنسب البيت إلى أبي حرب بن الأعلم من بني عقيل، ورواه باللغة المشهورة (الذين) ولم يعلق على لغة الإعراب ولم يذكرها، فالكتاب بهذا مصدر قد يُعرف منه قائل البيت، ولكنّه ليس مصدراً للغة الإعراب في (الذين) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم هذا العدد يقود إلى قضيَّة أخرى هي أنّ اللغة المشتركة قد تبني نفسها على الأصل اللغوي وإن شاع مظهرٌ مقابلٌ له مبني على التوهُّم والخطأ كما هو الحال في بناء العربية المشتركة على أنَّ الاسم الموصول (الذين) مبني غير معرب، مع انتشار إعرابه إعراب جمع المذكر السالم في عددٍ غير قليل من القبائل العربية.

وفي مقابل ذلك قد تبني اللغة المشتركة نفسها على ما يشيع من التوهُّم والخطأ، كما هو الحال في بناء العربية المشتركة على أنَّ الملحقات بجمع المذكر السالم تُعرب إعرابه، وإن كان ذلك الإعراب مبنياً على التوهُّم كما في (عضين وعِضون وسنين وسِنون) ، وقد تُقصي اللغةُ المشتركةُ اللغةَ التي جرت على الأصل كإعراب (عضين وسنين) بالحركات.

6- حركة المنادى المرخّم :

ذكر النحّاس في المنادى المرخّم لغتين، فقال عند إعراب الآية: ﴿ وَنَادَوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[1]: " قال مجاهد: ما كنّا ندري معنى (يا مالك) حتى سمعنا في قراءة عبد الله (ونادَوا يا مالِ) . قال أبو جعفر: هذا على الترخيم، والعرب ترخِّم مالكاً وعامرا كثيرا إلا أنّ هذا مخالف للسواد، وفيه لغتان يقال: يا مالِ أقبِلْ، هذا أفصح اللغتين، كما قال [2]:

يا حارِ لا أُرمَيَنْ مِنْكُمْ بداهيةٍ لم يَلْقَها سوقةٌ قبلي ولا مَلِكُ

ومن العرب من يقول : يا مالُ أقبِلْ، فيجعلون ما بقي اسما على حاله"[3].

فقد ذكر النحاس أن اللغة التي يبقى فيها آخر الاسم المرخّم على حركته قبل الترخيم هي اللغة الفصحى، ولعلَّ كون هذه اللغة هي الفصحى متأتٍّ من كثرتها في مقابل قِلَّة اللغة الأخرى التي يُعامل فيها الاسم بعد الترخيم كأنّه منادى لم يُحذف منه شيء فيُبنى على الضمِّ، ومما يؤيِّد أن الكثرة هنا هي مقياس الفصيح عند النحاة، أنّ النحاس قال: (ومن العرب من يقول: يا مالُ أقبل) فالمتكلمون بهذه اللغة قِلَّة، قال فيهم (ومن العرب) ، ومثل ذلك قال الزجّاج: " ومن العرب مَنْ إذا رخّم الاسمَ حذف منه آخره، فَجَعل ما بقي اسماً على حاله بمنزلة اسمٍ لم يكن فيه ما حُذِف منه، فبناه على الضم، فقال: يا حارُ، ويا جَعْفُ، ويا مالُ) "[4].

---

[1] الزخرف. 77.
[2] البيت لزهير بن أبي سُلمى، ديوانه: 180، وينظر: الجمل للزجاجي: 169، وشرح المفصل: ج2 /20.
[3] إعراب القرآن: ج3 /102.
[4] الجمل: 170.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل لقد بين سيبويه،من قبل، أنّ اللغة الأولى أكثر من الثانية، وإن كان الوجهان عربيين: " اعلم أنّ ما يُجعل بمنزلة اسمٍ ليست فيه هاءٌ أقلُّ في كلام العرب، وتركُ الحرف على ما كان عليه قبل أن تُحذف الهاءُ أكثر؛ من قِبل أنّ حرف الإعراب في سائر الكلام غيرُه. وهو على ذلك عربي" [1].

وأكدّ الزمخشري كثرة اللغة الأولى بقوله: " ثم هذا الترخيم على وجهين أحدهما وهو الأكثر أن يحذف آخر الاسم ويكون المحذوف مراداً في الحكم كالثابت"[2].

وقد سُميِّت اللغة الأولى (الفصحى) لغة من يَنْوي، ولغة مَن ينتظر[3]، ولم يعيِّن النحاةُ القبائل التي تُنسب إليها هذه اللغة، وكذلك اللغة الثانية (القليلة) (لغة من لا ينتظر) لم يُشر النحاة إلى المتكلمين بها، فلم تُنسب اللغتان إلى قبائل معينة من العرب. بل اكتفى النحاة بالقول إنهما لغتان للعرب، وإنّ الأولى (لغة من ينتظر) هي الفصحى.

7- إلزام المثنى الألف في أحواله كلّها:

جاءت هذه الظاهرة اللهجية في كتب إعراب القرآن ومعانيه عند حديثهم عن الآية: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[4]، فهذا أبو عبيدة يروي، بعد ذكر الآية السابقة، عن أبي عمرو وعيسى ويونس أنّ اللفظ (هذين) " وكُتب (هذان) كما يزيدون ويُنقصون في الكتاب واللفظ صواب "[5]، فهم كما فهمنا من أبي عبيدة، يرون قراءتها (هذين) [6]، والكتابة (هذان) قضية رسم.

ويبدو أنّ أبا عبيدة مقتنع بما روى عن العلماء الثلاثة، لأنّه يقول بعد الذي روى عنهم: " وزعم أبو الخطّاب أنّه سمع قوماً من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب" [7].

وأما الفرّاء فإنه يُسلّم بكون الآية قد جاءت على لغة من لغات العرب تُبقي المثنى بالألف في حالات الإعراب الثلاث يقول: " فقراءتنا بتشديد (إنّ) وبالألف على جهتين: إحداهما على لغة

---

[1] الكتاب: ج250/2.
[2] شرح المفصّل: ج21/2.
[3] ينظر: شرح الأشموني: ج473/2.
[4] طه، 63.
[5] مجاز القرآن: ج21/2.
[6] جاء في معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ج361/3: " وقرأ أبو عمرو وعيسى بن عمر: إنّ هذيْن لساحران، بتشديد (إنّ) ونصب هذين".
[7] مجاز القرآن: ج21/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بني الحارث بن كعب: يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف، وأنشدني رجل من الأسْد عنهم. يريد بني الحارث[1]:

فأطرق إطراقَ الشُّجاع ولو يرى مَساغاً لِناباه الشجاعُ لصمَّما

قال وما رأيتُ أفصح من هذا الأسْدي وحكى هذا الرجل عنهم: هذا خطٌّ يدا أخي بعينه. وذلك - وإن كان قليلاً-أقيسُ "[2].

فالفرّاء يرى أنّ هذه اللغة التي تُبقي المثنى بالألف في حالاته الثلاث أقيسُ من الأُخرى الشائعة في الفصحى، وهي التي يكون فيها المثنّى بالألف في الرفع، وبالياء في النصب والجر، ويعلّل الفرّاء كون هذه اللغة أقْيَسَ من أختها بتعليل صوتي نراه فيه متابعاً للخليل بن أحمد في تعليله لهذه اللغة، فالفرّاء يقول: " لأنّ العرب قالوا: مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمة لأنَّ الواو لا تعرب، ثم قالوا: رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم، فلمّا رأوا أنّ الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها، وثبت مفتوحاً، تركوا الألف تتبعه، فقالوا: (رجلان) في كل حال"[3].

ويحاول الفرّاءُ أن يُثبت صحة التفسير الذي ذكره، فيتّخذ دليلاً على ذلك من كون العرب قد اجتمعت على إبقاء (كِلا) بالألف رفعاً ونصباً وجراً عند إضافتها للاسم الظاهر، ولم يخالفهم في ذلك إلا بنو كنانة " فإنّهم يقولون: رأيتُ كلي الرجلين ومررتُ بكلي الرجلين. وهي قبيحة قليلة. مضوا على القياس"[4].

وأما الخليل فقد سبق إلى أنّ العلّة في ذلك التخلُّص من الياء المفتوح ما قبلَها، فقال ابن جنّي في ذلك: " أخبرنا أبوعلي عن أبي بكرعن أبي العبّاس عن أبي عثمان عن أبي زيد قال: " سألت خليلاً عن الذين قالوا: مررت بأخواك، وضربت أخواك، فقال: هؤلاء قولهم على قياس الذين قالوا في ييأس: ياءس؛ أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها. قال[يعني الخليل]: ومثله قول العرب من أهل الحجاز: (ياتزن وهم يا تعدون، فرّوا من يَوْتزن ويَوْتعدون) "[5].

وأما الزجّاج فقد ذكر أوْجُه القراءة [6] في هذه الآية﴿إنّ هذان لساحران﴾، وما قاله النحويون[1] فيها من أنَّ في (إنَّ) هاءً مضمرةً والمعنى (إنّه هذان لساحران) ، أو إنَّ (إنّ) فيها

---

[1] البيت للمتلمس، ديوانه: 34، والرواية فيه (لنابَيْه) ، وينظر مختارات ابن الشجري: قسم (1) : 29 والرواية فيها (لنابَيْه) كذلك، وشرح المفصل: ج128/3.
[2] معاني القرآن : ج184/2.
[3] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
[4] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
[5] الخصائص: ج14/2.
[6] معاني القرآن وإعرابه: ج361/3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمعنى (نعم) . وروى ما قدّمنا عن أبي عبيدة من أنّها لغة لبني كنانة، وذكر الشاهد الشعري (فأطرق إطراق الشجاع) ، وزاد عليه أنهم يقولون: (ضربته بين أُذناه، ومن يشتري منِّي الخُفَّان) ، ثم روى عن أهل الكوفة أنّها لغة لبني الحارث بن كعب[2].

وأما أبو جعفر النحّاس فقد نقل عن أبي زيد والكسائي والأخفش والفرّاء أنّها لغة بني الحارث بن كعب، وعن أبي الخطاب أنّها لغة بني كنانة[3]. ونقل عن أبي حاتم ما يفيد بأنّ بني الحارث بن كعب لا يبقون المثنّى بالألف في جميع أحواله حسب، ولكنّهم يُبدِلون من الياء ألفاً إذا انفتح ما قبلها في غير المثنى كذلك، فقال في حديثه عن قراءة الحسن﴿ولَا أدْرَأْتُكُم بِهِ﴾[4] : " وقال أبو حاتم: يريد الحسن فيما أحسب (ولا أدريتكم به) فأبدل من الياء ألفاً على لغة بني الحارث بن كعب لأنهم يبدلون من الياء ألفاً إذا انفتح ما قبلها مثل﴿إنّ هذان لساحران﴾"[5].

وقد فسّر المحدثون هذه الظاهرة على وفق مناهجهم؛ فإبراهيم أنيس فسَّرها تفسيراً صوتياً يقوم على التطور في صوت اللين المركّب، يقول: " صوت اللين المركب الذي يسميه المحدثون (diphthong) ، قد مرَّ في اللغة العربية في أدوار ثلاثة: (ai) أو (au) ، ثم تطور الأول إلى: (e) والثاني إلى: (o) ، وأخيراً صار الاثنان: (a) ..... على أنّ القبائل قد اختلفت في هذا، فمنها قبائل احتفظت بالطور الأول، وأُخرى وصلت إلى الطور الثاني ووقفت عنده، أما الطور الأخير فهو أحدثها وأفصحها لكثرة شيوعه بين القبائل المشهورة، ولأنه الصفة التي شاعت في اللغة العربية النموذجيّة، وهذا هو السرّ في الروايات الآتية: رُوي أنَّ قبائل بلحارث وخثعم وكنانة تلزم المثنى الألف، وعلى هذه اللهجة قول القائل: (قد بلغا في المجد غايتاها) "[6].

---

[1] المصدر نفسه: ج362/3.
[2] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
[3] إعراب القرآن : ج345/2.
[4] يونس، 16 وهي قراءة ابن عباس وابن سيرين والحسن وأبي رجاء، ينظر: البحر المحيط: ج5 /137.
[5] إعراب القرآن: ج54/2.
[6] في اللهجات العربية : 143، وينظر في تطور صوت اللين وتفسير هذه الظاهرة صوتياً: ضاحي عبد الباقي: لغة تميم:520، ويحيىعبابنة: بحث(شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى- دراسة صوتية فنولوجية)، مجلة مؤتة، مج 8،عدد 6، 1993 : 171.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإننا نقبل هذا التفسير الصوتي لمسألة إبقاء بعض القبائل العربية المثنى بالألف في حالات الإعراب الثلاث تخلُّصاً من الصوت المزدوج الذي يتكون في حالتي الجر والنصب، ولكننا نقف عند النتيجة التي أتبعها إبراهيم أنيس لهذا التفسير فهو يقول: " وقد اتخذت اللغة النموذجية أحوال المثنى من لهجات مختلفة، ثم خصص النحاة حالة الياء بالنصب والجر، وحالة الألف بالرفع"[1].

وهذه النتيجة لا يستطيع إثباتَها أو قطعها إبراهيم أنيس أو غيره، ذلك لأنّه عندما ذكرها لم يأتِ بدليل عليها، ولأنّ النحاة يمكن أن يختاروا لهجةً ويستبعدوا أُخرى، ولكنّهم لا يستطيعون انتقاء علامة من لهجة وأُخرى من لهجة أُخرى، ويفرضون مع ذلك سيادة النموذج المنتقى. وقد فسَّر حسام سعيد النعيمي إبقاء المثنى بالألف بقانون القياس الخاطئ، قال: " ولا يبعد عندي أن يكون ما فعَلته بلحارث من القياس الخاطئ، حيث قاسوا المنصوب والمجرور على المرفوع، و أجروا الثلاثة مجرى واحداً، ولا يبعد أيضاً أن تكون الألف أصلاً في المثنى في أوجه الإعراب الثلاثة، ثم خالفوا بالياء في الجر والنصب للتفريق فيما بعد"[2].

وأستبعد أن يكون في هذه اللغة قياس شيء على آخر، وإنّما أصحاب هذه اللغة ينطقون المثنّى بالألف في حالاته الثلاث، دون التفات منهم إلى وجود المنصوب والمجرور بالياء، ثم يقيسون على حالة الرفع كما يرى الباحث. ويؤكد ما أذهب إليه ما نقله أبو جعفر النحاس عن أبي حاتم من أنَّ بني الحارث بن كعب " يبدلون من الياء ألفاً إذا انفتح ما قبلها مثل﴿إنَّ هذان لساحران﴾"[3].

ولكنّي أستدركُ على النصِّ السابق المنقول عن أبي حاتم فأرى أنّه يريد أنّ كُلَّ ياء قبلها فتح في اللغة النموذجيّة، هي ألف في لغة هذه القبيلة (بني الحارث بن كعب) . أي أنّه لا توجد عملية قلب من (هذين) إلى (هذان) ، وإنما كل قبيلة تنطقها على الصورة التي هي عليها.

وأوكّد ذلك بأمثلة أخرى[4] على هذه الظاهرة، من نحو ما أُثر عن هذه القبيلة (جئتُ إلاك) في (جئتُ إليك) ، و (طاروا علاهن فطِرْ علاها) ، أي عليهن وعليها.

---

[1] في اللهجات العربية: 144.
[2] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 245.
[3] إعراب القرآن : ج54/2.
[4] ينظر : إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، 143.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأقول إنّهم لم يقلبوا (إليك) إلى (إلاك) وإنّما نطق بعض القبائل بهذه الصيغة، ونطقت أخرى بتلك، وكذلك (عليهن) و (علاهن) ، كل واحدة منهما لقبيلة، من غير أن تقيس القبيلة إحدى الصيغتين على الأخرى.

وأقف هنا، في الحديث عن التخفيف، فأُنبّه إلى أن الصاحب أبو جناح، قد وهم، فيما أرى، إذ عدّ قراءة الحسن البصري﴿ إنّ هذين لساحران﴾ ملْمحاً من ملامح ميله إلى التخفيف[1]، مع أن الدراسات الصوتية الحديثة [2] تثبت أنَّ الصوت المزدوج صعبٌ في النطق، تُحاول اللغات التخفُّف منه، فتكون صيغة (هذان) أخفُّ من (هذين) .

ويجدر بنا أن نشير إلى تفسير ابن هشام لهذه الظاهرة؛ ففيه التفاتة إلى الإيقاع والتناسب في بين أجزاء الجملة، وليس بين أصوات الكلمة المثناة وحدها، يقول: " وعلى هذا فقراءة (هذان) أقيَسُ، إذ الأصل في المبني أن لا تختلف صيَغُه، مع أنَّ فيها مناسبة لألف ساحران، وعكسه الياء في ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [3] فهي هنا أرجح لمناسبة ياء (ابنتيَّ) "[4].

فقد التفت ابن هشام إلى مسألة المناسبة والانسجام الصوتي الإيقاعي الذي يميل المتكلم إلى إحداثه بين عناصر التركيب، من غير أن تعنيه كثيراً ضوابط النحويين التي تتخذ من لغة قوم آخرين معياراً يقيسون به صحة تراكيب المتكلم أو خطأها.

ونختم الحديث عن هذه الظاهرة بالقبائل التي شاعت فيها، فقال السيوطي في ذلك: " ولزوم الألف في الأحوال الثلاثة لغة معروفة عُزيت لكنانة وبني الحارث بن كعب، وبني العنْبَر، وبني الهُجَيْم، وبطون من ربيعة، وبكر بن وائل، وزُبَيْد، وخَثْعَم، وهَمْدان، وفَزَارة، وعُذْرة"[5].

ووجود الظاهرة في هذه القبائل الكثيرة مؤشرٌ على مدى شيوعها، وأنّها لم تكن بالظاهرة المحدودة، ويبدو أنّ جذورها تعود إلى قبائل اليمن في الأصل و"إعراب المثنى بالألف دائماً، له جذور في المعينية والسبئية حيث تتم بإضافة (ان) للاسم"[6].

---

[1] ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: 73-79.
[2] ينظر: في اللهجات العربية: 143، والمستشرقون والمناهج اللغوية: 147-148.
[3] القصص، 27.
[4] مغني اللبيب: ج39/1.
[5] همع الهوامع: ج145/1، وينظر: شرح المفصل: ج128/3.
[6] هاشم الطعان: الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة: 222.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والغريب في الأمر أن اللهجات المعاصِرة في أكثرها تُلزم المثنى الياء في جميع أحواله، وهي على خلاف ما كان شائعاً في لهجات هذه القبائل القديمة، من إلزام المثنى الألف في كل أحواله.

ولكن صوت الياء الذي نسمعه في اللهجات الحديثة، ليس ذلك الصوت المزدوج الذي قدَّمنا صعوبته في النطق، وهوالذي يكون ما قبله مفتوحاً، نحو (كتابَيْن، ورَجُلَيْن) وإنما هو صوتٌ قد يكون مُمالاً من الألف التي كانت في اللهجات القديمة، إذ كسر المتحدثون ما قبل الألف وأمالوها، فليست الياء في اللهجات الحديثة، هي الياء علامة الجر والنصب التي تقابل الألف علامة الرفع في الفصحى.

وقد تكون ياء المثنى في لهجاتنا الحديثة هي بقيةٌ لياء كانت تُلتزَم في المثنى في لهجات أخرى غير اللهجات التي كانت تلزم المُثنى الألف في جميع أحواله، وقد أشار إلى هذه اللهجات إبراهيم السامرّائي بقوله: " وهذا يعني أن لا بُدَّ أن يكون المثنى بالياء لغة أخرى التزمها طوائف من العرب"[1].

8- تشديد نون المثنى من الموصولات وأسماء الإشارة :

ذكر الفراء هذه اللغة عند تفسير الآية ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ﴾[2] ولم ينسبها، فقال : " اجتمع القُرّاء على تخفيف النون من (ذانِكَ) وكثير من العرب يقول (فذانِّك) و (هذانِّ) قائمان ﴿وَاللذَانِّ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ﴾ [3] فيشدِّدون النون " [4].

وقد نُسبت هذه اللغة في بعض كتب النحو إلى تميم وقيس فقال الأشموني: " وهذا التشديد المذكور لغة تميم وقيس "[5]، وذكرها ابن عقيل وابن يعيش ولم ينسباها [6]، وعلَّل النحاة هذا التشديد بأنَّ القياس أن يقول المتكلم في تثنية (الذي) : اللّذيان، وفي تثنية (التي) : اللّتيان، ثم حُذفت الياء من المثنى وعُوِّض عنها بتشديد النون، وكذا الأمر في (ذا وتا) اسمي الإشارة، فتشديد النون في (ذانِّ وتانِّ) هو عِوض عن الألف المحذوفة[7].

---

1 من بديع لغة التنزيل: 215.
2 القصص، 32.
3 النساء، 16، وفي البحر المحيط : ج3/207 أنها قراءة ابن كثير.
4 معاني القرآن : ج306/2.
5 شرح الأشموني : ج1/ 67.
6 شرح ابن عقيل : ج1/ 124 وشرح المفصل : ج3/ 142.
7 ينظر: شرح الأشموني:ج1/ 67 وشرح المفصل : ج3/ 142 وشرح ابن عقيل : ج1/ 124.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتابعهم في ذلك صبحي عبد الحميد من المحدثين، فقال: " وتفسير هذه الظاهرة جمعاء أنّ ابن كثير شدَّد النون في قوله تعالى : (واللذانِّ يأتيانها منكم) ، ... وهذه الأسماء مبهمات مبنية للافتقار، والتشديد في الموصول على جعل إحدى النونين عوضاً عن الياء المحذوفة التي كان ينبغي أن تبقى، وذلك أنّ (الذي) مثل القاضي تثبت ياؤه في التثنية فكان حقّ ياء الذي والتي كذلك، ولكنهم حذفوها إما لأنّ هذه التثنية على غير قياس وإما لطول الكلام بالصلة، ووجه تشديد (فذانّك) أنّ إحدى النونين للتثنية والأخرى خلف لام (ذلك) أوبدل منها"[1].

وإذا ثبت بنصِّ الفرّاء أنّ التشديد لغة لبعض العرب، ثم نسب بعض النحاة هذه اللغة إلى قبيلتين عربيتين هما تميم وقيس، فمن العجيب أن يقول النحاة إنّ النون عِوض من الياء أو الألف المحذوفة عند التثنية؛ ذلك أن أبناء اللغة لا يعنيهم عند التثنية ما عُني به النحاةُ من حذف الياء، وقياس (الذي) على (القاضي) ، أو حذف الألف من (ذا) والتعويض عنها بتشديد النون من (ذانِّ) .

وما وجه القول : إنّ التشديد عوض عن الياء أو الألف، فلماذا حذف المتكلمون ثم لجأوا إلى التعويض؟ وما أُرى قضية الحذف والتعويض إلاّ من فلسفة النحاة التعليميين الذين يضعون الإجابة عن السؤال وإن لم يُسأل، فظنوا بذلك أنهم يُجيبون السائل عن حذف الياء عند تثنية (الذي والتي وهذا وذا وتا) . وليست المسألة علىهذه الحال، إذ يجب أن تكون الأسماء (اللذانِ واللتانِ وهذانِ وذانِ وتانِ) مُلحقةً بالمثنى من حيث كونها تُشاركه في الإعراب، ولكنّها تخرج من المثنى من جهة أنّ نون المثنى تحذف في حال الإضافة، والنون في هذه الأسماء لا تحذف في كلِّ حال لأنّها لا تضاف، وقد أشار إلى هذا الفرق ابن يعيش فقال: " ومن شدّدها فإنّه جعل التشديد فرقاً بين ما يضاف من المثنى وتسقط نونه للإضافة نحو: غلاما زيدٍ وصاحبا عمروٍ، وبين ما لا يضاف نحو : الذي والتي وسائر المبهمات "[2].

ولكنَّ هذه الإشارة من ابن يعيش لم يُؤسَّسْ عليها فصلٌ بين هذه الأسماء، والأسماء المثنّاة من نحو : زيد وزيدان، فجعل التشديد فرقاً بين المثنى الذي يُضاف والمثنى الذي لا يُضاف، فهل يُعقل أن تلجأ قبيلةٌ أو قبيلتان إلى التشديد دون سائر أبناء اللغة للتفريق بين ما يُضاف وما لا يُضاف ؟ وماذا يعني هذه القبائل من إضافته أو عدمها ؟ ثم لماذا لم يُفرِّق كلُّ أبناء اللغة بينهما فيشدِّدون ؟

1 اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء : 317-318.
2 شرح المفصل: ج3/ 142.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا أردنا تعليل هذه اللغة فإنّنا قد نجد العُذر للنحاة في غُلوِّهم أحياناً بتفسيراتهم التي تقدّمت؛ ذلك أنّ تشديد نون (اللذان) وتخفيف النون في مثل : (رجلان) أمرٌ قد يتعارض مع التفسير الصوتي للتشديد، وكذالك قد يتعارض مع القول بأنّ القبائل البدويّة تميل إلى التخفيف والإسراع، والقبائل الحضريّة تميل إلى التأنّي الذي قد يُرافقه التثقيل.

وبناءً على هذا يمكن أن نرجِّح ميل هاتين القبيلتين إلى التشديد وفقاً لنظريّة اعتباطية اللغة، مع كون البداوة - وهي سمة قبيلتي قيس وتميم - قد أسهمت في ميلهم إلى التشديد لوضوح السمع وهو ما تتطلبه بيئتهم المفتوحة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني- المبنيات :

1- أسماء الأفعال:

اختلفت لغات العرب في أسماء الأفعال من جهات : الأولى : التصرّف في اسم الفعل (هلمَّ) فقد أُسنِد إلى الضمائر في لغة تميم، والثانية: حركة بناء الآخر في أسماء الأفعال (هيهات، وهيت، وأفّ) فقد اختلفت حركة البناء فيها باختلاف لغات القبائل، والثالثة: القياس على أسماء الأفعال المنقولة عن الظروف.

أ- تصرف اسم الفعل (هلُمَّ) :

ذكر هذه اللغة أبو عبيدة والزجّاج والنحاس، فقال أبوعبيدة في تفسير الآية ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ ﴾[1] : "هَلُمَّ في لغة أهل العالية للواحد والاثنين والجمع من الذكر والأنثى سواء. قال الأعشى[2]:

وكان دعا قومَه بعدها هَلُمَّ إلى أمركم قد صُرِم

وأهل نجد يقولون للواحد هلُمَّ، وللمرأة هَلُمِّي، وللاثنين هلمَّا، وللقوم هَلُمُّوا، وللنساء هَلُمُمْنَ، ويجعلونها من: هَلَمَمْتُ، وأهل الحجاز لا يجعلون لها فعلاً "[3].

وقال الزجّاج في تفسير الآية نفسها: " أكثر اللغات أن يقال: هَلُمَّ للواحد وللاثنين وللجماعة، بذلك جاء القرآن نحو قولهم: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[4]. . . ومن العرب من يُثنّي ويجمع ويؤنّث، فيقول للذكر هَلُمَّ، وللاثنين هَلُمَّا، وللجماعة هَلُمُّوا، وللمرأة هَلُمِّي، وللاثنتين هَلُمَّا، وللنسوة هَلُمُمْنَ "[5].

وقال النحاس في إعراب الآية ﴿وَالْقَائِلِيْنَ لِإِخْوَانِهِم هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾[6]: "على لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول: هَلُمُّوا للجماعة، وهَلُمِّي للمرأة؛ لأنّ الأصل (ها) التي للتنبيه ضُمَّت إليها (لمَّ) ثمّ حُذفت الألف استخفافاً، وبنيت على الفتح ولم يجُز فيها الكسر ولا الضمّ لأنها لاتتصرّف"[7].

---

1 الأنعام، 150.
2 ديوانه : 43.
3 مجاز القرآن: ج208/1.
4 الأحزاب، 18.
5 معاني القرآن وإعرابه : ج303/2.
6 الأحزاب، 18.
7 إعراب القرآن: ج628/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد ذكر العلماء الثلاثة اللغتين في (هلمَّ) ونسبها أبو عبيدة والنحاس ولم ينسبها الزجاج، فأما أبو عبيدة فقد نسب إبقاء (هلُمَّ) على حالة واحدة مع المفرد والمثنى والجمع والمؤنث إلى أهل العالية، ونسب تصرّفها مع الضمائر كما تتصرّف الأفعال إلى أهل نجد، وأمّا النحاس فقد نسب اللغة الأولى إلى أهل الحجاز، وهم أهل العالية الذين ذكرهم أبو عبيدة، ونسب الثانية (التصرّف مع الضمائر) إلىغير أهل الحجاز، ولم يحدد مَن هم غيرهم، ويبدو أنّه لا يريد بذلك توسيع دائرة النسبة لتشمل جميع القبائل غير أهل الحجاز كما قال ضاحي عبد الباقي[1]، وإنما يريد النحاس بغير أهل الحجاز تميماً وأهل نجد لأنهم غالباً ما يُذكرون في مقابل أهل الحجاز.

ويؤكّد هذا أنّ سيبويه نسب اللغة الأولى إلى أهل الحجاز والثانية إلى بني تميم فقال: " وهلمَّ في لغة أهل الحجاز كذلك، ألا تراهم جعلوها للواحد والاثنين والجميع والذكر والأنثى سواء. . . وقد تدخل الخفيفة والثقيلة في (هلمَّ) في لغة بني تميم لأنّها عندهم بمنزلة رُدّ ورُدّا ورُدِّي واردُدْنَ، كما نقول: هلُمَّ وهلُمِّي وهلمُمْنَ "[2].

وكذلك نسبها كثير من العلماء إلى بني تميم فقال ابن جني: "من ذلك اختلاف أهل الحجاز وبني تميم في (هلُمَّ) ، فأهل الحجاز يُجرونها مجرى صَهْ ومَهْ ورُوَيْد، ونحو ذلك ممّا سُمِّي به الفعل، وألزم طريقاً واحدا. وبنو تميم يُلحقونها عَلَمَ التثنية والتأنيث والجمع ويُراعون أصل ما كانت عليه (لُمَّ) "[3]. وقال الأشموني: " وهكذا حكم (هلُمَّ) عند بني تميم، فإنهم يقولون: هلُمَّ، وهلُمِّي، وهلُمَّا، وهلُمُّوا، وهَلْمُمْنَ، فهي عندهم فعل لا اسم فعل، ويدلُّ على ذلك أنَّهم يؤكدونها بالنون نحو هَلُمَّنَّ. "[4]

وقد فسر العلماء إلزام (هلمّ) حالة واحدة في لغة أهل الحجاز، بأن أهل الحجاز لم يعتبروا أصل الكلمة وهو (ها) التنبيه والفعل (لُمَّ) ، ولذلك عدُّوا الكلمة اسماً فلم يلحقوا بها الضمائر، ولو اعتبر أهل الحجاز الأصل في هذه الكلمة لفكُّوا تضعيف الفعل (لُمَّ) ، كما هي لغتهم مع ما يشبهه من الأفعال مثل : رُدَّ ومُدَّ. ففي لغتهم يقولون: اردُدْ وامدُدْ [5]. وأما بنو تميم فقد اعتبروا الأصل في (هلُمَّ) فعاملوها كالأفعال المضعّفة في لغتهم، وألحقوا بها الضمائر، ولذا قال الأشموني : "فهي عندهم فعل لا اسم فعل" [6].

1 ينظر: لغة تميم: 489.
2 الكتاب: ج529/3
3 الخصائص: ج168/1.
4 شرح الأشموني: ج490/2_491، وينظر: شرح المفصل: ج42/4، واللسان: مادة (هلم) .
5 ينظر: شرح المفصل: ج4/ 42.
6 شرح الأشموني: ج491/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعُدَّت (هلمَّ) اسم فعل في لغة أهل الحجاز، وفعلاً في لغة بني تميم، ولكنَّ ابن يعيش نبه إلى فرق بينها وبين الأفعال في لغة تميم، وعدّها اسم فعل في اللغتين، فقال: " اعلم أنَّ بني تميم وإن كانوا يجرونها مجرى الفعل في اتصال الضمير بها لشدّة شبهها بالفعل وإفادتها فائدة الفعل، فهي عندهم أيضاً اسم فعل وليست مبقاة على أصلها من الفعلية قبل التركيب والضم، والذي يدلُّ على ذلك أن بني تميم يختلفون في آخر الأمر من المضاعف فمنهم من يُتبع فيقول (رُدُّ بالضم وفِرِّ بالكسر وعَضَّ بالفتح)، ومنهم من يكسرعلى كل حال فيقول (رُدِّ وفِرِّ وعَضِّ) ، ومنهم من يفتح على كل حال، ثم رأيناهم كلَّهم مجتمعين على فتح الميم من (هلمَّ) ليس أحد يكسرها ولا يضمها، فدلَّ ذلك على أنّها خرجت عن طريق الفعلية وأخلصت اسماً للفعل نحو: دونَك ورُوَيْدَك وعندك" [1].

فـ (هلُمَّ) اسم فعل في لغة أهل الحجاز لأنّها تبقى على حالة واحدة ولاتُلحق بها الضمائر، وهي اسم فعل كذلك في لغة بني تميم وإن أُلحقت الضمائر بها؛ لأنّ بني تميم لم يعاملوا (هلمَّ) معاملة الأفعال المضعّفة الأخرى مثل (رُدَّ ومُدَّ وعَضَّ) ، فلم يُسمع عنهم في ميم (هلمَّ) ضَمٌّ أو كسر. وقد ردَّ الشيخ خالد الأزهريّ بأنَّ " التزام أحد الجائزين لا يخرجها عن الفعلية، والتزامُ أحد الجائزين في كلام العرب كثِير"[2].

ومما يؤكّد فعلية (هَلُمَّ) أنَّ بعضهم قد جاء منها بالمضارع، فقد جاء في اللسان: " وإذا قال الرجل للرجل (هَلُمَّ) ، فأراد أن يقول لا أفعل، قال: لا أُهَلِمُّ ولا أُهَلَمُّ ولاأُهَلُمُّ ". [3] وجاء فيه كذلك : " وإذا قيل لك هَلُمَّ إلى كذا وكذا، قلت: إلام أُهَلُمُّ، مفتوحة الألف والهاء، كأنك قلت إلامَ أُلُمُّ: فتركت الهاء على ما كانت عليه"[4]. وبذا نرجح أن تكون (هلُمَّ) في لغة بني تميم فعلاً وليست اسم فعل كما قال ابن يعيش.

وأما نسبة هذه اللغة إلى بني تميم فقد أكّدته المصادر، وإن كان بعضهم ينسبها إلى أهل نجد فلا تعارض في ذلك، " فتميم كانت تقيم بنجد بل كانت تُعد أكبر القبائل التي كانت تحلّ به وكثيراً ماكان يُذكر (نجد) ويُعنى به (تميم) وكذلك العكس"[5]، ونُسبت في اللسان عن الليث إلى

1 شرح المفصل : ج42/4_43.
2 شرح التصريح على التوضيح : ج765/2، وينظر: لغة تميم: 490.
3 اللسان : مادة (هلم) .
4 المصدر نفسه، والمادة نفسها.
5 لغة تميم: 489.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بني سعد[1]، وهذا من قبيل التخصيص، فبنو سعد الذين أرادهم هنا هم بنو سعد بن تميم، وليس سعد بن بكر[2].

ونُسبت لغة أهل الحجاز (استعمال هلُمَّ بلفظ واحد للجميع) في المصباح المنير عن أبي زيد إلى عُقيل وقيس[3]، فأما قيس فهي من القبائل الحجازية، وتكون النسبة إليها من قبيل التخصيص كما هي الحال في نسبة لغة تميم إلى بني سعد وهم من تميم. وأما عُقيل فهي من القبائل العربية التي كانت تقيم شرقيَّ نجد، فإما أن تكون قد استعملت لغة أهل الحجاز مع بعد المسافة بينهما، وهذا ما نرجِّحه، فقد وُجدت هذه الحالة في اللهجات العربية، إذ شاعت لغة (أكلوني البراغيث) في بني الحارث بن كعب الذين يقيمون شماليّ اليمن، وفي طيىء التي تقيم شمالي الحجاز، وإمَّا أن يكون أبو زيد قد أخطأ في نسبة هذه اللغة إلى عُقيل وهو ما لا نميل إليه.

ب-اختلاف حركة بناء الآخر في (هيهات وهَيْت وأفّ) :

ذكر العلماء اختلافاً بين اللغات في الحركة التي يُبنى عليها كلٌّ من أسماء الأفعال الثلاثة (هيهات، وهيت، وأفّ) ، فقال الفرّاء في تفسير الآية ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾[4]: " فإذا وقفْت على (هيهات) وقفت بالتاء في كلتيهما لأنّ من العرب من يخفض التاء "[5]. وقال النحاس في إعراب الآية نفسها: " قُرئت على ثلاثة أوجُه، قرأ أهل الحرمين وأهل الكوفة (هيهاتَ هيهاتَ) مفتوحةً غير منوّنة إلاأبا جعفر فإنّه قرأ (هيهاتِ هيهاتِ) مكسورةً غير منوّنةٍ، وقرأعيسى بن عمر (هيهاتٍ هيهاتٍ) مكسورةً منوّنة. فهذه ثلاثة [كذا والصواب ثلاث]قراءات. قال أبو جعفر : ويجوز (هيهاتاً هيهاتاً) مفتوحةً منونة. قال الكسائي: وناس من العرب كثير يقولون: (أيْهاتَ) يعني أنهم يبدلون من الهاء همزةً، ويجوز فيها ما جاز في (هيهات) من اللغات"[6].

و قال الزجاج في تفسير الآية ﴿ وَغَلَّقَت الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾[7]: " وفي (هَيْتَ لك) لغات : يجوز هَيْتُ لك، وهَيْتِ، وأجودها وأكثرها هَيْتَ- بفتح التاء - ورُويت عن علي صلوات الله عليه: هِيتِ لك، فأما الفتح مع فتح التاء والهاء، فهو أكثر كلام العرب، قال الشاعر[1]:

أبلِغ أميْرَ المؤمنين - أخا العراق- إذا أتَيْتا

1 اللسان : مادة (هلم) .
2 ينظر اللهجات العربية القديمة: 311، ولغة تميم: 489.
3 المصباح المنير : مادة (هلم) .
4 المؤمنون، 36.
5 معاني القرآن : ج235/2.
6 إعراب القرآن: ج418/2.
7 يوسف، 23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنّ العراق وأهلـه عُنُقٌ إليك فهَيْت هَيْتَـا

أي: فأقبِلْ وتعالَ. وحكى قطرب أنّه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة بن العبد[2]:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داعٍ من العشيرةِ هَيْتُ

هم يجيبون ذا هَلُمَّ سِراعا كالأبابيلِ لا يُغادَرُ بَيْتُ " [3]

وقال الفراء في تفسير الآية ﴿ فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾[4]: " قرأها عاصم بن أبي النَّجُود والأعمش (أُفٍّ) . خفضاً بغير نون. وقرأ العوامّ (أُفٍّ) ، فالذين خفضوا ونوّنوا ذهبوا إلى أنّها صوت لا يُعرف معناه إلا بالنطق به فخفضوه كما تُخفض الأصوات. من ذلك قول العرب : سمعتُ طاقٍ طاقٍ لصوت الضرب، ويقولون : سمعت تِغٍ تِغٍ لصوت الضحك. والذين لم ينوّنوا وخفضوا قالوا: أفّ على ثلاثة أحرف، وأكثر الأصوات إنّما يكون على حرفين مثل صَهْ ومثل تِغْ ومَهْ، فذلك الذي يُخفض ويُنوَّن فيه لأنّه متحرّك الأول. ولسنا بمضطرين إلى حركة الثاني من الأدوات وأشباهها فيُخفضَ، فخُفض بالنون: وشُبّهت (أفَّ) بقولك (مُدَّ ورُدَّ) إذ كانت على ثلاثة أحرف. ويدل على ذلك أنّ بعض العرب قد رفعها فيقول (أُفٌّ لك) . ومثله قول الراجز[5] :

سألتها الوَصْلَ فقالت مِضِّ وحرّكت لي رأسَها بالنّغْضِ

كقول القائل (لا) يقولها بأضراسه، .... وقد قال بعض العرب: لاتقولنَّ له أُفًّا ولاتُفّا يُجعل كالاسم فيصيبه الخفض والرفع والنصب "[6].

فقد ذكر الفراء خمس لغات في (أفّ) هي: الكسر من غير تنوين، والكسر مع التنوين، والفتح من غير تنوين، والفتح مع التنوين، والضمُّ من غير تنوين. وكذلك الأخفش ذكر هذه اللغات، وزاد لغة سادسة هي (أُفِّي) ، فقال: " وقال بعضهم (أُفِّي) كأنّه أضاف هذا القول إلى نفسه، فقال: أُفِّي هذا لكما "[7]. ثم زاد الزجّاج لغة سابعة هي الضمُّ بتنوين. [8]

---

1 لم يُنسب البيتان، وهما في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ينظر: معاني القرآن للفراء: ج40/2، والخصائص: ج279/1، وشرح المفصل: ج32/4.
2 ديوانه: 143.
3 معاني القرآن وإعرابه: ج100/3.
4 الإسراء : 23.
5 الرجز بلا نسبة، ينظر: شرح المفصل: ج75/4-78، وهمع الهوامع: ج88/3، والدُرر اللوامع: ج345/2، و تهذيب اللغة: مادة (مضض) ، ولسان العرب: مادة (مضض) ، وتاج العروس: مادة (مضض) ومادة (نغض).
6 معاني القرآن: ج121/2.
7 معاني القرآن: ج388/2.
8 معاني القرآن وإعرابه: ج234/3، وينظر: البحر المحيط: ج25/6.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما النحّاس فإنّه لم يزد على هذه اللغات التي ذكرها العلماء المتقدمون شيئاً[1]، ولكنه أشار في حديثه عن اللغات في (أفّ) إلى قضيّة تتعلق بكيفية تعامل العلماء مع لغات العرب، فقال: " وزعم الأصمعي أنّه لايجوز إلا التنوين في مثل هذه الأشياء وأنّ ذا الرمّة لحن في قوله[2]:

وقفنا فقلنا إيهِ عن أمِّ سالمٍ وما بالُ تكليم الديار البلاقع

وكان الأصمعي مولعاً بردِّ اللغات الشاذة التي لاتكثر في كلام الفصحاء"[3].

فالأصمعي يردُّ اللغات التي جاءت فيها أسماء الأفعال مثل (أُفٍّ وإيهِ، ومه، وصه وغيرها) غير منونة، ويعدُّها لغاتٍ شاذة. وكان مولعا بردِّ هذه اللغات، ففي هذا بيان لمنهج الأصمعي في التعامل مع لغات العرب، وفيه تفسير لضياع بعض اللغات، إذ لم يلتفت إليها بعض العلماء، فعدوها شاذّة.

فهذه لغات للعرب في أسماء الأفعال (هيهات، وهيت، وأُفّ) ذكرها العلماء ولم ينسبوا أيّا منها إلى قبيلة معينة، ولكن غيرهم من النحاة نسب بعض هذه اللغات، فأما (هيهات) فقد نسب الأشموني فتح التاء فيها إلى أهل الحجاز، ونسب كسر التاء إلى بني تميم[4]، وكذلك الزمخشري نسب فتح التاء إلى أهل الحجاز، ولكنه نسب الكسر إلى تميم وأسد[5]، وذكر أنَّ من العرب من يضمُّ التاء ومنهم من ينوّن في الحالات الثلاث، ولم يعيّن هؤلاء العرب [6].

وأما (هيت) فلم ينسبها النحاة وإنما فسّروا اختلاف الحركات الثلاث التي بُنيت عليها في لغات العرب، ذلك أنّ أصل (هيت) السكون مثل (صَهْ) ، ثم حُرِّكَت للتخلُّص من التقاء الساكنين، " فمن فتح فطلباً للخفّة لثِقل الكسرة بعد الياء، كما قالوا أينَ وكيفَ، ومن ضمَّ فإنّه شبّهه بالغايات نحو (قبلُ وبعدُ) وذلك لأنّ معنى (هيت) : دعائي لك، فهو في معنى الإضافة. واستعماله من غير إضافة كقطعه عن الإضافة فيبنى على الضمِّ كبناء (قبلُ وبعدُ) ، ومن كسر فقال (هيتِ) وهي أقلّها، فكسر على أصل التقاء الساكنين ولم يبالِ الثقل لقلة استعمالها ونُدْرتها في الكلام "[7].

1 ينظر إعراب القرآن: ج2/237-238 و376-377.
2 ديوانه: ج2/778.
3 إعراب القرآن: ج2/238.
4 شرح الأشموني: ج2/486.
5 شرح المفصل: ج4/65، ومثل ذلك فعل أبو حيان في البحر المحيط: ج6/ 374.
6 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
7 شرح المفصل: ج4/ 32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما (أفّ) ففيها لغات عِدّة كما قدمنا، ولم ينسب العلماء هذه اللغات إلا ما ذكره الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي من نِسبة الكسر بالتنوين وعدمه إلى أهل الحجاز والفتح إلى قيس[1].

ويبدو أنّ الاختلاف في الحركة التي بُنيت عليها أسماء الأفعال هذه وغيرها من الأسماء التي اختلفت حركة بنائها بين لغات القبائل، دليل على مرحلة من التطوّر كانت تمرُّ بها هذه الكلمات في الحقبة التي سجّل النحاة خلالها اللغة، وهذا ما ذهب إليه نهاد الموسى في حديثه عن التداخل بين علامات البناء، إذ إنّ " كلماتٍ كثيرةٍ من المبنيات انتهت في الفصحى إلى حركة واحدة، وهي الحركة التي اختارها النحويون، ولكنّها كانت، من خلال مسيرة مختلفة في طريق التّغيير، قد انتهت في بعض القبائل إلى البناء على حركة أخرى، وقد سجّلها النحويون أيضاً ولكنها وقعت عندهم في منزلة ثانوية دُنيا"[2].

1 إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: 283.
2 في تاريخ العربية : 126.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن أن تنطبق هذه النظرية على جميع المبنيات التي ورد في بنائها أكثر من لغة للعرب، مثل (أمسِ وأمسُ) و (حيثِ وحيثُ) . وسنناقش هذه المبنيات في القضايا التالية.

ج-القياس على أسماء الأفعال المنقولة عن الظروف :

ذكر هذه اللغة الفرّاء عند تفسير الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾[1]، فقال: " العرب تأمر من الصفات بعليك، وعندَك، ودونَك، وإليك. يقولون : إليكَ إليكَ، يريدون: تأخَّرْ، كما تقول : وراءَك وراءَك، فهذه الحروف كثيرة. وزعم الكسائي أنّه سمع : بينكما البعيرَ فخُذاه، فأجاز ذلك في كُلِّ الصفاتِ التي قد تُفرد، ولم يجزه في الباء ولا في الكاف. وسمع بعض العرب تقول : كما أنت زيداً، ومكانَك زيداً. قال الفرّاء: وسمعتُ بعض بني سُلَيْم يقول في كلامه: كما أنْتَنِي، ومكانَكَنِي، يريد : انتظرني في مكانك "[2].

فالقاعدة عند جمهور النحاة أن ما سُمع من أسماء الأفعال منقولاً عن ظرف أوجار ومجرور نحو (إليك، ودونك، ووراءك، ومكانك) لا يقاس عليه غيره [3]، وقد نقل الفرّاء في نصِّه السابق عن الكسائي أنّه سمع استعمال (بينَ) منقولاً إلى اسم الفعل، وأنّه قد أجاز ذلك النقل في كل الظروف التي قد تُفرد، أي التي تكون على أكثر من حرف، فلم يُجزه في الباء أو الكاف لذلك. ولا أرى أنَّ (بين) في الشاهد الذي سمعه الكسائي قد نُقل إلى اسم الفعل، وإنما هو (بين) الظرف، وقد استُعملَ ظرفاً وليس اسم فعل.

وكما رأينا لم ينسب الكسائي لغة الشاهد الذي سمعه إلى قبيلة معينة من العرب، ولم ينسبها النحاة بعده، لأنّه هو الذي سمعها، فخالف النحاةَ في أنه أجاز القياس في نقل اسم الفعل من الظرف أوالجار والمجرور ما لم يُفرد.

وما ذكره الفرّاء من لغة بعض بني سُلَيم هو أغرب ممّا سمعه الكسائي في (بين) ، فقد سمع الفرّاء (كما أنتني ومكانكني) في معنى: انتظرني في مكانك. إذ لم يكتف أبناء هذه اللغة بأن نقلوا: كما أنت ومكانك إلى اسم فعل الأمر، بل أوغلوا في فعليتهما فألحقوا بهما ياء المتكلم مقرونةً بنون الوقاية التي تختص بها الأفعال " وهذه مبالغة في إجراء هذه الظروف مجرى الفعل"[4].

---

1 المائدة، 105.
2 معاني القرآن: ج1/322_323.
3 ينظر: شرح الأشموني: ج2/487، وشرح المفصّل: ج4/74.
4 شرح المفصل: ج4/74.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا نظرنا في هذه اللغة التي نسبها الفرّاء إلى بعض بني سُليم وفي تصرُّف القبائل العربية في استعمال أسماء الأفعال الممنقولة عن الظرف أوالجار والمجرور، أمكننا أن نفترض أمرين : الأول : أن يكون الفرّاء قد سمع من العرب ما لم يسمعه غيره من العلماء، ويرجع هذا إلى سعة اطلاعه، ومعرفته بلغات العرب. والثاني: أن تكون هذه الأمثلة مصنوعة، يُراد بها إثبات معرفة بلغات العرب، وعلم لم يعلمه غيره من العلماء، وهذا يشير إلى قدرات عقلية قد بلغها العلماء في جانب التنظير للقواعد النحوية التي امتلكوا مادة وفيرة من شواهدها، فأخذوا يقيسون عليها ما لم ينته إلى أسماعهم.

2- الظروف :

ذكر النحاة في الظروف قضيتين لهجيتين: الأولى: تتعلق باختلاف الحركة التي يُبنى عليها الظرف، والأخرى: تتعلق بحذف الظرف (بين) ونقل حركته.

أ- اختلاف الحركة التي يبنى عليها الظرف :

ذكر العلماء ثلاثة ظروف تختلف فيها حركة البناء باختلاف لغات العرب، وهذه الظروف هي (حيثُ، وأمس، وقبلُ، وبعدُ) . فأما (حيث) فقال فيه الزجّاج عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [1] : "ومن العرب من يقول: (من حيثَ خَرَجْتَ) فيفتح لالتقاء الساكنين، ومنهم من يقول (من حَوْثٌ خرجت) . ولاتقرأ بهاتين اللغتين لأنّهما لم يُقرأ بواحد منهما ولا هُما في جودة (حيثُ) المبنية على الضمّ "[2]. وهو يريد بقوله (يفتح لالتقاء الساكنين) أنّ (حيث) في الأصل ساكنة الآخر، فيلتقي سكون الآخر مع سكون الياء قبلها، فتفتح للتخلّص من التقاء الساكنين.

1 الأعراف، 27.
2 معاني القرآن وإعرابه: ج329/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال النحاس في إعراب قوله تعالى : ﴿وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[1]: " (حيثُ) مبنية على الضمّ لأنّها خالفت أخواتها من الظروف في أنّها لا تضاف فأشبهت (قبلُ) و (بعدُ) إذا أُفردتا فضُمَّت. وحكى سيبويه : أنّ من العرب من يفتحها على كل حال. قال الكسائي: الضمُّ لغة قيس وكنانة والفتح لغة بني تميم. قال الكسائي: وبنو أسدٍ يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب. قال : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُوْنَ﴾[2]، ويُضمُّ ويُفتح ويقال: (حَوْثُ) "[3].

ففي (حيثُ) لغات للعرب ذكر الزجّاج منها البناء على الضم وهي اللغة المشهورة، والبناء على الفتح، ولغة بالواو مع تنوين الضمّ (حَوْثٌ) ، ولم ينسب أياً من هذه اللغات. وأظن أن الثالثة هي (حوثُ) بضمة لا تنوين، لأنّ هذه اللغة لم يذكرها غيره من العلماء، بل ذكروا (حوثُ) بالضمَّة والفتحة. وقد نُسِبت لغة من يقول (حوث) بالواو إلى طيِّىء وقيل إلى بني تميم[4]. وأما النحاس فقد ذكر في (حيث) ثلاث لغات، ونقل نسبة كل منها إلى أهلها عن الكسائي، فالبناء على الضمّ لغة قيس وكنانة، والبناء على الفتح لغة بني تميم، وإعرابها بالحركات الثلاث لغة بني أسد. وقد نقل ابن منظور عن الكسائي ما يخصِّص لغة البناء على الفتح في بطنين من بني تميم، فقال: " قال الكسائي: سمعت في بني تميم من بني يربوع وطُهَيَّة من ينصب الثاء على كل حال في الخفض والنصب والرفع، فيقول (حيثَ التقينا) ، و (مِن حَيْثَ لا يعلمون) ولا يُصيبه الرفع في لغتهم" [5].

ونقل ابن منظور عن الكسائي كذلك تخصيص لغة الإعراب في بطنين من بني أسد، فقال : " قال[أي الكسائي]: وسمعت في بني أسد بن الحارث بن ثعلبة، وفي بني فقعس كلّها يخفضونها في موضع الخفض، وينصبونها في موضع النصب، فيقول : من حيثِ لا يعلمون، وكان ذلك حيثَ التقينا"[6]. ويبدو أنّ هذا التخصيص ما هو إلا بسبب دقة الكسائي، إذ كان يتحرى الدقّة والصدق في نسبة المادة التي سمعها إلى أهلها الذين سمع منهم، فيقول: سمعت من بني فلان ومن بني فلان، ولكنّ هذا لايمنع أن تكون لغة البناء على الفتح لبني تميم كلهم، وأن تكون لغة الإعراب لبني أسد كلهم، وبهذا يكون كلٌّ من البناء على الفتح والإعراب لغةً، وليس اتجاهاً أو أسلوباً كما

1 البقرة، 35.
2 الأعراف، 182 والقلم، 44.
3 إعراب القرآن: ج163/1.
4 ينظر: اللسان:مادة (حوث) ومادة (حيث) ومغني اللبيب:ج131/1، واللهجات العربية القديمة: 368، وفي اللهجات العربية: 93.
5 اللسان: مادة (حيث) .
6 المصدر نفسه، والمادة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال ضاحي عبد الباقي في البناء على الفتح: " هذا الاتجاه لم يصل إلى مرتبة اللغة، فهو لم ينتشر في داخل القبيلة بأسرها"[1].

وقد التفت ابن هشام إلى ما يمكن أن يكون لغة رابعة في حركة آخر (حيث) ، وهي البناء على الكسر، فقال : " ومن العرب من يعرب (حيث) ، وقراءة من قرأ (مِنْ حَيْثِ لاَ يَعْلَمُونَ) بالكسر تحتملها، وتحتمل لغة البناء على الكسر "[2]، ولكن ابن هشام لم ينسب هذه اللغة ولم ينسبها غيره من العلماء.

ويمكن لنا أن نؤيّد ما ذهب إليه نهاد الموسى من أنّ لغة الإعراب تمثّل طوراً سابقاً احتفظت به بنو أسد وفقعس، واتجهت اللهجات الأخرى إلى اختصار الحركات، فبعضهم بناها على الفتح وبعضهم بناها على الكسر، وأكثرهم بناها على الضم، فأخذ النحاة بالأكثر فشاع وانتشر [3].

وأمّا (أمسِ) فقد ذكر الأخفش والنحّاس أنّ فيها لغات، فقال الأخفش: " يقولون: ذهب أمسِ بما فيه [4]، ولقيته أمسِ يا فتى، فيكسرونه في كل موضع في بعض اللغات" [5]. وقال النحاس : " حكى سيبويه وغيره أنّ من العرب مَن يُجري (أمسِ) مجرى ما لا ينصرف في موضع الرفع خاصّة، وربّما اضطرّ الشاعر ففعل هذا في الخفض والنصب كما قال [6]:

لقد رأيتُ عجباً مُذ أمسَا

فخفض بمُذْ فيما مضى واللغة الجيدة الرفع، وأجرى (أمس) في الخفض مجراه في الرفع على اللغة الثانية "[7].

وهما يتحدثان في هذين النصّين عن اللغات في (أمسِ) إذ فيها لغتان مشهورتان للعرب لم ينسبهما العالمان: الأولى تبنى فيها (أمسِ) على الكسر، وهي لغة أهل الحجاز التي أشار إليها

---

1 لغة تميم : 500.
2 مغني اللبيب: ج131/1.
3 في تاريخ العربية : 125.
4 مثل عربي، ينظر : مجمع الأمثال: ج5/2.
5 معاني القرآن ج10/1-11.
6 الرجز بلا نسبة، ينظر: الكتاب: ج284/3، والنوادر لأبي زيد: 57، وشرح المفصل: ج106/4 و107، وهمع الهوامع: ج139/2، وشرح الأشموني: ج537/2، وشرح قطر الندى: 17، ولسان العرب: مادة (أمس) ، وقد قال عبد السلام هارون في تحقيق الكتاب : " الشاهد من الخمسين، وهو للعجاج"، ولم أجده في ديوان العجاج، وأما ما ذكره إميل يعقوب من نسبة هذا الرجز إلى غيلان بن حُريث الربعي، فهو خلط بين هذا الرجز ورجز غيلان الذي ذُكر في الكتاب: ج445/3:
قد قرّبت سادائُها الرّوائِسا والبَكَرات الفُسَّجَ العَطَامِسَا
وليس هذا الرجز من ذاك.
7 إعراب القرآن : ج548/2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأخفش في النصّ المتقدّم ولم ينسبها إلى أهل الحجاز ونسبها سيبويه، فقال: " ألاترى أنّ أهل الحجاز يكسرونه في كلِّ المواضع"[1].

وأما اللغة الثانية، وهي التي أشار إليها النحّاس ولم ينسبها فهي لبني تميم، وهم فريقان: فمنهم من يمنعها من الصرف في حالة الرفع، ويبنيها على الكسر في حالتي النصب والجر، وقد بيّن سيبويه هذا الوجه ونسبه إليهم بقوله: " واعلم أنّ بني تميم يقولون في موضع الرفع: ذهب أمسُ بما فيه، وما رأيته مُذْ أمسُ، فلا يصرفون في الرفع،. . . وبنو تميم يكسرونه في أكثر المواضع في النصب والجر" [2]. ومن بني تميم من يُعرب (أمس) إعراب مالا ينصرف في أحواله الثلاث[3]، فيرفع بالضمة وينصب ويجر بالفتحة.

وقد ذُكرت في (أمس) لغات أخرى للعرب، منها البناء على الفتح في أحواله الثلاث، قال الزجّاج: " ومن العرب من يبنيه على الفتح "[4]. ومنها أن يُعرب فيُعامل معاملة الأسماء المتمكنة، قال ابن يعيش: " وقد حكى بعضهم أنّ من العرب من يعتقد فيه التنكير ويعربه ويصرفه ويجريه مجرى الأسماء المتمكنة فيقول: (مضى أمسٌ بما فيه) على التنكير وهو غريب في الاستعمال دون القياس "[5].

ولعل تعدُّد هذه اللغات في (أمس) هو الذي دفع إبراهيم أنيس إلى القول إنّ " استقراء هذه الرواية قد اعتوره بعض النقص، وإن الحقيقة هي أنَّ تميماً كانت تلتزم في الكلمة حالة واحدة هي (أمسُ) بضم السين "[6]، وليست هذه النتيجة التي خلص إليها إبراهيم أنيس مبنيَّةً على أساس أومقدمة سليمة؛ فهو لم يذكر رواية واحدة يستند عليها في ما ذهب إليه إلا عبارة " يقال لنا إنّ بني تميم يُعربون (أمس) وعليه فيجوز فيها (أمسُ) ، ولكن الحجازيين يلتزمون فيها حالة واحدة هي (أمس) "[7]. وهي ليست سليمة بناءً على ما نقلناه عن العلماء فيما تقدم، فبنو تميم لا يعربون (أمس) على الإطلاق كما قال، وإنما لهم لغتان في (أمس) ، فمنهم من يرفعها بالضمة ويبنيها على الكسر في حالتي النصب والجر، ومنهم من يُعربها إعراب مالا ينصرف في

1 الكتاب: ج283/3، وينظر: شرح المفصل: ج106/4، وشرح الأشموني: ج536/2.
2 الكتاب: ج283/3، وينظر: اللسان: مادة (أمس) .
3 شرح الأشموني: ج536/2، وينظر: في تاريخ العربية: 116.
4 الجمل في النحو: 299، وجاء في اللسان : مادة (أمس) : (وربما بُني على الفتح) .
5 شرح المفصل: ج107/4.
6 في اللهجات العربية: 94.
7 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحوال الثلاث. ولا ندري كيف انتقل بعد ذلك إلى القول إنّ الحقيقة أن تميماً كانت تلتزم حالة واحدة هي (أمسُ) ؟ ويبدو أنّه قد ذهب هذا المذهب بأثرٍ مما جرى من بعض التقابل بين اللغات؛ فما دام أهل الحجاز يبنونها على الكسر، فقد استلزم، في نظره، أن تكون مبنية على الضم في لغة بني تميم.

وإذا كانت كثرة اللغات في (أمس) قد صارت مدعاة إلى التشكيك في اللغتين اللتين نُسِبتا إلى تميم، فإن تشيم رابين قد أكدّ وجود هذه اللغات، وإن لم يتمكن من تفسيرها بالرجوع إلى اللغات السامية، فقال: " ولا تسعِفنا اللغات الشقيقة للعربية حيال الحركة في آخر الكلمات خاصّة ويبدو أنّ الكلمة قد استُعملت في أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية بنهايات ظرفية مختلفة"[1].

ويبدو أن التعليل المُقنع لتعدُّد اللغات في (أمس) هو ما ذهب إليه نهاد الموسى من أن هذه الحالات تشير إلى تطوّر ظاهرة الإعراب من ثلاث حركات (الإعراب الكامل) إلى حركتين (المنع من الصرف) ثم أُحادية الحركة، وهي مرحلة البناء التي سادت في العربية المشتركة [2].

وأما الظرفان (قبل وبعد) فقد نقل الفرّاء في تفسير الآية ﴿ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[3] لغةً عن الكسائي في هذين الظرفين، فقال : " ترفع إذا جعلته غايةً ولم تذكر بعده الذي أضفته إليه فإن نويت أن تظهره أو أظهرته قلت: (لله الأمر من قبلِ ومن بعدِ) ، كأنّك أظهرتَ المخفوض الذي أسندتَ إليه (قبل) و (بعد) . وسمع الكسائي بعض بني أسدٍ يقرؤها: ﴿ للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلِ ومِن بَعْدُ﴾ يخفض (قبل) ويرفع (بعد) على ما نوى" [4].

ونقل النحاس جُملة هذا النص، إلا أنّه جعل (قبل) منونةً مجرورة فيما حكاه الكسائي عن بعض بني أسد، فقال في إعراب الآية نفسها: " ويُقال: من قبلٍ ومن بعدٍ، وحكى الكسائي عن بعض بني أسد (لله الأمر من قبلٍ ومن بعدُ) الأول مخفوض منون، والثاني مضموم بلا تنوين" [5].

فقد يُنوّنُ كلٌّ من الظرفين بتنوين الكسر، وقد يُنوّن (قبل) بتنوين الكسر، ويُبنى (بعد) على الضم في لغة بني أسد، وهذا التنوين يشير إلى جعل الظرفين اسمين معربين، حيث لاتُنوى الإضافة فيهما [6].

1 اللهجات العربية القديمة: 298.
2 في تاريخ العربية: 126.
3 الروم، 4.
4 معاني القرآن: ج320/2.
5 إعراب القرآن: ج578/2-579.
6 ينظر: شرح المفصل: ج88/4.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أنّ هذه اللغة لاتؤرِّخُ لمرحلة من مراحل الانتقال في حركات البناء من حركتين إلى حركة واحدة حَسْب، بل هي تشير كذلك إلى أنّ (قبل وبعد) عندما قُطعا عن الإضافة بُنيا على الضمّ في لغة للعرب، فوجدت هذه اللغة طريقها إلى العربية المشتركة، وبُنيت القاعدة النحوية على هذه اللغة.

ومع وجود لغة البناء على الضم فقد وُجدت إلى جانبها لغة تجمع بين تنوين الكسر والبناء على الضم، ولكن لم يكن لهذه اللغة أن تدخل في تقعيد الفصيحة، وهي لغة بني أسد كما نقل الفرّاء والنحاس عن الكسائي.

ب- حذف الظرف (بين) ونقل حركته:

نقل الفرّاء هذه اللغة عن الكسائي فقال في تفسير الآية ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَاْ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[1]: "قال الكسائي: سمعتُ أعرابياً ورأى الهلال فقال: الحمد لله ما إهلالك إلى سَرَارك. يريد ما بين إهلالِك إلى سَرارك؛ فجعلوا النصب الذي كان يكون في (بَيْنَ) فيما بعده إذا سَقَطَت، ليُعلم أنّ معنى (بَيْنَ) مُراد. وحكى الكسائي عن بعض العرب: الشَّنَقُ [2] ما خمساً إلى خمسٍ وعشرين. يريد ما بين خمسٍ إلى خمسٍ وعشرين" [3].

لقد جعل الفراء حذف (بين) وجهاً يمكن أن يُفَسَّرعلى وفقه قوله تعالى: (مثلاً ما بعوضةً فما فوقها) ، أي أن يكون التقدير على هذا الوجه: مثلاً ما بين بعوضةٍ فما فوقها، ثُمَ حُذفت (بين) . ونُقلت حركتها إلى الاسم الذي بعدها.

وقد نقل الفرّاء في نصِّه الذي قدمناه شاهدين سمع الكسائي أحدهما من أعرابي، والآخر من بعض العرب، ولم ينسب الكسائي صاحبي الشاهدين، ولا هذه اللغة إلى قبيلة معينة، وكذلك الفرّاء لم ينسب هذه اللغة، ولم ينسبها غيرهما.

3- فتح لام الأمر ولام التعليل:

نسب الفرّاء فتح لام الأمر إلى بني سُلَيم، وفتح لام التعليل إلى بني تميم، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾[4]: " كلُّ لام أمرٍ إذا استؤنفت ولم يكن قبلها واو ولا فاء ولا ثمَّ كُسِرت. فإذا كان معها شيء من هذه الحروف سُكِّنت. وقد تكسر مع

1 البقرة، 26.
2 الشَّنَقُ: ما لم تجب فيه الفريضةُ من الإبل، والأوقاصُ في البقر (المعنى من معاني الفراء: ج23/1) .
3 معاني القرآن: ج23/1.
4 النساء، 102.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواو على الأصل. وإنما تخفيفها مع الواو كتخفيفهم: (وَهْو) قال ذاك، (وَهْي) قالت ذاك. وبنو سُلَيم يفتحون اللام إذا استؤنفت فيقولون: لَيَقُم زيد، ويجعلون اللام منصوبة في كل جهة؛ كما نصبت تميم لام (كي) إذا قالوا: جئتُ لَآخذَ حقّي" [1].

ونقل الأخفش هاتين اللغتين عن العلماء، وقال إنّه سمع فتح لام (كي) من العرب، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيْلاً﴾[2]: " وزعم يونس أنّ ناساً من العرب يفتحون اللام التي في مكان (كي) ، وأنشد هذا البيت فزعم أنّه سمعه مفتوحاً [3]:

يُؤامِرُني ربيعةُ كلَّ يومٍ لَأُهلِكَهُ وأقتنيَ الدَّجاجا

وزعم خلف أنّها لغة لبني العنبر، وأنّه سمع رجلا ينشد هذا البيت منهم مفتوحاً[4]:

فقُلت لِكَلبيَّيْ قُضاعة إنَّما تخيّرتُماني أهلَ فلجٍ لَأمنَعَا

يريد من أهل فلج. وقد سمعت أنا ذلك من العرب، وذلك أنّ أصل اللام الفتح، وإنّما كُسرت في الإضافة ليُفرق بينها وبين لام الابتداء". [5]

ففي هذا النص ينسب خلف فتح لام (كي) إلى بني العنبر، وخلف هذا هو خلف الأحمر، فقد نصَّ النحاس على أنَّ خلف الأحمر هو الذي نسب هذه اللغة إلى بني العنبر، فقال: " قال يونس: وناس من العرب يفتحون لام (كي) ، قال الأخفش: لأنّ الفتح هو الأصل، قال خلف الأحمر: هي لغة بني العنبر" [6].

وبهذا يبطل ما ذهب إليه عبد الأمير محمد أمين الورد في إعادة تحقيق كتاب معاني القرآن للأخفش من أنّ المراد بخلف هنا: أبو محرز خلف بن حيان النحوي المتوفى في حدود ثمانين ومئة [7].

ولا تتعارض نسبة هذه اللغة إلى بني العنبر عند خلف الأحمر، مع نسبتها إلى تميم عند الفرّاء؛ ذلك أنَّ بني العنبر هم بطن من تميم، فيكون هذا من جهة تخصيص النسبة في بطن ما من

1 معاني القرآن: ج285/1.
2 البقرة، 79.
3 البيت للنمر بن تولب، ديوانه: 47.
4 لم أعثر على قائل البيت.
5 معاني القرآن: ج122/1 - 123.
6 إعراب القرآن: ج189/1.
7 معاني القرآن : ج304/1 (هامش رقم (5)) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القبيلة، لأنَّ اللغة قد تكون شائعة في هذا البطن أكثر من البطون الأخرى، أو أنَّ خلف قد نسب اللغة إلى بني العنبر لأنَّه سمع الشاهد من رجل من بني العنبر، ولم يسمع من غيرهم.

وأما فتح لام الأمر، وهي اللغة التي نسبها الفرّاء إلى بني سُليم، ثمَّ أكّد ابن هشام هذه النسبة[1]، فقد خطّأ الزجاج هذه اللغة وقال: " وحكى الفرّاء أنّ لام الأمر قد فتحها بعض العرب في قولك: (لِيجلس) ، فقالوا : (لَنَجْلس) ففتحوا، وهذا خطأ. لا يجوز فتح لام الأمر لئلاّ تشبه لام التوكيد"[2].

فالزجّاج يخطىء لغةً وردت عن العرب، قد نصّ الفراء على نسبتها إلى بني سُليم، مستنداً في تخطئته إلى أنّ فتح لام الأمر يجعلها تشبه لام التوكيد، ومتى كان الشبه في الحركة مدعاة لتخطئة لغة من اللغات؟ أليس للسياق دور في التميّيز بين لام الأمر ولام التوكيد ؟ ثم إنَّ لام الأمر ولام التعليل مكسورتان في الفصيحة، ومع ذلك يُميّز بينهما، فلماذا نُخطىء لغة فتح لام الأمر بحجة التباس هذه اللام بلام التوكيد ؟ بل إنَّ تخطئة لغة من اللغات حتى من وجهة النظر المعياريّة التي كان كثير من النحاة يسيرون على هديها، هو أمرٌ غير صحيح؛ فهي لغة لم توافق اللغات التي بنوا القاعدة عليها، ولكنَّها مع ذلك لغة تكلّم بها قوم من العرب لا نستطيع أن نقول إنها خاطئة إلا من جهة شذوذها عن القاعدة النحويّة.

4- إسكان الضمائر (هو، وهي، والهاء) :

الضميران (هو وهي) مبنيان على الفتح في اللغة الفصيحة، وقد ذكر النحّاس لغة للعرب يُسكن فيها آخر الضميرين، فقال في إعراب قوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الّذِي لاَ إِلَـهَ إلا هُوَ﴾[3] : " (هو) مبتدأ، ومن العرب من يُسكّن الواو فمن أسكنها حذفها ههنا لالتقاء الساكنين"[4]. وقال في إعراب قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾[5]: "جيء بالهاء لأنّ من العرب من يقول : (هِيْ) بإسكان الياء فتثبت الهاء على لغة من حرّكها ليفرق بينها وبين لغة من أسكن، فإن وصلت لم يَجُز إثبات الهاء؛ لأنّ الحركة قد تثبت، والصواب أن يُوقفَ عليه، يتّبعُ السواد ولا يلحن"[6].

فقد ذكر النحاس في (هو وهي) لغتين هما الفتح والإسكان، وفيهما لغة ثالثة هي التضعيف والفتح، وقد قصر ابن يعيش لغتي الإسكان والتضعيف في (هو) على الضرورة

1 مغني اللبيب : ج223/1.
2 معاني القرآن وإعرابه: ج98/2.
3 الحشر، 22.
4 إعراب القرآن : ج405/3.
5 القارعة، 10.
6 إعراب القرآن: ج760/3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعريّة، فقال : " وربما جاء في الشعر سكونها وتضعيفها. . . والإسكان تخفيف والتضعيف لكراهية وقوع الواو طرفاً وقبلها ضمَّة "[1].

وأما (هي) فقد ذكر ابن يعيش فيها اللغات الثلاث، ولم يقصر أيًّا منها على الضرورة، لكنّه قال إنَّ الإسكان أضعف اللغات الثلاث، فقال : " فيها ثلاث لغات: (هيَ) بتخفيف الياء وفتحها لما ذكرناه من إرادة تقوية الاسم، و (هِيَّ) بتشديد الياء مبالغةً في التقوية ولتصير على أبنية الظاهر، و (هِيْ) بالإسكان تخفيفاً وهي أضعف لغاتها "[2].

وقد نقل صاحب اللسان نسبة اللغات في (هي) عن الكسائي واللحياني، فقال: " وقال [أي الكسائي]: (هيَّ) لغة هَمْدان ومن في تلك الناحية، قال: وغيرهم من العرب يخفّفها، وهو المُجتمع عليه، فيقول: هِيَ فعلت ذاك، قال اللحياني: وحكي عن بعض بني أسد وقيس: (هِيْ) فعلت ذاك، بإسكان الياء "[3]. فالتشديد مع الفتح (هِيَّ) لغة هَمْدان وهي من قبائل اليمن ومن في ناحيتها، والإسكان (هِيْ) لغة بني أسد وقيس، والتخفيف (هِيَ) لغة غيرهم من العرب وهو الوجه الفصيح.

وأما (هو) فإن لغة التشديد والفتح هي الأصل كما قال الكسائي[4]، ولغة التخفيف مع الفتح لغةٌ لبعض العرب ولم يُعيَّنْ أهل هاتين اللغتين و"حكى الكسائي عن بني أسد وتميم وقيس (هُوْ) فعل ذلك، بإسكان الواو "[5]، فهذه اللغة الثالثة نسبها الكسائي إلى أسد وتميم وقيس.

ومع أنَّ لغة الفتح بدون تشديد (هوَ وهيَ) هي الوجه الذي عليه الفصيحة، واستُبعدت اللغتان الأخريان (الفتح مع التشديد (هُوَّ وهِيَّ) ، والإسكان (هُوْ وهِيْ)) من المستوى الفصيح، إلا أن اللهجات الحديثة تكاد تُجمع على استعمال هاتين اللغتين الأخريين، فيقول المتكلم: (هُوَّ جاء وهِيَّ جاءت)، وبعضهم يقول : (هُوَّهْ وهِيَّهْ). وفي لهجات البدو المعاصرة يقولون: (هِيْ جاءت وهُوْ جاء)، بالإسكان من غير تشديد.

هذا عن الضميرين (هو وهي) ، وأما الضمير المتصل (الهاء) ، فهو مبني على الضمة مثل (منهُ ولهُ وكتابهُ) ، وعلى الكسرة إن سُبق بالياء أو الكسرة مثل (إليهِ وعليهِ وكتابِهِ) ، وقد ذكر الفرّاء والأخفش لغة للعرب يُسكَّنُ فيها هذا الضمير، فقال الفرّاء في تفسير قوله تعالى: ﴿

1 شرح المفصل : ج3/96.
2 المصدر نفسه: ج3/97-98.
3 لسان العرب: مادة (هيا) .
4 المصدر نفسه: مادة (ها) .
5 المصدر نفسه، والمادة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرْجِهْ وأخَاهُ﴾[1]: " الإرجاء تأخير الأمر، وقد جَزَمَ الهاءَ حمزة والأعمش. وهي لغة للعرب: يقفون على الهاء المكنيّ عنها في الوصل إذا تحرّك ما قبلها؛ أنشدني بعضهم[2] :

أنحى عليَّ الدهرُ رجلا ويدا يُقسم لايُصلِحُ إلا أفسدا

فيُصلحُ اليومَ ويُفسِدُهْ غدا "[3]

وقال الأخفش في تفسير قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِلْمُتَّقِيْنَ﴾[4] : " قد قرأ بعض القُرَّاء (فيهْ هُدىً) فأدغم الهاء الأولى في هاء (هدى) لأنّهما التقتا وهما مثلان. وزعموا أنّ من العرب من يؤنّثُ (الهدى) ، ومنهم من يسكن هاء الإضمارللمذكّر. قال الشاعر[5]:

فظِلتُ لدىالبيتِ العتيق أُخيلُهُ ومِطوايَ مُشتاقانِ لَهْ أرِقانِ

وهذا في لغة أزد السّراةِ- زعموا - كثير "[6].

فهذه اللغة نسبها الأخفشُ إلى أزد السّراة، ونقلها عنه أيضاً ابن جني في الخصائص[7]، لكنّ الكسائي، فيما نقل عنه أبو حيان، قصر نسبتها على أعراب بني عُقيل وبني كلاب، وجعل ما جاء من هذه اللغة عند غيرهم من الضرورة الشعريّة، قال أبو حيان: "إنّ اختلاس الضمّة والكسرة بعد متحرّك لغةٌ حكاها الكسائي عن بني عُقيل وبني كلاب، قال الكسائي: سمعت أعراب كلاب وعُقيل يقولون: ﴿ إنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[8] ولربِّهْ لكنود بغير تمام، ولهُ مال ولَهْ مال، وغيرُ بني كلاب وبني عُقيل لا يوجد في كلامهم اختلاس، ولا سكون في (له) وشبهه إلا في ضرورة "[9].

ويبدو أنّ مصطلح الاختلاس الذي استخدمه الكسائي مع هذه اللغة يعبِّر عن واقعها كما نطق بها أصحابها أكثر من مصطلح الإسكان؛ ذلك أنّ الكسائي كان دقيقاً حين نسب اللغة إلى أعراب بني عُقيل وبني كلاب، إذ الاختلاس مردّه إلى السرعة في النطق، الذي هو ملمح بدوي[10]

---

1 الأعراف، 111.
2 لم أعثر على القائل.
3 معاني القرآن: ج1/ 388.
4 البقرة، 2.
5 مِطوُ الرجل صاحبه ونظيره، وهي لغة سرويّة (ينظر اللسان: مادة مطى) ، والبيت ينسب لرجل من أزدْ السّراة هو يعلى بن الأحول الأزديّ يصف فيه برقاً، ينظر: الخصائص: ج128/1، واللسان: مادة (مطا) .
6 معاني القرآن: ج26/1.
7 ينظر: الخصائص: ج128/1.
8 العاديات، 6.
9 البحر المحيط: ج77/3.
10 ينظر: في اللهجات العربية: 132.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتناسب مع نسبة هذه اللغة إلى الأعراب من بني عقيل وبني كلاب. فما ظنّه النحاةُ إسكاناً للهاء إنما هو اختلاسُ الحركة الذي بدا لهم سكونا. وأما قول الكسائي إنّ غير بني كلاب وبني عُقيل لايوجد في كلامهم اختلاس، ولاسكون في (له) وشبهه إلا في ضرورة، فينقضه ما ذكره الأخفش من نسبة هذه اللغة إلى أزد السراة، ثم إنّ الاختلاس ليس مقصوراً على بني كلاب وبني عقيل، فهو موجود فيهم وفي غيرهم. وبناءً على ما تقدّم نُرَجِّح نسبة هذه اللغة إلى أزد السراة وإلى بني عقيل وبني كلاب، مع احتمال وجودها مظهراً من مظاهر الاختلاس في غير هذه القبائل.

5- المصدر المعرف بـ (ال) الواقع في ابتداء الكلام بين الحركات الثلاث:

المصدر المعرف بـ (ال) الذي يقع في ابتداء الكلام مثل (الحمد للهِ) يكون مبتدأ مرفوعاً والجار والمجرور خبره، وقد ذكر الأخفش والزجاج في هذا المصدر لغتين أخريين هما النصب على المصدر، والبناء على الكسر، قال الأخفش في تفسير قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ﴾[1] : " وبعض العرب يقول : ﴿الحمدَ للهِ﴾ فينصب على المصدر، وذلك أنّ أصل الكلام عنده على قوله (حَمْداً لله) ، يجعله بدلاً من اللفظ بالفعل، كأنه جعله مكان (أحمدُ) ، ونصبه على (أحمدُ) ، حتى كأنّه قال : أحمدُ حَمْداً، ثم أدخل الألف واللام على هذه. وقد قال بعض العرب : (الحَمْدِ لِلَّه) فكسره، وذلك أنّه جعله بمنزلة الأسماء التي ليست بمتمكنة "[2].

وقال الزجاج في تفسير الآية نفسها: " وقد روي عن قوم من العرب: (الحَمْدَ لله) و (الحَمْدِ لِله) ، وهذه لغة مَنْ لا يُلتَفَتُ إليه ولايُتَشاغل بالرواية عنه"[3].

ولم ينسب العالمان هاتين اللغتين ولا لغة الرفع التي هي الوجه في الفصيحة، فأما لغة النصب على المصدر فقد نسبها سيبويه إلى عامّةِ بني تميم وناسٍ كثير من العرب[4]. ولم ينسب لغة الرفع (الحمدُ لله) ، أو البناء على الكسر (الحمدِ لله) .

ونميل إلى ما ذهب إليه نهاد الموسى في لغة الرفع ولغة النصب من أنّ " التركيب واحد غير مختلف، والمعنى النحوي للمرفوع والمنصوب واحد غير مختلف إلا في أنّ تميم انتهت إلى النصب وانتهى غيرها إلى الرفع وأصبح هذا موضعاً نحوياً واحداً تتعاوره حركتان" [5]. فاختلاف

1 الفاتحة، 1.
2 معاني القرآن : ج1 /9.
3 معاني القرآن وإعرابه : ج45/1.
4 الكتاب : ج329/1.
5 في تاريخ العربية : 139-140.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة ليس لاختلاف المعنى النحوي، وإنماهو تركيب واحد. فبعض العرب ينصب (الحمد) وبعضهم يرفعها، وليس قول النحاة إنه مبتدأ إن كان مرفوعاً، ومصدر نائب عن فعله إن كان منصوباً إلا من تأويلهم للغات العرب على وفق القواعد النحوية.

وأمّا لغة البناء على الكسر فهي من تأثير كسرة لام الجر في (للهِ) بحركة الإعراب في (الحمدُ) أي تأثير رجعي، فقد كُسرت (الحمد) لتماثل المكسور بعدها، وهذه قراءة الحسن وزيد بن علي. [1] وهي، وإن قرئت بكسر الدال تأثراً بالمكسور بعدها، فلا أرى أنها بُنيت على الكسر في هذه اللغة، وإنما هي لغة تطرأ فيها كسرة الدال في (الحمد) تأثراً بما بعدها من الكسر، ولذا لا نتوقع أن يبني أهل هذه اللغة (الحمد) على الكسر في نحو قولنا (الحمدُ لك، أو له) ، فالقضية قضيَّة مجاورة وتأثير في النطق وليست من " جعْله بمنزلة الأسماء التي ليست بمتمكنة "[2]، إذ لا وجه لجعل كلمة (الحمد) مبنية على الكسر مثل: هؤلاءِ و أولاءِ كما مثّل الأخفش. [3]

خلاصة الفصل الثاني :

خلص هذا الفصل إلى النتائج الآتية :

1 – أنّ ما ذهب إليه بعض العلماء من أنَّ بعض اللهجات العربية القديمة قد خلا من الإعراب، هو من الوهم في تفسير ما ورد عن العلماء القدماء من أنّ بعض العرب يختلس الإعراب ولا يتفيهق فيه، فظنوا هذا الاختلاس إسكاناً، وإنما هومظهر من التخفُّف والإسراع في النطق.

وأما ما نقله السيوطي في ما رواه ابن مالك عن أبي عمرو من أنّ إسكان أواخر الكلمات هو لغة تميم، فهذا يدفعه كثرة الاختلاف بين تميم وغيرها في الإعراب والبناء، ولو كانت تميم تُسكن أواخر الكلمات ما وقع هذا الاختلاف. كما أنّ تميم قبيلة بدوية ربَّما كانت كثيرة الاختلاس والتخفُّف فظُنّ ذلك إسكاناً.

2- أنّ بعض القبائل العربية يمنع أسماء من الصرف، وبعضها يصرف هذه الأسماء. وبناءً على ما ذكره برجسترسر من أنّ اللغة العربية قد ابتدعت مسألة المنع من الصرف لبعض الأسماء، فإنَّ البحث يُرجِّحُ أن يكون هذا الأمر هو السبب في أنّ بعض القبائل يمنع وبعضها يصرف، ذلك أنّ

1 البحر المحيط: ج131/1.
2 معاني القرآن للأخفش : ج9/1.
3 ينظر: المصدر نفسه: ج10/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين يمنعون من الصرف هم الذين مالوا إلى الابتداع والتجديد، وغيرهم كان محافظاً على موروثهم من الصرف.

3- أنّ إبقاء حرف العلة في آخر المعتل المجزوم هو لغة للعرب ذكرها العلماء، ولم يعينوا القبائل التي تتحدّث بها، وأيد البحث رأي بعض العلماء القدماء في أنّ هذا المظهر اللهجي وُجد بسبب من إشباع الحركات، وليس لأنهم يجزمون المعتل كالصحيح بإسكان الآخِر كما ذهب علماء آخرون.

4- أنّ في الاسم المنقوص لغتين : الأولى: حذف الفتحة في حالة النصب، وعلّلت هذه اللغة بميل المتكلمين إلى معاملة المنقوص في حالة النصب كما يعاملونه في حالتي الرفع والجر طرداً للباب على وتيرة واحدة. والثانية: الوقف بالياء على المنقوص الذي حُذفت ياؤه في حالتي الرفع والجر، وكلتا اللغتين وصفها العلماء بالقلة، ومع ذلك فهما الشائعتان في اللهجات العربية الحديثة.

5- أنّ إعراب الملحق بجمع المذكر السالم بالحركات هو لغة لكثير من قبائل أسد وتميم وعامر، وأنّ هذه اللغة، وإن لم تكن الفصحى، هي تعبير عن حِسٍّ لغوي مُرهف لدى أبناء هذه القبائل؛ إذ إنّ اللغة الفصحى قد بُنيت على ما كان في الأصل توهماً بإلحاق الأسماء (سنين وعضين وأمثالهما) بجمع المذكر السالم في إعرابها. وأكد البحث في هذا الباب كذلك أنّ إعراب (الذين) إعراب جمع المذكر السالم هو لغة قد بُنيت على التوهُّم وشاعت في عدد من القبائل العربية هي : كنانة وهذيل وطيىء وقد تكون لعُقيل أيضاً.

6- أنّ في المنادى المرخم لغتين : لغة من ينتظر وهي الأكثر ويبقى فيها المنادى المرخّم على حركة آخره قبل الحذف، ولغة من لا ينتظر وهي أقل من الأولى، ويُجعل ما بقي بعد الترخيم اسماً بمنزلة الأسماء التي لم يحذف منها شيء، فيُبنى على الضم. ولم ينسب العلماء هاتين اللغتين إلى القبائل العربية التي تتحدّث بهما.

7- أنّ إلزام المثنى الألف في أحواله كلها لغة قد عُزيت لعدد من القبائل العربية هي: كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو العنبر وبنوالهُجَيْم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزُبَيد وخثعم وهمْدان وفزارة وعُذرة. وقد فسر العلماء هذه اللغة بميل أهلها إلى التخلّص من الياء المفتوح ما قبلها، وبعضهم فسَّرها بالقياس الخاطىء للمنصوب والمجرور على المرفوع، لكنَّ قلبَ بعض القبائل كلَّ ياء قبلها فتح ألفاً مثل (علاك وإلاك) في (عليك وإليك) ، يشير إلى أنَّ رغبة المتكلمين في التخلُّص من الياء المفتوح ما قبلها هو التفسير لهذه اللغة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

8- أنّ تشديد نون المثنى من الموصولات وأسماء الإشارة هو لغة تميم وقيس، وقد فسَّر النحاة هذا التشديد بأنه عِوض عن الياء أو الألف المحذوفة من هذه الأسماء عند التثنية.

9- أنّ إلزام (هلمّ) حالة واحدة هو لغة أهل الحجاز وقيس وعقيل، وتصرُّفها مع الضمائر هو لغة بني تميم. وهي اسم فعل في لغة أهل الحجاز وقيس وعقيل، وفعل في لغة تميم، وإن كان ابن يعيش قد عدّها اسم فعل في اللغتين.

10- أنّ أسماء الأفعال (هيهات، وأُفّ، وهيت) قد اختلفت الحركة التي بُنيت عليها بسبب اختلاف لغات القبائل، فقد نُسِب فتح التاء في (هيهات) إلى أهل الحجاز، ونُسِب الكسر إلى تميم وأسد، مع وجود لغات أُخرى في حركة بناء الآخر لم تُنسب. وكذا (أفّ) إذ نُسِب الكسر بالتنوين وعدمه إلى أهل الحجاز، ونُسب الفتح إلى قيس، ولم تُنسب لغات أخرى فيها. وأما (هيت) ففي الحركة التي بُنيت عليها لغات لم يُنسب أيٌّ منها.

وأيّد البحث أن يكون هذا الاختلاف دليلاً على مرحلة من التطور كانت تمر بها هذه الكلمات في الحقبة التي سجّل النحاة خلالها اللغة.

11- أنّ نَقْلَ (بين) و (كما أنت) و (مكان) إلى أسماء الأفعال، واستعمالها استعمال اسم فعل الأمر هو مما سمعه الكسائي ولم ينسبه، وقد أوغل بعض بني سُلَيْم الذين سمع الفرّاء منهم (مكانكني وكمأنتني) في فعلية هذه الأسماء فألحقوا ياء المتكلم ونون الوقاية فيها. وقد تكون هذه الأمثلة من صنعة النحاة ولم ينطق بها العرب.

12- أنّ في (حيث) لغات للعرب، هي (حيثُ) بالبناء على الضم وهي لغة قيس وكنانة، والبناء على الفتح (حيثَ) وهي لغة تميم، وإعرابها بالحركات وهي لغة أسد، والبناء على الكسر ذكرها ابن هشام ولم ينسبها.

وفي (حيث) لغة بالواو (حوث) وهي لغة طيّىء وقيل لغة تميم. وأيد البحث رأي نهاد الموسى في أنّ لغة الإعراب تمثل طوراً سابقاً احتفظت به بنو أسد وفقعس. واتجهت اللهجات الأخرى إلى اختصار الحركات، فأخذ النحاة بالأكثر فشاع وانتشر.

13- أنّ في (أمس) لغات للعرب، نسب العلماء شيئاً منها ولم ينسبوا شيئاً آخر، فممّا نسبوه: البناء على الكسر وهي لغة أهل الحجاز، والبناء على الكسر في حالتي النصب والجر مع المنع من الصرف في حالة الرفع وهي لغة لفريق من بني تميم، وإعرابها إعراب ما لا ينصرف في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحوال الثلاث وهي لغة الفريق الآخر من بني تميم، وممّا لم ينسبه العلماء: لغة البناء على الفتح، ولغة الإعراب والصرف كالأسماء المتمكنة. وأيّد الباحث أنّ في هذه اللغات إشارة إلى تطوّر ظاهرة الإعراب من حركات ثلاث (الإعراب الكامل) إلى حركتين (المنع من الصرف) ثم أحادية الحركة (البناء) وهي التي سادت في العربية المشتركة.

14- أن في الظرفين المقطوعين عن الإضافة (قبل وبعد) ثلاث لغات للعرب هي : تنوين الكسر (قبلٍ وبعدٍ) ، والبناء على الضم، وهي اللغة المشهورة التي بنيت عليها الفصيحة، ولم تنسب هاتان اللغتان، واللغة الثالثة تجمع بين تنوين الكسر في (قبلٍ) والبناء على الضم في (بعدُ) وقد نسبت إلى بني أسد.

15- أن الظرف (بين) قد يُحذف وتُنقل حركته إلى الاسم الذي بعده في نحو الشاهد الذي سمعه الكسائي من أعرابي عندما رأى الهلال : (الحمدُ لله ما إهلالك إلى سَرارك) ، وهي لغة للعرب لم ينسبها الكسائي ولا الفرّاء الذي نقلها عنه، ولم ينسبها غيرهما من العلماء.

16- أن فتح لام التعليل هو لغة للعرب نسبها الفرّاء إلى بني تميم، ونسبها خلف الأحمر إلى بني العنبر، ولا تعارض في هاتين النسبتين، لأن بني العنبر هم بطن من تميم.

17- أن فتح لام الأمر هو لغة للعرب نسبها الفرّاء إلى بني سُلَيْم، وأكد ابن هشام هذه النسبة، ولا وجه لتخطئة الزّجّاج هذه اللغة بحجة التباسها، مع الفتح، بلام التوكيد؛ إذ إنّ اللغة لا تُخطّأ أصلاً، ثم إنّ شبه الحركة بين الحروف لا يُسوِّغ تخطئة لغة من اللغات.

18- أن في الضمير (هو) ثلاث لغات هي : (هُوَ) بالتخفيف مع الفتح، و (هوَّ) بالتضعيف مع الفتح، ولم تُنسب هاتان اللغتان، و (هُوْ) بالإسكان، وقد نُسبت إلى أسد وتميم وقيس.

وأن في الضمير (هي) ثلاث لغات أيضا هي: (هِيَّ) بالتضعيف مع الفتح وقد نُسبت إلى همْدان، و (هِيْ) بالإسكان وقد نُسبت إلى أسد وقيس، و (هِيَ) بالفتح والتخفيف ولم تُنسب. ومع أن لغة التخفيف و الفتح هي الوجه الفصيح فيهما، إلا أن اللهجات الحديثة تكاد تُجمع على استعمال اللغتين الأخريين.

19- أن إسكان الضمير المتصل (الهاء) هو لغة للعرب نُسبت إلى أزد السراة، وإلى أعراب بني عُقيل وبني كلاب، ورجَّح البحث أن تكون هذه اللغة اختلاسا للحركة كما وصفها الكسائي، وليست إسكاناً خالصاً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

20- أنّ في المصدر المعرف بـِ (ال) الواقع في ابتداء الكلام لغتين هما : النصب والرفع، وقد نسب سيبويه لغة النصب إلى عامة تميم وناس كثير من العرب، ولم تُنسب لغة الرفع. وأما ما ذُكر من أنّ البناء على الكسر لغة للعرب، فرجح البحث أنه تأثّر بكسرة اللام التي تلتها في (الحمد لله)، وليس لغة للعرب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

قضايا الأدوات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتناول هذا الفصل قضايا الاختلافات بين لغات القبائل في باب الأدوات مثل حروف الجر، وحروف الجزم و (أم) وغيرها، ولايستقصي الفصل جميع الأدوات النحوية، إنما هومعنيٌّ بالأدوات التي ذكر العلماء مؤلفو كتب إعراب القرآن ومعانيه الاختلافات النحوية بين لغات القبائل فيها.

ومع أنّ البحث في لغات القبائل العربية يكشف عن وجوه قد تكون غامضة في التراكيب النحوية العربية عامة، إلا أنّني في مبحث الأدوات أرى هذه المزيّة تتجلى كاشفة عن وجوه من جماليات اللغة حال تفرقها على ألسنة القبائل المتكلمة بها، وحال ائتلاف هذه اللغات وما نتج عن ذلك من انتخاب لغة مشتركة؛ ومن أمثلة ما يتكشف في مبحث الأدوات: أن تكون بعض الأفعال تُعدّى بحرف من حروف الجر في لغة لبعض العرب، وتُعدّى الأفعال نفسها بحرف آخر في لغة أخرى، ثم انتُخب أحد الاستعمالين ليكون الوجه في المشتركة، فلا تضمينٌ ولا استعمال لحرف في موضع آخر كما قال النحاة.

وتالياً قضايا الاختلاف في الأدوات:

1- استعمال حروف الجر :

يراد بهذه المسألة ما عُرف عند النحاة باستعمال حروف الجر بعضها موضع بعض، أو التناوب بين حروف الجر، وهو ما فصّل العلماء القول فيه بين مانع لهذا التناوب، ومؤيد له[1].

وسأعرض في بداية هذه المسألة ما جاء في كتب إعراب القرآن ومعانيه من اللغات في استعمال حروف الجر، فالفرّاء يقول في تفسير الآية : ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾[2] : "وقد وجدنا من العرب من يجعل (في) موضع الباء فيقول : أدخلك الله بالجنّة، يريد: في الجنّة[3]. قال: وأنشدني بعضهم[4] :

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنّني عن سنبسٍ لستُ أرغبُ

[1] يُنظر في تفصيل هذه المسألة : د. محمد حسن عواد : تناوب حروف الجر في لغة القرآن و د. أحمد عبد الستار الجواري : بحث (حقيقة التضمين ووظيفة حروف الجر) ، مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد (32) ، تشرين الأول 1981، ص 149 وما بعدها، ود. محيي الدين رمضان : بحث (تفسير أوجه استعمال حروف الجر) ، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد (40) ، 1989، ص255 وما بعدها.

[2] إبراهيم، 9.

[3] هذا المثال لاينطبق على اللغة التي ذكرها الفرّاء، فهو شاهد على وضع الباء موضع (في) .

[4] البيت بلا نسبة، ينظر : لسان العرب : مادتي (ذرأ) و (فيا) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال : أرغب فيها يعني بنتاً له. أي أرغب بها عن لقيط "[1].

وذكر الفرَّاء في موضع آخر استعمال (في) موضع الباء، ونسبه إلى طيّىء، فقال : " وقد تجوز في لغة الطائيين لأنهم يقولون : رغبت فيك، يريدون : رغبت بك"[2] وأنشد البيت الذي أنشده في النصِّ السابق.

ويقول الأخفش : " وزعم يونس أنَّ العرب تقول: نزلت في أبيك، تريد : عليه، وتقول : ظفِرتُ عليه، أي : به، ورضيت عليه، أي : عنه. قال الشاعر[3] :

إذا رضيت عليَّ بنو قُشيرٍ لعَمْرُ اللهِ أعجبني رضاها"[4]

ويقول النحاس : "وقد ذكرنا أنَّ لغة بني كعب بن ربيعة : رضي الله عليك أي عنك"[5].
ويقول في موضع آخر : "ولغة شاذة (سخرتُ به) بالباء "[6].

هذه هي النصوص التي ذكرت لغات العرب في استعمال حروف الجر، وهي تشير إلى أنّ حرف الجر في لغة من اللغات قد استعمل في موضع حرف آخر، كالذي ذكره الفراء من أن بعض العرب يجعل (في) موضع (الباء) في النصِّ الأول، ثم نسب ذلك إلى طيّىء في النصِّ الثاني. والذي ذكره الأخفش عن يونس من أنّ بعض العرب يجعل (في) موضع (على) مع الفعل (نزل) ، و (على) موضع (الباء) مع الفعل (ظفِر) ، و (على) موضع (عن) مع الفعل (رضي) ، والذي ذكره النحاس من أن لغة كعب بن ربيعة استعمال (على) موضع (عن) مع الفعل (رضي)، وأن لغةً شاذة تُستعمل فيها (الباء) موضع (من) مع الفعل (سخِر) .

ويتضح من النصوص أنَّ أصحابها العلماء يسيرون في ركب النحاة، وهم منهم، بالقولِ إنَّ حروف الجرِّ قد استُعمل بعضها موضع بعض، فلا يخرجون في ذلك عن القول بتناوب

---

[1] معاني القرآن: ج2 / 70.
[2] المصدر نفسه: ج2/ 223.
[3] الإنصاف:ج 2/ 630، ومغني اللبيب: ج1/ 143، وج2/ 677، وشرح الأشموني: ج2/ 294، والخصائص: ج2 /311، و389، وشرح ابن عقيل: ج2/ 25.
[4] معاني القرآن: ج1/ 46.
[5] إعراب القرآن: ج3/ 265.
[6] المصدر نفسه: ج2 / 742.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حروف الجرّ، ولكنَّهم مع ذلك يشيرون إلى أنَّ استعمال حرف موضع آخر هو لغة لقوم من العرب كطيّىء الذين ذكرهم الفرّاء، أو بني كعب بن ربيعة الذين ذكرهم النحاس.

فالأمر كما أرى في استعمال حروف الجر يرجع في قسم منه إلى لغات القبائل العربية، إذ يتعدى الفعل بحرف في بعض اللغات ويتعدى بآخر في لغات أخرى، ثمّ يشيع استعمالٌ من الاستعمالين، و " الشيوعُ يصبح علامة من العلامات البارزة المميزة " [1]، مما حدا بالنحاة عند سماع الاستعمال الآخر إلى القول بأنّ الحرف فيه قد استُعمل في موضع الحرف الموجود في الاستعمال الشائع.

ومما يؤكد ذلك ما ذهب إليه إبراهيم السامرائي بقوله : " إنَّ هذه الظاهرة اللغوية لتشير إلى أنَّ اللغة العربية في عصر القرآن ما زالت تحتفظ بمظاهر لغوية تشير إلى المراحل التي انسلخت من عمر هذه اللغة. تلك المراحل التي كان منها عدم استقرار استعمال هذه الأدوات، ثم إنها أخذت طريقها نحو التوحُّد والانسجام والخلوص إلى ما يشبه الاستعمالات الثابتة التي بدأت تتضح في الاستعمال " [2].

فما سمّاه السامرائي (عدم استقرار استعمال هذه الأدوات) هو ما أرى أنَّه استعمالها عند قوم بخلاف ما يستعمله آخرون، وليس (التوحُّد والانسجام) إلا أخذ الاستعمال الشائع وإهمال غيره، مما حمل النحاة على القول إن هذا الحرف (في الاستعمال المُهمل) قد استعمل في موضع حرف في الاستعمال الشائع.

وبهذا نستطيع أن نفسِّر جانباً من قول النحاة بتناوب حروف الجر، أو قولهم بالتضمين، إذ لم يستطع القائلون بنفي التناوب أو التضمين التخلُّص مما يشبه التضمين في قولهم: "والذي نراه أن (رضي) فعل متعدٍّ تارةً، وفعل لازم تارة أخرى، فهو لازم إذا تعدى بعلى، لأنّ معناه عطف، أو أقبل، وهو متعدٍّ إذا تعدى بعن أو بالباء أو من أو اللام "[3].

فماذا يعني القول بأنه لازم إذا تعدى بـِ (على) لأنّ معناه عطف أو أقبل ؟ أليس ذلك تضميناً للفعل (رضي) معنى الفعل عطف أو الفعل أقبل ؟ بل إنّ ابن هشام قد استخدم مصطلح التضمين في هذا الموضع نفسه، فقال : "ويحتمل أنّ (رضي) ضُمِّن معنى (عطف) "[4].

---

[1] إبراهيم السامرائي: مقدمة في تاريخ العربية : 19.
[2] المصدر نفسه : 19.
[3] تناوب حروف الجر في لغة القرآن: 66.
[4] مغني اللبيب: ج1/ 143، وينظر : ج2/ 677.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن قولنا إن الفعّل (رضي) قد استُعمل معه حرف الجر (على) في لغة قوم، واستعمل معه حرف الجر (عن) أو غيره في لغة آخرين، قد يكون تفسيراً مناسباً في ضوء ما ورد عن علمائنا من الاستعمالات اللهجية المختلفة.

2- الجزم بالأدوات (إذا، ولن، ولا التي يصلح قبلها كي) :

أ- الجزم بـ (إذا) :

تحدّث الفرّاء عن أنَّ من العرب مَنْ يجزم بـ (إذا) ، وجاء ذلك عند تفسير الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾[1] فقال : "من العرب من يجزم بـ (إذا) ، فيقول: إذا تقُمْ أقُمْ، أنشدني بعضهم[2] :

وإذا نُطاوعْ أمَر سادَتِنا لا يثْنِنا جُبْنٌ ولا بُخْلُ

وقال آخر[3] :

واستغنِ ما أغناكَ ربُّكَ بالغِنى وإذا تُصِبْكَ خَصَاصةٌ فتجمَّلِ

وأكثر الكلام فيها الرفع؛ لأنها تكون في مذهب الصفة، ألا ترى أنّك تقول : الرُّطَب إذا اشتدّ الحر، تريد في ذلك الوقت. فلمّا كانت في موضع صفة كانت صلة للفعل الذي يكون قبلها، أو بعد الذي يليها، كذلك قال الشاعر[4] :

وإذا تكونُ شديدةٌ أُدعى لها وإذا يُحاسُ الحَيْسُ يُدعى جُنْدُبُ " [5].

فالجزم بـ (إذا) لغة لقوم من العرب لم يُعيِّنهم الفرّاء، وإنما اكتفى بالإشارة إلى أن (من العرب من يجزم بـ (إذا)) ونتبيّنُ من نصِّه أيضاً، أنّ الجزم بـ (إذا) لغة لفئة قليلة أو غير مشهورة من العرب، وذلك لأنّه قال (من العرب) ولم يعيِّن ولو كان القوم مشهورين لذكرهم بالاسم، وكذلك قال بعد أن ذكر بيتي الشعر شاهدين على لغة الجزم بـ (إذا) : (وأكثر الكلام فيها الرفع) ، مما يؤكدِّ قلّة المتحدثين بلغة الجزم.

---

[1] المنافقون، 4.
[2] لم أعثر على القائل.
[3] البيت في المفضليات لعبد قيس بن خفاف: 385، وينظر: خزانة الأدب: ج4 / 243، ومغني اللبيب: ج1/ 93، و 96.
[4] البيت لضمرة بن ضمرة النهشلي، ينظر : خزانة الأدب : ج2/ 38.
[5] معاني القرآن : ج3/ 158.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفرّاء وحده هو الذي عدّ الجزم بـ (إذا) لغةً لبعض العرب، أمّا غيره من اللغويين والنحاة فقد قصروا الجزم بـ (إذا) على الضرورة الشعرية[1]، وجعله سيبويه خطأ إذا ورد في الكلام، فقال: " وقد جازوا بها في الشعر مضطرِّين، شبّهوها بإنْ، حيث رأوها لما يستقبل، وأنها لا بُدَّ لها من جواب. وقال قيس بن الخطيم الأنصاري[2]:

إذا قصُرَتْ أسيافُنا كان وصْلُها خُطانا إلى أعدائنا فنضارِبِ

وقال الفرزدق[3] :

ترفعُ لي خِنْدِفٌ واللهُ يرفَعُ لي ناراً إذا خَمَدَتْ نيرانُهم تقِدِ

وقال بعض السَّلوليّين[4] :

إذا لم تزل في كُلِّ دارٍ عَرَفْتَها لها واكِفٌ مِنْ دَمْعِ عَينِك يَسْجُمِ

فهذا اضطرار، وهو في الكلام خطأ" [5].

وعدّ ابن مالك الجزم بإذا خاصاً بالشعر فقال[6] :

وشاع جزمٌ بإذا حَمْلا على متى وذا في النثرِ لن يُستعملا

لكنَّ ابن مالك نفسه يُصرِّح في شواهد التوضيح[7] بجواز الجزم بـ (إذا) في الشعر كثيراً وفي النثر نادراً، ويستشهد بقول النبي عليه السلام لعلي وفاطمة رضي الله عنهما : (إذا أخذتما مضاجعكما تكبِّرا أربعاً وثلاثين، وتُسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتُحمِّدا ثلاثاً وثلاثين) .

وقد نبَّه على هذا التناقض الأشموني في شرحه[8]، وتابعه من الباحثين المحدثين صبحي

---

[1] ينظر: مغني اللبيب: ج1/ 93.
[2] ديوانه: 88.
[3] نسب سيبويه البيت إلى الفرزدق، وكذا نسبه إلى الفرزدق ابنُ يعيش في شرح المفصل : ج7/47، ولم ينسبه الأشموني: ج3/583. ولم أجد البيت في ديوان الفرزدق أو ملحقاته.
[4] في معجم شواهد العربية لعبد السلام هارون (ص361) أنّه لسلولي، ولم يُشِرْ إلا إلى كتاب سيبويه.
[5] الكتاب: ج3/ 61-62.
[6] شرح الأشموني: ج3/ 583.
[7] شواهد التوضيح: 18.
[8] ج3/ 583.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد الحميد[1] وفسَّره بأنّ ابن مالك لم يكن قد اطّلع على جواز الجزم بـ (إذا) في النثر عندما منعه.

ويبدو أن لغة الجزم بـ (إذا) لغةٌ قليلة الشيوع كما أشرنا من قبل، ولكن مع قلتها، لا يمكن حمل النصوص النثرية التي وردت بها على الخطأ كما ذكر سيبويه في حديثه السابق عنها، ولا قَصْرها على الضرورة الشعريَّة؛ ذلك لأنّ الفرّاء – العالم الذي ذكرها – له منزلته في معرفة لغات العرب، ومعرفته بالضرورة الشعرية، ولو كان الجزم بـ (إذا) ضرورةً شعرية لذكرها الفرّاء، ولم يقل إن من العرب من يجزم بها.

ب) الجزم بـ (لن) :

ذكر النحاسُ لغة الجزم بـ (لن) في موضعين من كتابه، قال في الأول : " قال أبو عبيدة : من العرب مَنْ يجزم بـ (لن) كما يجزم بـ (لم) "[2]. وفي الثاني : "زعم أبو عبيدة أنَّ من العرب من يجزم بـ (لَنْ) ، وهذا لا يُعرف"[3].

ونرى النحاس في النصين السابقين ينقل الجزم بـ (لن) عن أبي عبيدة، إلا أنّه لم يُعلّق في النصِّ الأول على هذه اللغة، لكنّه في النصِّ الثاني قال (زعم) بدلاً من (قال) ، مما يشير إلى شكّه في هذه اللغة، وقد أكد ذلك بقوله بعد النص : (وهذا لا يُعرف) .

وتعليق النحّاس هذا يشي بقلّة شيوع هذه اللغة، إذ لو كانت كثيرة الانتشار لعرفها النحاس، وقد نُقل الجزم بـ (لن) عن الكسائي[4]، وذكر السيوطي[5] عن اللحياني أنّ لغة بعض العرب الجزم بـ (لن) ، وأنشد عليه[6] :

لن يخِبِ الآن مِنْ رجائِكَ مَنْ حرَّك من دون بابك الحَلَقَهْ

وأشار ابن هشام إلى الجزم بـ (لن) ، وذكر قول الشاعر[7] :

فلن يَحْلَ للعينين بعدكِ منظرُ

---

[1] اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء : 369.
[2] إعراب القرآن : ج1/ 150.
[3] المصدر نفسه، ج3/ 441.
[4] شواهد التوضيح والتصحيح : 160.
[5] همع الهوامع : ج2/ 289.
[6] البيت لأعرابي، ينظر : الدراللوامع : ج63/4.
[7] شطره الأول : أيادي سبا يا عَزُّ ما كنت بعدكم. وهو لكثيرٍ والرواية في الديوان (254، و 328) : (فلمْ يحلَ) مع الإشارة في هامش (صفحة 328) إلى رواية المغني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنشد الشاهد الذي ذكره اللحياني (لن يخِبِ) . وقال في الشاهد الأول : "والأولُ مُحتملٌ للاجتزاء بالفتحة عن الألف للضرورة"[1]. فهو يحاول أن يُوجِدَ عِلّةَ للتخلُّص من القول بالجزم بعد (لن) .

وقد ذهب أحمد علم الدين الجندي[2] إلى تجريد هذا الشاهد من الدلالة على ظاهرة لهجيَّة، وذلك باعتماده على رواية الديوان[3] وما جاء في اللسان[4] وأساس البلاغة[5] من أن الرواية هي :

أيادي سَبَا يا عَزُّ ما كنت بعدكم فلم يَحْلَ للعينين بعدكِ منظرُ

ورأى الجندي أنَّ النحاةَ " قد أثبتوا الرواية محرّفةً لإثبات لهجة " [6]. ولكن لماذا لا يكون راوي الديوان قد حرّف الرواية لمّا وجدها غير متسقةٍ مع العربية الفصحى ؟ وهذا ما أشار إليه إبراهيم السامرائي بقوله : " وبقدر ما احتفل النحاة بالنماذج النادرة من ظواهر الكلم، تجنّبَ نفرٌ آخر من اللغويين النحاة هذه المواد حتى احتالوا على المسموع منها برواية أخرى ليبتعدوا عن الخروج عن قواعد نحو العربية، ألا ترى أنّهم غيّروا المشهور من قول امرئ القيس[7] :

فاليوم أشربْ غير مُسْتَحقِبٍ إثماً من اللهِ ولا واغِلِ

بجزم (أشربْ) وليس من جازم، إلى رواية أخرى هي :

فاليوم ألهو غير مُستحقبٍ إثماً من الله ولا واغل

على أنّ الديوان قد أشار إلى الرواية الأولى"[8].

ويمكن أن نقول بعد ذلك : إنَّ اللغة إذا كانت قليلة الشواهد بقيت شواهدها موطناً للتحريف والتأويل بين النحاة واللغويين، ولكنّها إن كثرت شواهدها استطاعت أن تجد لنفسها مكاناً في الكتب والقضايا النحوية واللغوية، ولم يُتجرَّأ عليها الجرأة على اللغة ذات الشواهد القليلة.

ومما يؤيد هذه القضية ذلك التأرجحُ في رواية البيت[9] :

---

[1] مغني اللبيب: ج1/ 285.
[2] اللهجات العربية في التراث: ج1/ 17.
[3] ديوان كثير: 254، و 328.
[4] مادة (سبا) .
[5] مادة (حلو) .
[6] اللهجات العربية في التراث : ج1/ 17.
[7] ديوانه: ج523/2، وينظر: لسان العرب: (حقب) و (وغل) والرواية فيه (فاليوم أسقى)
[8] بحث (مقدمة في دراسة اللهجات): 138-139.
[9] ينظر في ذلك : اللهجات العربية في التراث : ج1/ 16، وبحث "مقدمة في دراسة اللهجات" : 139، والبيت بلا نسبة في تاج العروس : مادة (أنن)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا - تعالَوا إلى أن يأتِنا الصيدُ نحطب

- تعالوا إلى أن يأتيَ الصيدُ نحطب

وهو في الرواية الأولى (أن يأتِنا) يشير إلى لغة الجزم بـ (أن) ، وكذلك التأرجُحُ في تأويل البيت[1] :

في أيِّ يومَيَّ من الموتِ أفِرّ أيومَ لم يُقْدَرَ أم يومَ قُدِرْ

ومما يؤكد إهمال بعض النحاة للملامح اللهجية التي تمثل ظاهرة قليلة الشيوع ما قاله ابن هشام في حديثه عن المسألة الزنبورية : " وأمّا (فإذا هو إيّاها) إنْ ثبت فخارجٌ عن القياس واستعمال الفصحاء كالجزم بـ (لن) والنصب بـ (لم) ، والجر بـ (لعلّ) ، وسيبويه وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك وإن تكلّم بعض العرب به "[2].

ويؤيد هذا المذهب أنَّ نهاد الموسى قد اتّخذ (الجزم بـ (لن)) وغيره من الملامح اللهجية وسيلة لتأكيد " أنّ اللهجات كانت تطوِّر نظام الإعراب في صور متباينة "[3]. فهو لم يذهب إلى نفي وجود هذه اللغة، بل إلى أنَّ " اللهجات كانت تُمثّل الواقع اللغوي يومذاك وأنّ السِمات الخاصَّة فيها تُمثّل بقايا أطوار متقدمة أو بذور تيّارات حادثة "[4].

ونقف في هذه المسألة أخيراً عند رأي إبراهيم أنيس الذي يقول : " ولعلَّ الذي دعا بعض النحاة الكوفيين أن يقولوا إنّه يجوز الجزم بـ (أنْ) و بـ (لنْ) ، أنهم سمعوا شواهد فيها الفعل المضارع غير محرّك الآخر، لعدم ضرورة هذه الحركة، أو لأنّ نظام المقاطع لم يتطلب مثل هذه الحركة، فظنوا أنّ الفعل في تلك الشواهد مجزوم" [5].

فهو يرى أن الحركات في أواخر الأسماء والأفعال ليست دوالَّ على معانٍ وإنّما هي حركات جيء بها لوصل الكلام، فلما لم يكن لها ضرورة صوتية لم يؤت بها، فظنَّ النحاة أن السكون علامة جزم. وينطبق هذا الكلام على المسألة السابقة (الجزم بـ (إذا)) ، وعلى مسألة

[1] ينظر: اللهجات العربية في التراث : ج1/ 17، وبحث "مقدمة في دراسة اللهجات " : 140.
[2] مغني اللبيب : ج1/ 91.
[3] في تاريخ العربية : ص131.
[4] المصدر نفسه : 109.
[5] من أسرار اللغة : 248، وينظر : ص208.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(إسقاط الحركة الإعرابية) [1]، فهو يأخذ شواهد من القراءات والشعر وردت فيها كلمات ساكنة، ثم يذهب إلى أنّ هذا السكون هو الأصل، وليس علامة جزم في لغة معينة.

ولكن إذا كان السكون هو الأصل، فماذا يقول إبراهيم أنيس في رواية (فلن يحلَ للعينين بعدك منظرُ) ، ورواية (تعالوا إلى أن يأتِنا الصيد نحطب) ؟ لقد ورد الجزم بـ (أن) وبـ (لن) في هاتين الروايتين ولم يكن السكون علامة الجزم، وإنما كان الفعل معتل الآخر، فحذف حرف العِلّة علامةٌ على الجزم، وفي هذا دليل على أنَّ النحاة لم يوهموا عندما وجدوا آخر المضارع ساكناً بعد (أنْ) و (لن) ، فقالوا إنَّ هاتين الأداتين قد تجزمان.

ج) الجزم بـ (لا) التي يصلح قبلها (كي) :

ذكر الفرّاء هذه اللغة في موضعين من كتابه : الأول: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلَإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُوْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾[2]. فقال : " ومعنى (لا) كقوله : ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[3] لو كان في موضع (لا) (أن) صلح ذلك، كما قال : ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾[4]، وكما قال: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيْدَ بِكُمْ﴾[5] ويصلح في (لا) على هذا المعنى الجزم. العرب تقول : ربطتُ الفرس لا يَنْفلِتْ، وأوثقتُ عبدي لا يَفْرِرْ. وأنشدني بعض بني عُقيل[6] :

وحتى رأينا أحسنَ الوُدِّ بيننا مُساكتةً لا يَقْرِفِ الشرَّ قارفُ

وبعضهم يقول لا يقرفُ الشرّ، والرفع لغة أهل الحجاز. وبذلك جاء القرآن"[7].

---

[1] القضية الأولى من قضايا الفصل الثاني من هذه الرسالة.
[2] الصافات، 7-8.
[3] الشعراء، 200-201، وقد وهم محقق الجزء الثاني من معاني القرآن فأشار في الهامش إلى أنَّ الآيتين من سورة الحِجْر(12-13) وفي الحجر ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به﴾.
[4] النساء، 176.
[5] النحل، 15. ولقمان، 10.
[6] ينظر : شرح الكافية الشافية : مجلد 3/ 1556.
[7] معاني القرآن : ج2/ 383.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والموضع الثاني : عند تفسير قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[1]. فقال الفرّاء : " وقوله : (كذلك سلكناه) يقول : سلكنا التكذيبَ في قلوب المجرمين كي لا يؤمنوا به (حتى يروا العذابَ الأليمَ) وإن كان موقع (كي) في مثل هذا (لا) و (أن) جميعاً صلح الجزم في (لا) والرفع. والعرب تقول : ربطتُ الفرسَ لا يتفلّتُ جزماً ورفعاً. وأوثقتُ العبد لا يَفْرِرُ جزماً ورفعاً . وإنّما جُزم لأنّ تأويله : إنْ لم أربطه فرّ، فجُزم على التأويل. أنشدني بعض بني عقيل :

وحتى رأينا أحسن الفِعْلِ بيننا مُساكتَةً لا يقرفِ الشرَّ قارفُ

يُنشد رفعاً وجزماً. وقال آخر[2] :

لو كنتَ إذْ جئتنا حاولْتَ رُؤْيَتَنَا أو جِئْتَنَا ماشياً لا يُعرفِ الفرسُ

رفعاً وجزماً، وقوله[3] :

لطالما حَلَّأ تُماها لا تردْ فخلّياها والسِّجالَ تبتردْ

من ذلك"[4].

لقد نسب الفرّاء لغة الرفع في الفعل الواقع بعد (لا) التي يصلح قبلها (كي) إلى أهل الحجاز، ولم يذكر معهم أحداً يرفع، وأكد هذه الخصوصية رابين بقوله : "وأهل الحجاز وحدهم الذين يرفعون مثل هذه الحالات، في حين يجزمها الآخرون"[5].

فالرفع لغة أهل الحجاز وبها جاء القرآن الكريم كما ذكر الفرّاء، والجزم لغة القبائل الأخرى غير أهل الحجاز، وإلى هاتين اللغتين أشار ابن مالك بقوله[6] :

والجزمُ والرفعُ رووا في تِلْوِ (لا) إن كان ما قَبْلُ به مُعلَّلا

وأما سيبويه فقد نقل عن الخليل أنَّ الجزاء خطأ وهو مقصور على الضرورة، فقال : " وسألته [يعني الخليل] عن آتي الأمير لا يقطعُ اللّصَّ، فقال : الجزاء ها هنا خطأ، لا يكون

---

[1] الشعراء، 200- 2001.
[2] ينظر : شرح الكافية الشافية : مجلد 3/ 1556.
[3] ينظر : اللسان : مادة (حلأ) ، وهذا الرجز بلا نسبة، ينظر : المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية : ج359/1.
[4] معاني القرآن : ج2/ 283- 284.
[5] اللهجات العربية القديمة : 350.
[6] شرح الكافية الشافية : ج3/ 1557 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجزاءُ أبداً حتى يكون الكلام الأول غير واجب، إلا أنْ يُضطرَّ شاعر، ولا نعلم هذا جاء في شعر ألبتَّة "[1].

وقد نقل أحد الباحثين المحدثين[2] نصَّ سيبويه هذا ووضع كلمة (الجزم) مرتين بدلاً من كلمة (الجزاء) الواردة في النصِّ، وأحسب أن الخليل في النص الذي نقله سيبويه إنّما خطَّأ الجزاء الذي ينبني عليه الجزم؛ فعبارة (آتي الأمير لا يقطعُ اللّصّ) ليس فيها جزاء عند الخليل، لكن إن نوى المتكلم الجزاء جزم، كما جاء في نصِّ الفرّاء المتقدّم : "وأوثقتُ العبد لا يفرِرْ جزماً ورفعاً. وإنما جُزم لأنّ تأويله : إن لم أربطه فرَّ، فجزم على التأويل"[3].

ولم تُفِد المصادر في نسبة هاتين اللغتين إلا ما جاء عند الفرّاء من أنَّ الرفع لغة أهل الحجاز، وأنَّ الجزم لغة غيرهم من القبائل.

3- زيادة (أم) :

ذكر الأخفش عن قوم أنّ زيادة (أمْ) لغةٌ يمانية، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [4] : "وقال : ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾[5] ..... وهذه (أم) التي تكون في معنى (أيهما) وقد قال قوم إنّها يمانيّة، وذلك أنَّ أهل اليمن يزيدون (أم) في جميع الكلام، وأما ما سمعناه من اليمن فيجعلون (أم) مكان الألف واللام الزائدتين، يقولون : (رأيت امْرجُلَ، و: قام امْرجُلُ) يريدون (الرجل) ، ولا يُشبه أن يكون (أم أنا خيرٌ) على لغة أهل اليمن. وقد زعم أبو زيد أنّه سمع أعرابياً فصيحاً ينشدهم[6] :

يا دهرُ أمْ ما كان مشيي رَقَصا بل قد تكون مِشيتي تَوَقُّصا

فسأله، فقال : معناه ما كان مشيي رقصا، فـ (أم) ها هنا زائدة، وهذا لا يعُرف، وقال علقمة بن عَبَدة [7]:

وما القلبُ أمْ ما ذِكرهُ رَبَعيَّةً يُخَطُّ لها من تَرْمَدَاءَ قَليبُ

---

[1] الكتاب : ج3/ 101.
[2] صبحي عبد الحميد : اللهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء : 366.
[3] معاني القرآن : ج2/ 283.
[4] البقرة، 6.
[5] النصُّ من آيتين هكذا : ﴿ونادى فرعونُ في قومِه قال يا قوم أليس لي ملكُ مِصرَ وهذه الأنهارُ تجري من تحتي أفلا تُبصرون أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مَهين ولا يكاد يُبين ﴾ سورة الزخرف، (51، 52) .
[6] الصحاح (أمم) ، واللسان (أمم) والرواية فيه (يا دهنَ. . .) ، ولم ينسب البيت.
[7] البيت في المفضليات: ص392، قصيدة 119، والرواية فيها : وما أنت أم ما ذكرها ربعيةٌ. . .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يريد (ما ذكره ربعّية) يجعله بدلاً من القلب "[1].

فالأخفش يعرف أنَّ أهل اليمن يستخدمون (أم) مكان أداة التعريف (الـ) ، وأما زيادة (أم) فيقول إنّه لا يُعرف، ولكنَّ بعض النحاة أقرَّ زيادتها، فابن هشام يقول : " (أنْ) تقع زائدة، ذكره أبو زيد، وقال في قوله تعالى: (أفلا تبصرون أم أنا خير) : "إنّ التقدير أفلا تبصرون أنا خير، والزيادة ظاهرةٌ في قول ساعدة بن جُؤَيَّة [2] :

يا ليت شعري ولا مَنْجَى من الهَرَمِ أمْ هل على العيش بعد الشيب من ندمِ"[3].

وما دامت (أم) وردت زائدة في شكل من أشكال استعمالها عند النحويين، فإني أُرجِّح أنها ترجع في زيادتها إلى لغة من لغات العرب، وهذه اللغة في الغالب هي لغة أهل اليمن، ويؤيد ذلك ما جاء عند الحريري من زيادتها في لغة بعض أهل اليمن فيقولون : أم نحن نضرب الهام، وأم نحن نطعم الطعام[4].

وعلّق رابين على هذا الاستخدام بقوله : " ومن الصعب اكتشاف مقدار تأثير الأداة، إن وجد، على معنى الصيغة" [5] فالأداة كما يرى رابين يصعب اكتشاف تأثيرها على المعنى إن وُجد هذا التأثير، وهذا يشير إلى زيادتها ما دامت لا تأثير لها في المعنى، وكذلك فإن رابين ينقل وجود هذه الأداة في استعمال أهل اليمن في عصرنا دون العلم بوظيفة استخدامها[6].

---

[1] معاني القرآن : ج1/ 29- 30.
[2] ينظر : ديوان الهذليين : قسم 1/ 191، وشرح الأشموني : ج2 / 423، والدرر اللوامع : ج2/ 452.
[3] مغني اللبيب : ج48/1، وينظر : شرح الأشموني : ج2/ 423، واللسان : مادة (أمم) .
[4] درة الغوّاص في أوهام الخواصّ : 223. وينظر : اللسان مادة (أمم) : "قال الليث : وتكون (أم) مبتدأ الكلام في الخبر، وهي لغة يمانية، يقول قائلهم : أم نحن خرجنا خيار الناس، أم نحن نطعم الطعام، أم نحن نضرب الهام، وهو يخبر".
[5] اللهجات العربية القديمة : 101.
[6] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نسب أحد الباحثين زيادة (أم) إلى قبيلة هذيل اعتماداً على بيت ساعد بن جُؤَيّة الذي جاء في نصّ الأخفش السابق:

يا ليت شعري ولا منجى من الهرم أم على العيش بعد الشيب من ندم

وقال الباحث: " ولم ترد[أي (أم)] زائدة في غير هذا الشاهد، والله أعلم، مما يُرجّح أنّها لغة هذيل" [1]، والحقيقة أنّها وردت في غيره من الشواهد كما تقدم، وقد نصّ العلماء على نسبة هذه اللغة إلى أهل اليمن، فلا وجه لترجيح الباحث نسبتها إلى هذيل اعتماداً على الشاهد الوحيد الذي وجده الباحث في أشعارهم.

ومع تأكيدنا أنَّ زيادة (أم) لغة من لغات العرب جاءت عن أهل اليمن، ووردت عليها شواهد تقدَّم ذِكرها، إلا أنني أقف عند القول بزيادتها في الآية الكريمة ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾، فأقول إنّ التماس شاهد من القرآن الكريم على زيادة (أم) هو الذي حمل النحاة على اجتزاء جُزءٍ من الآية التي سبقتها، وربطه بهذه الآية لتبدو (أم) زائدة في الكلام. ولو رجعنا إلى سياق الآيتين لتبَّين لنا أنّ (أمْ) فيه جارية على سنن العرب في كلامهم في نحو الشاهد (إنّها لإبلٌ أم شاءٌ) [2]، فالله تعالى يقول : ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[3] ففرعون يستفهم مستنكراً : ألا تُبصرون أن لي ملك مصر، وأن الأنهار تجري من تحتي ؟ ثم يُضربُ عن الإشادة بملكه وسلطانه إلى المفاضلة بين شخصِه هو وشخص موسى عليه السلام، فيشير إليهم أن اتركوا كلَّ ذلك، بل أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يُبين. وبهذا يبطل الاستشهاد بهذه الآية على زيادة (أم) .

4- استعمال (مِن) لابتداء الغاية الزمانية :

ذكر الأخفش أنَّ من العرب من يضع (مِنْ) موضع (مُنْذُ) أي لابتداء الغاية الزمانية، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾[4]: " يريد: مُنْذُ أوّلِ يوم، لأنّ من العرب من يقول : لم أره من يوم كذا، يريد : (مُنْذُ) " [5].

---

[1] سائد ياسين كبها: ما بُني على أشعار هذيل من تصاريف اللغة وقواعدها، (رسالة ماجستير) : 76.
[2] معاني القرآن للأخفش : ج1/ 30، ومغني اللبيب : ج1/ 46.
[3] الزخرف، 51، 52.
[4] التوبة، 108.
[5] معاني القرآن : ج2/ 337.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه القضيَّة يمكن أن يُفَسَّر على وَفقها الاختلاف في ما ذهب إليه أكثر البصريين من أنّ (مِن) لا تكون لبدء الغاية الزمانية، وما خالفهم فيه الكوفيون وبعض البصريين من أنَّها قد تكون لبدء الغاية الزمانَّية[1]؛ ومن الشواهد التي ذكرها النحاة على هذه القضية قول الشاعر[2] :

تُخُيِّرنَ من أزمان يوم حليمةٍ إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كُلَّ التجاربِ

وقول الشاعر[3] :

لِمَنْ الديارُ بقُنَّةِ الحِجْرِ أقوَيْنَ منْ حِجَجٍ ومِنْ دَهْرِ

فما ذكره الأخفش من أنّ بعض العرب يقول : لم أره من يوم كذا، يريد (منذ) ، يُخرجُ هذه القضيَّة النحويّة التي تتمثّل في استعمال (من) في موضع (منذ) ، من هذا الإطار الذي يتَّخذ مسار الخلاف بين النحاة، إلى إطارٍ لهجي من صُنْع منطق اللغة لا من صنع النحاة، إذ نقول في هذه المسألة، على وفق ما جاء عند الأخفش، إنّ بعض العرب يستخدم (من) في ابتداء الغاية الزمانية، وبعضهم يستخدم (منذ) في هذه الغاية.

ومما يؤكد أن مرجع هذه المسألة هو الجانب اللهجي، أنَّ اللهجات الحديثة التي نتخاطب بها في عصرنا تميل إلى استخدام (من) في ابتداء الغاية الزمانية كما تُستخدم في المكان، فنقول (انتظرتك من الساعة السابعة إلى العاشرة) كما نقول (ذهبت من عمان إلى إربد) .

وأما نسبة هذه اللغة إلى قبيلة معينة من القبائل العربية فهذا ما لم يفعله الأخفش، وهو الذي ذكر هذه اللغة. ولم أجد من نسبها في المصادر التي اطلعت عليها.

5- استخدام (أنَّ) في موضع (لعلَّ) :

ذكر هذه اللغة الفرّاء والأخفش، فقال الفرَّاء عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[4] : " وهي في قراءة أُبيّ : (لعلّها إذا جاءتهم لا يؤمنون) وللعرب في (لعلَّ) لغة بأن يقولوا : ما أدري أنّك صاحبها، يريدون : لعلّك صاحبها، ويقولون: ما أدري لو أنّك صاحبها، وهو وجه جيد أن تجعل (أنّ) في موضع (لعلَّ) "[5].

[1] ينظر : الجمل للزجاجي : 139، وشرح الأشموني : ج2 / 687، ومغني اللبيب : ج1/ 318.
[2] البيت للنابغة، ديوانه : 47، وينظر : شرح الأشموني : ج2/687 ومغني اللبيب : ج1/ 319.
[3] البيت لزهير، ديوانه : 27، وينظر : الجمل للزجاجي : 139.
[4] الأنعام، 109.
[5] معاني القرآن : ج1/ 350.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الأخفش في تفسير الآية نفسها: " وقرأ بعضهم : (أنّها) ، وبها نقرأ، وفُسّر على (لعلّها) كما تقول العرب: اذهب إلى السوق أنّك تشتري لي شيئاً، أي: لعلّك، وقال الشاعر[1] :

قلت لشَيْبانَ : ادْنُ من لقائِهِ أنّا نُغَدِّي القومَ من شِوائِهِ

في معنى : لعلّنا "[2].

فهذه لغة للعرب تُستخدم فيها (أنَّ) في موضع لعلَّ، وقد ذكرها عالِمان جليلان من علماء اللغات هما الفرّاء والأخفش، وذكرها سيبويه والزجّاجي، فقال سيبويه : " وأهل المدينة يقولون (أنّها) ، فقال الخليل : هي بمنزلة قول العرب : ائتِ السوق أنّك تشتري لنا شيئا، أي: لعلّك، فكأنّه قال: لعلّها إذا جاءت لا يؤمنون"[3]، والمقصود بأهل المدينة قُرَّاؤها[4]، وليس نسبة هذه اللغة إلى أهل المدينة، إذ لو كانت لغةً لهم لذكرت المصادر ذلك.

وقال الزجاجي: "وأمّا مجيء (أنَّ) مفتوحة مُشَدَّدة بمعنى (لعلَّ) ، فلغة مشهورة معروفة قد جاءت في كتاب الله تعالى وكلام الفُصحاء من العرب"[5].

وأشار أبو حيان، في تفسير الآية نفسها، إلى هذه اللغة، فقال : "وجعل بعض المفسّرين (أنَّ) هنا بمعنى (لعلَّ) ، وحُكي من كلامهم ذلك، قالوا: (إيتِ السوقَ إنَّك[6] تشتري لحماً) يريدون لعلّك، وقال امرؤ القيس[7] :

عُوجا على الطّلَلِ المُحيل لأنّنا نبكي الديارَ كما بكى ابنُ حَرَام

وذكر ذلك أبو عبيدة وغيره " [8].

وبعد هذه النصوص التي أشارت إلى أنَّ وضع (أنَّ) في موضع (لعل) لغةٌ للعرب، يبدو أنَّ محاولة نسبة هذه الظاهرة إلى بني تميم بالقول إنَّ (أنَّ) هذه التي يضعها بعض العرب في موضع (لعلَّ) هي من لغة بني تميم الذين يقولون في (لعلَّ) (لعنَّ) ، ثم إنّهم يقلبون العين همزةً، فتكون (أنَّ) صورة نطقيةً لتميم منقلبةً عن (لعنَّ) [9]، يبدو أنّ هذه المحاولة لا تصل بنا إلى نسبة

[1] الرجز لأبي النجم العجلي، ينظر: الكتاب : ج3/ 116، والإنصاف: ج2/ 591، وهو فيهما (كما نغدي القوم من شوائِهِ) .
[2] معاني القرآن : ج2/ 285- 286.
[3] الكتاب : ج3 / 123.
[4] يُنظر في هذه القراءة : البحر المحيط : ج4/ 204.
[5] اللامات : 137.
[6] أظن الصواب (أنّك) .
[7] ديوانه : ج2/474. .
[8] البحر المحيط : ج4/ 204.
[9] اللهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء : 337.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صحيحة أو مؤكّدة لهذه اللغة، إذ إنَّ في (لعلَّ) لغات كثيرة، وليست تقتصر على (لعنّ) و(لأنَّ)، جاء في لسان العرب : " اللحياني : تقول العرب لعلّك ولَعَنَّك ورعنَّك ورغَنَّك بمعنى واحد. وقال الكسائي : لعنَّ ولغَنَّ ورغنَّ و رَعَنَّ بمعنى لعلَّ. ويقال : رغنّه عند الله، قال : يريد لعلّه عند الله. قال الفرّاء : لونّ بمعنى لعلَّ، قال : وسمعتهم يقولون : لوَنَّها تركب، يريدون : لعلّها تركب "[1].

وجاء في الكنز اللغوي : " قال الأصمعي : وفي (لعلّ) لغاتٌ؛ يقول بعض العرب : (لعلّي) ويقول بعضهم : (لعلّني) وبعضهم : (علّي) وبعضهم (علّني) وبعضهم : (لعنِّي) ، وبعضهم : (لغنِّي) . . . . . وبعضهم يقول : (لأنني) و (لأنّي) وبعضهم (لو أنني) . قال : وقال رجل بمِنىً[2] : مَنْ يدعو لي المرأة الضالة ؟ فقال أعرابي : (لو أنّ) عليها خِماراً أسود. يريد : لعلَّ عليها. فقال له : سوّد الله وجهك"[3].

فهذه استعمالات كثيرة عند العرب تؤدي معنى (لعلَّ) ولا نستطيع إرجاع (لأنّ) إلى (لَعَنَّ) ، ونجعلهما استعمالاً واحداً مع بعض التبدُّل الصوتي، وإلا فماذا سنقول في (لوأنَّ) التي جاءت على لسان الأعرابي في حديث الأصمعي السابق ؟ وهل تكون صيغة معدّلة نطقياً لـ (لعنَّ) أو (لأنَّ) ؟

إنَّ التشابه الصوتي وحده بين الاستعمالين لا يُمكّن الباحث من الربط بينهما ونسبة أحد الاستعمالين إلى القبيلة التي تستعمل الآخر، إلا أن ينُصّ على هذه النسبة العلماء الذين سمعوا اللغات، ومن روى عنهم، أو أنْ نجد في النصوص المنسوبة إلى القبيلة ما يشير إلى أنّ هذا الاستعمال من لغة أبنائها.

ولم تنسب المصادر هذه اللغة إلى قوم من العرب، بل اكتفت، كما رأينا في النصوص السابقة، بالقول إنَّ بعض العرب يقول : (لأنَّ) ، واللغة التي نُسبت إلى بعض بني تميم هي (لَغَنَّ) ، فجاء في اللسان : "ولَغَنَّ : لغة في لعلَّ، وبعض بني تميم يقول : لغنّك بمعنى لعلّك"[4]. ولا نستطيع قياساً على هذا النصّ أن ننسب (لأنَّ) إلى بني تميم، لأنّ النصَّ واضح في أنّه ينسب (لَغَنَّ) لا (لأنّ) .

6- حذف (أنْ) من خبر (عسى) ، وإثباتها في خبر (لعلّ) :

[1] مادة (رغن) ، وينظر : الزجاجي : اللامات : 135.
[2] لقد نقل مؤلفا (معجم لغات القبائل والأمصار) هذا النصَّ، وأثبتا بدلا من كلمة (بمنى) كلمة (يمني) وهذا وهمٌ يدلّ عليه أنهما وضعا كلمة (يمني) بين قوسين على طريقتهما في وضع اسم القبيلة أو المِصْر الذي تنسب إليه اللغة بين قوسين.
[3] ص33.
[4] مادة (لَغَنَ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكر النحاة أنّ الأصل في خبر (عسى) أنْ يقترن بـ (أنْ) ، وأنَّ الأصل في خبر (لعلّ) أنْ يكون مجرّداً من (أنْ) [1].

وقد ذكر النحاس أنَّ حذف (أنْ) من خبر (عسى) هو لغة للعرب تشبيهاً لـ (عسى) بـ (لعلَّ) ، وأنّ إثبات (أنْ) في خبر (لعلّ) هو أيضاً لغة للعرب تشبيهاً لـ (لعلَّ) بـ (عسى) .

فقال في إعراب قوله تعالى : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾[2] : "هذه اللغة الفصيحة ومن العرب من يأتي بأنْ فيقول : لعلّه أن يُنْصر"[3]، وقال في موضع آخر : "وبعض العرب يأتي بأنْ مع (لعلَّ) تشبيهاً بعسى" [4].

وقال في إعراب قوله تعالى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾[5]: "وهذه اللغة الفصيحة، ومن العرب مَنْ يحذف (أنْ) من الخبر، كما قال[6] :

عسى الهمُّ الذي أمسيتَ فيه يكون وراءه فرجٌ قريبُ

ومن العرب مَنْ يأتي بالاسم في خبرها فينصبه فيقول : عسى زيدٌ قائماً" [7].

وفي هذا النصّ الأخير برزت لغة أخرى هي أن يأتي خبر (عسى) اسماً منصوباً، وقد أشار إليها سيبويه في حديثه عن حذف (أن) من خبر (عسى) ، فقال : "واعلم أنّ من العرب من يقول : عسى يفعل، يشبِّهها بكاد يَفْعَلُ، فيفعل حينئذٍ في موضع الاسم المنصوب في قوله : (عسى الغُوَيرُ أبؤُساً) . فهذا مَثَلٌ من أمثال العرب أجروا فيه (عسى) مجرى (كان) "[8]. وقصر سيبويه إثبات (أنْ) في خبر (لعل) على الضرورة الشعريّة، فقال : " وقد يجوز في الشعر أيضاً لعلّي أنْ أفعلَ؛ بمنزلة عَسَيْتُ أنْ أفعَلَ"[1].

فهذه لغات ثلاث للعرب هي : حذف (أنْ) من خبر (عسى) ، وإثباتها في خبر (لعل) ، والإتيان بالاسم في خبر (عسى) نحو : عسى زيدٌ قائماً. وقد أشار النحاة إلى أنَّ هذه الاستعمالات اللهجيَّة ناتجة عن تشبيه (عسى) بـ (لعلّ) أو (كان) ، وعن تشبيه (لعلّ) بـ (عسى) ، أي أنّ القياس الخاطئ بين (عسى) و (لعل) ، وكِلتاهما تفيد الترجِّي، هو الذي حمل بعض العرب على

[1] ينظر : الكتاب : ج3 / 158، و 160، وشرح ابن عقيل : ج1/ 277.
[2] يس، 74.
[3] إعراب القرآن : ج2/ 735.
[4] المصدر نفسه : 119.
[5] محمد، 22.
[6] البيت لهُدْبة بن خشرم العذري، ينظر: الكتاب: ج3/ 159، وشرح المفصل: ج7/ 117 و 121، و شرح ابن عقيل: ج1/ 277.
[7] إعراب القرآن : ج3/ 176، وينظر : 488.
[8] الكتاب : ج3/ 158.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حذف (أنْ) من خبر (عسى) في نحو قولنا (عسى الهمُّ يزول) ، قياساً على حذفها من خبر (لعلَّ) في مثل (لعلّ الهمَّ يزول) والقياسُ نفسه هو الذي حمل بعض العرب على إثبات (أن) في خبر (لعلّ) في قولنا (لعلَّ الهمَّ أنْ يزولَ) قياساً على خبر (عسى) في مثل (عسى الهمُّ أن يزولَ) . ومثل ذلك حمل بعضُ العرب خبر (عسَى) على خبر (كان) فجاؤوا به اسماً منصوباً نحو (عسى زيدٌ قائماً) . وهذا مما يُعرف بمحاولة طرد الباب على وتيرةٍ واحدة، فبعض المتكلمين أراد أن يطّرد باب الرجاء في (عسى) و (لعلَّ) على حذف (أنْ) من خبريهما، وبعضهم أراد أن يطّرد الباب على إثبات أنْ في خبريهما.

ولم تُنسب هذه اللغات إلى قوم معينين من العرب، بل اكتُفي بالقول إن من العرب من يحذف (أنْ) من خبر (عسى) ، ومنهم من يثبتها في خبر (لعلَّ) ، ومن العرب من يأتي بالاسم في خبر (عسى) .

7- استعمال (لمّا) مكان (إلا) :

ذكر الفرّاء أنّ استعمال (لمّا) مكان (إلاّ) من لغة هذيل، فقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[2] : " قرأها العوامّ (لمّا) وخفّفها بعضهم. الكسائي كان يُخفّفها، ولا نعرف جهة التثقيل، ونرى أنّها لغة في هذيل، يجعلون إلا مع إنْ المخففة (لمّا) ، ولا يُجاوزون ذلك. كأنّه قال : ما كلُّ نفسٍ إلا عليها حافظ"[3].

هذه اللغة التي ذكرها الفرّاء مشهورة في هذيل، ذكرها عدد من العلماء[4]، ولكنَّ ابن هشام فصّل القول فيها، فهي تدخل على الجملة الاسمية كما ورد في الآية التي استشهد بها الفرّاء، و "على الماضي لفظاً لا معنى نحو (أنشُدك الله لمّا فَعَلْتَ) أي ما أسألك إلا فعلك؛ قال[5] :

قالت له : بالله ياذا البُردينْ لمّا غنِيْتَ نَفَساً أو اثنينْ

وفيه ردٌّ لقول الجوهري[6] : إنّ لمّا بمعنى إلا غير معروف في اللغة"[1].

فلم ينسب ابن هشام هذه اللغة إلى هذيل أو غيرها، ولكنّه ذكر أنَّ (لمَّا) تكون حرف استثناء أي بمعنى (إلا) في موضعين : الأول : في الجملة الاسميّة نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ

---

[1] الكتاب:ج3/ 160.
[2] الطارق، 4.
[3] معاني القرآن: ج3/ 254.
[4] ينظر : البحر المحيط : ج8 / 449، واللسان : مادة (لمم) .
[5] الرجز بلا نسبة، ينظر : اللسان : مادة (غنث) ، وهمع الهوامع : ج222/2.
[6] إشارة إلى عبارة الجوهري في الصحاح مادة (لمم) : "وقول من قال : لمّا بمعنى إلا، فليس يُعرف في اللغة".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾. والثاني: عند دخولها على الفعل الماضي لفظاً لا معنى، نحو (أنشُدُك الله لمّا فعلت) .

وفي هذا التفصيل ملمح يُساعد في فهم نصِّ الفراء الذي تقدَّم؛ ذلك أنّ الفرّاء قال : (ونرى أنها لغة هذيل، يجعلون (إلا) مع إنْ المخففة (لمّا) . ولا يجاوزون ذلك) ، فأرجِّح أنَّ الفرّاء ينسب إلى هذيل وضع (لمّا) موضع (إلاّ) مع إنْ المخففة، وأما مع الفعل الماضي فهو لم ينسبها إلى هذيل، إذ قد تكون من لغتهم، وقد لا تكون، ويؤيد هذا الترجيحَ ما جاء في اللسان عن (لمّا) : " وتكون بمعنى إلا في قولك: سألتك لمّا فعلْت، بمعنى إلا فعلت، وهي لغة هُذيل بمعنى (إلا) إذا أُجيب بها (إنْ) التي هي جحد كقوله عزّ وجل : ﴿إنْ كلُّ نفسٍ لمّا عليها حافظ﴾، فيمن قرأ به، معناه ما كلُّ نفس إلا عليها حافظ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيْعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُوْنَ ﴾[2]؛ شدَّدها عاصم، والمعنى : ما كلٌّ إلا جميع لدينا"[3].

فقد اشترط ابن منظور في نسبتها إلى هذيل أن يُجاب بها إنْ التي هي جَحْد. مع إشارته قبل ذلك إلى أنّها تكون بمعنى (إلا) مع الفعل الماضي.

ويبدو أنَّ الجوهري لم يكن يعلم بوجود هذه اللغة، فردّ عليه ابن هشام في النصِّ السابق، وفي نصِّ اللسان الذي قدّمناه ردٌّ، وكذلك في قول ابن منظور : "قال أبو منصور : وممّا

---

[1] مغنى اللبيب : ج1/ 281.
[2] يس، 32.
[3] مادة (لمم) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدلُّك على أنّ (لمّا) تكون بمعنى (إلاّ) مع (إنْ) التي تكون جحداً قول الله عزّ وجل : ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾[1]؛ وهي قراءة قُرَّاء الأمصار؛ وقال الفرّاء[2] : وهي في قراءة عبدالله : (إنْ كُلُّهم لمّا كذّب الرسُلَ) ، قال : والمعنى واحد "[3].

ومن الغريب بعد هذا قول رابين : "وتصريح الفراء لا يساعد في شرحها، ولكن يمكن أن نؤسس عليه بعض الخصائص الحقيقية للهجة هذيل، لم تكن مفهومةً بشكلها الصحيح"[4]، فهو يشير بهذه العبارة إلى نصّ الفرّاء الذي قدّمناه، وكلام الفرّاء فيه واضح؛ إذ نقل عن الكسائي أنّه كان يُخفّف (لمّا) ، ولا يعرف هو جهة التثقيل، لكنّه يرى أنّه لغة في هذيل، وهذا لا يجعله متردّداً كما وصفه رابين في موضع آخر[5]، ولا يُقال في نصّ الفراء إنّه لا يُساعد في شرح وقوع (لمّا) موقع (إلا) . ذلك أنّه استعمال وردت عليه شواهد من لهجة هذيل، ونسبه الفرّاءُ إليهم نسبةً واضحة.

8- استعمال اللام مكان (أن) :

ذكر الفرّاء أنَّ العرب تجعل اللام في موضع (أن) مع الفعلين (أراد) و (أمر) ، وذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[6]. فذكر الآية : ﴿يُرِيْدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[7]. وقال: "والعرب تجعل اللام التي على معنى (كي) في موضع (أن) في أردت وأمرت. فتقول : أردت أن تذهب، وأردت لتذهب"[8]. ثم ذكر أنّ العرب أيضاً قد تجعل اللام مكان (أن) فيما أشبه (أردت وأمرت) فقال : " وربّما جعلت العرب اللام مكان (أن) فيما أشبه (أردت وأمرت) مما يطلب المستقبل؛ أنشدني الأنفيّ من بني أنف الناقة من بني سعد[9] :

ألم تسأل الأنفيَّ يوم يسوقُني ... ويزعم أنّي مُبطلُ القولِ كاذبُه

أحاول إعناتي بما قال أم رجا ... ليضحك مني أو ليضحك صاحُبه

والكلام : رجا أنْ يضحك مني"[10].

---

[1] ص، 14 .
[2] ينظر : معاني القرآن للفرّاء : ج2 / 400.
[3] مادة (لمم) .
[4] اللهجات العربية القديمة : 187.
[5] المصدر نفسه : 186، وقال رابين في هذا الموضع : "وسنناقش تركيب : (إنْ كل. . . لمّا) مؤخراً في (13e) " ولم أجد لهذا التركيب إلا ذكراً سريعاً ص318 من الكتاب نفسه، وليس فيه مناقشة كما وعد.
[6] الحديد، 23.
[7] النساء، 26.
[8] معاني القرآن : ج1/ 261.
[9] نسب البغدادي البيتين إلى أبي الجراح الأنفي من بني أنف الناقة من بني سعد، ينظر: خزانة الأدب : ج487/8.
[10] معاني القرآن : ج1/ 262.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قال ابن هشام في اللام التي تقع هذا الموقع : " واختُلف في اللام من نحو: ﴿يُرِيْدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[1] ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾[2] وقول الشاعر[3] :

أريدُ لأنسى ذكرها؛ فكأنّما تمثَّلُ لي ليلى بكُلِّ سبيلِ

فقيل : زائدة، وقيل : للتعليل"[4].

فما قيل في هذه اللام من أنّها زائدة، أو إنها للتعليل هو اضطراب بسببٍ من عدم اعتداد النحاة باستعمالات العرب المختلفة للحروف، فهم يُقعِّدون فيضعون باب زيادة الحرف، أو باب التعليل أو غيرهما، ثم يُحاولون أن يَسْلكوا الحرف، مع استعمالاته الكثيرة، في هذه الأبواب. ولكنَّ العرب كما أشار الفرّاء قد يضعون اللام في موضع (أنْ) مع أفعال معينة مثل (رجا، وأراد، وأمر) ، فنقول : إنَّ هذا استعمال للعرب، ولا نحتاج إلى القول بالزيادة، أو التعليل.

وأما نسبة هذه الظاهرة، فلم ينسبها الفرّاء في نصِّه السابق، ولم أجد من نسبها إلى قبيلة معينة، ولكنّ ما ذكره أحد الباحثين المحدثين بقوله : "والواضح أنّ وضع اللام مكان أن من سمة القبائل البدوية لأنّ البيت الذي رواه الفرّاء سمعه من أعرابي من أنف الناقة من بني سعد" [5]، لا يمكن تأكيده، أو الاطمئنان إليه لأنَّ رواية الشاهد عن أعرابي من قبيلة بدويّة لا يقوم وحده دليلاً على أن الاستعمال من سمة القبائل البدوية.

---

[1] النساء، 26.
[2] الأنعام، 71.
[3] البيت لكثير عزّة، ديوانه : 108.
[4] مغني اللبيب : ج1/ 216.
[5] صبحي عبد الحميد : اللهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء : 350.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

9- رفع المضارع بعد (كيما) :

ذكر هذه اللغة الأخفش، فقال: " وقد سمعنا عن العرب من يرفع بعد (كَيْما) ، وأنشد[1]:

إذا أنت لم تنفع فضُرَّ فإنّما يُرجَّى الفتى كيما يضُرُّ وَيَنْفعُ

فهذا جعل (ما) اسماً، وجعل (يضرُّ وينفعُ) من صِلته، وجعله اسماً للفعل، وأوقع (كي) عليه، وجعل (كي) بمنزلة اللام" [2].

فالأداة (كي) تنصب المضارع في الأصل وإن اتّصلت بها (ما) ، إلا أنّ الأخفش قال إنّه سمع عن العرب من يرفع بعد (كيْما) كما ورد في الشاهد، وهذا يشير إلى وجود لغةٍ أو استعمالٍ على الأقل لبعض العرب لا تنصب فيه (كيما) المضارع، وتعليق الأخفش على بيت الشعر السابق يقول فيه إن (كي) جاءت هنا بمنزلة اللام، فكأنَّ تقدير الكلام (إنّما يُرجَّى الفتى لمِا يضرُّ وينفع) ، ومثل ذلك قال ابن هشام في (كي) : "تكون بمنزلة لام التعليل معنىً وعملاً، وهي الداخلة على (ما) الاستفهاميّة في قولهم في السؤال عن العلّةِ (كيْمَه) بمعنى (لِمَه) ، وعلى (ما) المصدرية في قوله :

إذا أنت لم تنفع فضُرَّ، فإنّما يُرجَّى الفتى كيما يضُرُّ وينفع"[3]

ولم أجد من أشار الى أن الرفع بعد (كيما) استعمال أو لغة لبعض العرب إلا الأخفش في نصِّه الذي قدّمنا؛ ولم تنسب هذه اللغة إلى قبيلة من العرب.

---

[1] البيت مختلف في نسبته، وقيل هو لقيس بن الخطيم، ينظر: ملحقات ديوانه : 235 والرواية فيه:. . . كيما يضرَّ وينفعا، ومُغني اللبيب : ج1/ 182، وشرح الأشموني : ج3/ 549.

[2] معاني القرآن : ج1/ 124.

[3] مغنى اللبيب : ج1/ 182، وينظر : شرح الأشموني : ج3/ 549.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

10-إضافة (لات) :

ذكر الفراء أنَّ من العرب مَنْ يُضيفُ (لات) ، فقال عند تفسير قولـه تعـالى: ﴿فَنَـادَوا وَّلَـاتَ حِيْنَ مَنَاصٍ﴾[1]: " ومن العرب من يُضيفُ (لات) فيخفضُ. أنشدوني[2]:

لاتَ ساعةِ مَندَمِ

ولا أحفظ صدره، والكلام أن ينصب بها لأنها في معنى ليس أنشدني المفضّل[3] :

تذكّرَ حُبَّ ليلى لاتَ حينا وأضحى الشيب قد قطع القرينا

فهذا نصب. وأنشدني بعضهم[4]:

طلبوا صُلحنا ولاتَ أوانِ فأجبنا أن ليس حينَ بقاءِ

فخفض (أوانِ) فهذا خفض"[5].

فـالفرّاء يجعـل الخفض بـ (لات) مـن لغـة بعـض العـرب، ولـم يعيِّنْ هـؤلاء العـرب الـذين يخفضون بها، ولم يعيِّن من جاء بعده من النحويين من يخفض بهـا مـن العرب، بـل إنَّ كثيراً ممّن جاء بعد الفرّاء تأوّل شواهد هذه اللغة التي أشار إليها، فقال ابن هشام: " قُرئ (ولاتَ حينِ منـاصِ) [6]. بخفض الحين، فزعم الفرّاء أنّ لات تستعمل حرفاً جاراً لأسماء الزمان خاصّةً كمـا أنّ مذ ومنذ كذلك، وأنشد :

طلبوا صُلحنا ولاتَ أوانِفأجبنا أنْ لاتَ حينَ بقاءِ

وأُجيب عن البيت بجوابين، أحدهما: أنّه على إضمار (من) الاستغراقية. . . . ، والثـاني: أنّ الأصل (ولات أوانُ صُلْح) ثمّ بنـى المضاف لقطعه عن الإضـافة،. . . وعن القراءة بـالجواب

---

[1] ص، 3.

[2] روى ابن السكّيت هذا البيت في كتاب الأضداد (173) وهو: ولتعرفَنَّ خلائقاً مشمولةً ولتندمَنَّ ولاتَ ساعة مَنْدم
ورواه ابن عقيل (ج271/1) : ندم البُغاةُ ولات ساعة مَنْدَمٍ والبغيُ مرتعُ مُبتغيه وخيمُ ويبدو أنّ رواية ابن السكيت هي الأصح لأنّ الفرّاء أنشد جُزءاً من الشطر الثاني، وقال (ولا أحفظ صدره) ، وينظر: خزانة الأدب: ج4/ 174 – 175.

[3] قيل هو لعمرو بن شاس، ينظر : همع الهوامع : ج126/1، والدرر اللوامع : ج1/ 274.

[4] البيت لأبي زُبيد الطائي: ديوانه: 30، وينظر: خزانة الأدب: ج4 / 189، والخصائص: ج2 / 377، وشرح المفصل: ج9/ 32.

[5] معاني القرآن : ج2/ 397- 398.

[6] قال أبو حيان ج7/ 367 : " قرأ عيس بن عمر : ولاتِ حين، بكسر التاء وجرِّ النون".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأوّل وهو واضح، وبالثاني وتوجيهه أنّ الأصل (حينَ مناصهم) ثم نزل قطع المضاف إليه من مناص منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه" [1].

وقد نقل البغدادي آراء كثير من النحاة في (لات) والمجرور بعدها[2]، ولكنَّ ابن يعيش قد جلّى هذه المسألة بعد أن نقل رأي المبرد الذي ذهب[3] إلى أن التنوين في الشاهد (طلبوا صلحنا ولات أوانٍ) هو تنوين العِوض عن الجملة التي تضاف إليها (لات) في الأصل، فقال ابن يعيش: " والذي حمله على هذا القول أنه رآه مخفوضاً وليس قبله ما يوجب خفضه فتخيّله لذلك والذي عليه الجماعة أنّه مخفوضٌ والكسرةُ فيه إعرابٌ والتنوين تنوين تمكين والخافض (لات) وهي لغة قليلة لقوم من العرب يخفضون بها، وقد قرأ عيسى بن عمر (ولات حين مناص) بجرّ حين على ما ذكرنا" [4].

فقد أكّد ابن يعيش أنَّ الجرّ بـ (لات) لغة قليلة للعرب كما ورد عند الفرّاء، وبهذا فإننا نستطيع أن نُرجِّح أنّ الجرّ بـ (لات) لغة للعرب، وإن كانت قليلة، وذلك لمِا جاء عن الفرّاء في نصّه، وهو عالم بلغات العرب وأيّده فيه ابن يعيش في نصّه السابق، ولِما وقع فيه النحاة من التناقض وهم يلتمسون مخرجاً لهذه اللغة، ومثال ذلك استدراك البغدادي على ابن هشام في نصّه الذي قدمناه، فقال البغدادي : "هذا الجواب فاسد، لأنّ تقدير (مِنْ) يقتضي أن لا يكون لها معمول، وإذا لم يكن لها معمول اقتضى كونها غير عاملة. والجواب إنّما هو لبيان عملها، .... وقوله (وتوجيهه أنّ الأصل حين مناصِهم. . الخ) وهذا الأصل لا يصح، لأن معمول لات لا يجوز إضافته إلا إلى نكرة " [5].

ويبدو أنَّ قلّة الشواهد التي استخُدمت فيها (لات) سواء كانت بنصب ما بعدها أم بجرِّه، كانت عاملاً في صعوبة تأكيد كون الجرّ بها لغةً، أو أنّه ناتجٌ عن حذفٍ بعدها، أو عن بناءِ الاسم بعدها على الكسر مع كونه منصوباً، نحو ما قالوا في (لات أوانٍ) [6]. وقد التفت برجستر سر إلى قلة الشواهد على (لات) . فقال : "وهي نادرةٌ لا تكاد أن تُوجد إلا في القرآن الكريم وبعض الشعر العتيق"[7].

11- حذف نون الوقاية من (ليتني) :

---

[1] مغني اللبيب : ج1/ 255.
[2] خزانة الأدب : ج4/ 183- 189.
[3] شرح المفصل: ج9/ 32.
[4] المصدر نفسه : 33.
[5] خزانة الأدب : ج4/ 187- 188.
[6] ينظر : مغني اللبيب : ج1/ 255.
[7] التطور النحوي للغة العربية : 111.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكـر النحـاس هـذه اللغـة، فقـال فـي إعـراب قولـه تعـالى: ﴿يَقُـولُ يَـا لَيْتَنِـيْ قَـدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[1]: " ومن العرب من يقول : ليتي يشبِّهه بإني"[2].

فهذه اللغة التي ذكرها النحاس، قد علَّلها بالقياس على إنّي التي تُحذف نون الوقاية منها لوجود النون المثقلة فيها، والحرفان من باب واحد، وقد ذكر النّحاس أنَّ من العرب من يحذف إحدى النونين من (إنَّنا) ، فقال في إعراب قوله تعالى: ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[3] : "على الأصل ومن العرب من يحذف إحدى النونين" [4].

ولم ينسب النحّاس هذه اللغات إلى قوم من العرب، ولم أجد نسبةً لها في المصادر التي اطّلعت عليها.

[1] الفجر، 24.
[2] إعراب القرآن : ج700/3، وينظر : 499.
[3] المائدة، 111.
[4] إعراب القرآن : ج529/1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلاصة الفصل الثالث :

خلص هذا الفصل إلى النتائج الآتية :

1- أرجع البحث استعمال حرف الجر مكان حرف جرٍّ آخر إلى لغات العرب؛ فقد تستعمل قبيلة (في) مع فعل وتستعمل قبيلة أخرى الباء مع الفعل نفسه، ثم يغلب استعمال إحداهما ويشيع، وعندما تُسمع لغة القبيلة التي لم يشع استعمالها، نقول إنَّ هذا الحرف قد استُعمل في موضع ذاك.

2 - أنَّ الجزم بإذا لغة للعرب ذكرها الفرّاء ولم ينسبها، وقد وردت عليها نصوص من الشعر والنثر، فلا يمكن قصرها على الضرورة كما جاء عند سيبويه.

3- أنّ الجزم بـ (لن) لغة للعرب لها شواهدها، ذكرها العلماء ولم ينسبوها. وفنّد البحث رأي إبراهيم أنيس بأنّ النحاة قد وهموا عندما رأوا أفعالاً مضارعة ساكنة بعد (لن) فظنوا أنّ السكون علامة جزم، وأنّ هذا السكون ما هو إلا سكون أواخر الكلمات لعدم ضرورة الحركة، أو لأنّ نظام المقاطع لم يتطلبها.

4 - أنّ الجزم بـ (لا) التي يصلح قبلها (كي) هو لغة للعرب غير أهل الحجاز، وأنّ الرفع لغة أهل الحجاز.

5 - أنَّ (أم) تقع زائدة في لغة أهل اليمن، وقد وردت عليها شواهد شعرية ونثرية، لكنَّ البحث قد رجَّح إخراج قول الله تعالى : "أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين"[1] من أن تكون شاهداً على هذه اللغة.

6 - أنَّ بعض العرب يستخدم (مِن) لابتداء الغاية الزمانية، وبعضهم يستخدم (منذ) لابتداء هذه الغاية، فغلب استخدام (منذ) وشاع، مما حمل النحاة على القول بأنَّ (مِن) قد تقع موقع (منذ) .

7 - أنّ استخدام (أنَّ) بمعنى (لعلّ) لغةٌ للعرب، ولكنَّ في (لعلّ) لغات كثيرة مثل (لَعَنَّ، ولوأنّ، ولعنَّ) ، وقد نُسبت (لَعَنَّ) إلى بني تميم، ولا يمكن قياساً عليها أن ننسب لغة استخدام (أنَّ) بمعنى (لعلّ) إلى بني تميم.

[1] الزخرف، 51- 52.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

8 - أنَّ حذف (أنْ) من خبر (عسى) ، وإثباتها في خبر (لعلَّ) ، والإتيان بخبر (عسى) اسماً منصوباً، هي لغات للعرب بأثر من قانوني القياس الخاطئ، وطرد الباب على وتيرة واحدة، ولم تُنسب هذه اللغات إلى قبيلة أو قبائل معينة من العرب.

9 - أن (لمَّا) تُستخدم مكان (إلا) في لغة هذيل، إذا كانت جواباً لـ (إنْ) ، وأما إن كانت مع الماضي نحو (أنُشُدك الله لمّا فعلت) فهي لغة للعرب، قد تكون لقبيلة هُذيل وقد تكون لغيرهم.

10 - أن استخدام اللام مكان (أن) هو لغة لبعض العرب، لكنّ البحث لم يصل إلى نسبتها، ولم يُتابع مَنْ نسب هذه اللغة إلى القبائل البدوية اعتماداً على أن الشاهد الشعري على هذه المسألة هو لشاعر من بني أنف الناقة وهي قبيلة بدوية.

11- أنّ رفع المضارع بعد (كيما) لغة للعرب، لم ينسبها الأخفش وهو الذي ذكر هذه اللغة، ولم ينسبها غيره.

12- ذكر الفرّاء أن الجرّ بـ (لات) لغة للعرب، وأيّد ذلك ابن يعيش، وقد رجَّح البحث أن تكون هذه اللغة قليلة الانتشار فقلَّت شواهدها، مع أنَّ الشواهد التي وردت فيها (لات) قليلة أصلاً.

13 - أن حذف نون الوقاية من (ليتني) لغة لبعض العرب، ولم يصل البحث إلى نسبة هذه اللغة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمة

لقد أتبعتُ كلّ فصل من فصول الرسالة خلاصة تبين أبرز ما جاء في الفصل، ولهذا ستقتصر الخاتمة على أن تكون في النتائج العامة التي خلصت الرسالة إليها. وهي:

1- أن الحاجز المكاني الذي ذكره العلماء فيما يختص بالقبائل التي يُحتج بلغاتها كان على التغليب لا على التحقيق والتأكيد، فقد احتج النحاة بلغات لقبائل لم تكن من تلك التي حدّدوا الأخذ عنها.

2- كان بعض القبائل العربية في العصر الجاهلي مستقراً ثابتاً في ديار معينة عُرفت بحمى القبيلة أو ديارها، وبعضها كان متنقلاً مرتحلا تبعا لظروف معيشتهم، ولم تكن كل القبائل العربية متنقلة مرتحلة لاتعرف الاستقرار أو الثبات في ديار معينة كما ذهب بعض الباحثين، وبناء على هذا فإن تقسيم تشيم رابين للهجات العربية إلىشرقية وغربية قد يكون فيه صحة من جهة أن بعض القبائل مستقرة في منازلها شرقية كانت أوغربية، وقد يكون في تقسيمه بعض الخطأ من جهة ارتحال بعض القبائل شرقا وغربا وشمالا وجنوبا في شبه جزيرتهم، فيكون من الخطأ حصر القبائل في بيئة معيّنة، ودراستها على أساس إقامتها في هذه البيئة.

3- لقد وردت لغات للعرب في هذا البحث لم أجد إشارة إليها إلا في كتب إعراب القرآن ومعانيه، مثل استخدام المصدر النائب عن فعله في لغة تميم من نحو قولهم: (يا نفس صبراً) ، ومثل حذف الظرف (بين) ونقل حركته إلى الاسم بعده، وهي اللغة التي رواها الكسائي عن بعض الأعراب، ونقلها الفرّاء عنه، ووردت في البحث كذلك بعض اللغات لقبائل قد دُرست لهجاتها دراسة منفردة في كتب معينة، ولم يُشِر إليها أصحاب هذه الكتب، ومن هنا فإنّ دراسة لغات العرب في المصادر القديمة قد تُضيف مادة جديدة للدراسات النحويّة واللغوية لن يعثر عليها الباحث إلا في بطون هذه الكتب. وتجميع هذه الشذرات من لغات العرب يزيد صورة بعض اللغات وضوحاً، ويُجلّيها للباحثين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4- لعلّ بعض العلماء قد مال إلى ما يُعرف بالحذلقة والصنعة لإثبات سعة اطّلاعه على لغات العرب، ومن أمثلة ذلك ماجاء عند الفرّاء، فقد نقل عن الكسائي أنه سمع عن العرب نَقْل (كما أنت) و (مكان) إلى اسم الفعل فيقولون: كما أنت زيداً، ومكانك زيداً، فأضاف الفرّاء أنه سمع من بعض بني سُليم : كما أنتني، ومكانكني، يريدون: انتظرني في مكانك. وربما لم يسمع الكسائي أو الفراء مثل هذه الشواهد، وإنما هي أمارات على قدرات عقلية تنظيريّة بلغها العالمان فصارا يقيسان على أسماء الأفعال ما لم يُسمع.

5- لم تكن لغة قريش هي وحدها لغة القرآن الكريم، بل وُجدت فيه استعمالات من لغات للقبائل العربية غير لغة قريش، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء، وأكّده هذا البحث.

6- وصف بعض النحاة بعضاً من لغات العرب بالقبح والرداءة، وردّوا عددا من هذه اللغات، وقد أرجع البحث ذلك إلى منهج النحاة في تعاملهم مع شواهد اللغات، فإذا كانت اللغة كثيرة الشواهد استطاعت أن تفرض على النحاة الاعتراف بها وبمكانتها، وإذا كانت قليلة الشواهد بقيت عُرْضةً لأنْ تُردّ، أو توصف بالقبح والرداءة، وبقيت شواهدها عُرضة للتحريف والتأويل لتنسجم مع قواعد النحويين.

7- إنّ في اللغة العربية سَعةً من خلال لهجاتها القديمة، قد تُعالج هذه السعة جانبا من مشكلة الخطأ والصواب في اللغة، التي نشأت مع وضع القواعد النحويّة، والقول بأنّ ما خالف القواعد ينبغي تجنُّبه، ثم جاء ابن جني الذي ذهب إلى أن كل لغات العرب حجة، وأنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب. فأخذ اللغويون بعد ذلك يختلفون بين مخطِّىء لتركيب لغوي وإن جاء على لغة للعرب ومُصوّب له لأنّه على لغة من لغات العرب ولغاتُ العرب كلّها حجة. ووقف الكُتّاب بين المخطّىء والمصوب وقفة الحائر أيُضربُ صفحاً عمّا يقوله اللغويون كما فعل الفرزدق مع ابن أبي إسحاق الحضرمي في القصة المشهورة، أم يُتابع ما يصدر عن اللغويين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من تَخْطِئة وتصويب فلا يصل إلى نتيجة تشفي غليله ؟. وأرى أنّ دراسة لغات العرب وإضافة بعض من قواعدها التي تشيع في استعمالات الكُتَّاب والأدباء المحدثين، إلى قواعد العربيّة، ثمّ عدم تخطئة هذه الاستعمالات أينما وردت، هو مما يُيسِّر اللغة العربية على ألسنة أبنائها وأقلام كتّابها، ويُخرجها، في جزء منها، من دوّامة التخطئة والتصويب.

8- إنَّ القواعد النحوية لم تقف حاجزاً في سبيل امتداد بعض لغات القبائل، وبقائها حيَّة منتشرة على ألسنة المتكلمين، مع تشديد النحاة على التنفير منها، وقولهم إنّها لغات قليلة أو رديئة أو ضعيفة، ومثال ذلك لغة (أكلوني البراغيث) ، واستخدام (من) لابتداء الغاية الزّمانية.

9- لم يؤكد البحث نسبة عدد من لغات القبائل مع وجود بيت أو بيتين من شعر قبيلة ما على اللغة المراد نسبتها، وذلك لأنّ في الاعتماد على الأشعار وحدها شيئاً من المجازفة؛ إذ الشعر مستوى من الكلام قد يخالف ما ألفته القبيلة من عادات كلامية.

10- لقد عُني بعض العلماء بالقواعد النحوية، فأطلقوا الأحكام بالضعف والقبح والرداءة على بعض اللغات، ولم يُعنوا بنسبتها إلى قبائلها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع:

أولا-القرآن الكريم.

ثانيا- المصادر:

- الأحوص ، **شعر الأحوص الأنصاري**، جمع وتحقيق:عادل سليمان جمال، الهيئة المصرية العامة-القاهرة،1970.
- الأخطل ، **شعر الأخطل التغلبيّ** : صنعة أبي سعيد السكري(ت275هـ) روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب، تحقيق : فخرالدين قباوة ، دار الفكر - دمشق و دار الفكر المعاصر - بيروت ، ط4 ، 1996م.
- الأخفش ، سعيد بن مسعدة(210هـ):
  - **معاني القرآن**، تحقيق: فائز فارس، الكويت،ط2، 1981م. [هذه الطبعة هي التي اعتمدتها في البحث، والإحالات إليها].
  - **معاني القرآن**، تحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1985م.
- الأزهري، الشيخ خالد (ت905هـ): **شرح التصريح على التوضيح** ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 1 ، 2000م .
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت370هـ): **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة، د.ط، د.ت.
- الأشموني، نورالدين أبو الحسن علي بن محمد (ت900هـ): **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1955 م.
- الأصفهاني ،أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي(ت556هـ):**الأغاني**،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة 1954.
- الأصمعي :**ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي وللسجستاني ولابن السكيت** ، نشرها : أوغست هفنر ، دار الكتب العلمية –بيروت ، 1913م.
- الأعشى، **ديوان الأعشى ميمون بن قيس**، شرح وتعليق: م.محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز،د.ت.
- امرؤ القيس، **ديوان امرىء القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري(ت275هـ)**: تحقيق:أنور أبوسويلم ومحمد علي الشوابكة، مركز زايد-الإمارات،ط1، 2000.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت577هـ) : **الإنصاف في مسائل الخلاف** ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية – بيروت ، 1993 م.
- البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت1093هـ) :**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،** تحقيق و شرح : عبدالسلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي-القاهرة ، 1967م .
- تميم، **ديوان تميم بن أبيّ بن مقبل،** تحقيق: مجيد طراد، دار الجيل-بيروت،ط1، 1998.
- ثعلب، أبوالعباس أحمد بن يحيى(ت291هـ): **مجالس ثعلب،** تحقيق: عبد السلام هارون، النشرة الثانية، دار المعارف –مصر، د.ت.
- جِران العَود ، **ديوان جران العود النميري** : رواية أبي سعيد السكري ، دار الكتب المصرية - القاهرة ،ط 1 ، 1931م .
- جرير ، **شرح ديوان جرير** : محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، دار مكتبة الحياة – بيروت ،د.ط.
- ابن جني ، أبوالفتح عثمان (ت392هـ) :
  - **اللمع في العربية** ، تحقيق : فائز فارس ، دار الكتب الثقافية - الكويت ، د. ط.
  - **الخصائص** ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية د .ط.
  - **المنصف،** تحقيق: عبد الله أمين وإبراهيم مصطفى، شركة مصطفى البابي الحلبي-مصر،1954.
- الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت393هـ) : **الصحاح** ، تحقيق : إميل يعقوب ومحمد نبيل طريفي ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط1 ،1991م.
- الحريري ، القاسم بن علي (ت516هـ) : **درّة الغوّاص في أوهام الخواص** ، تحقيق : عرفات مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، ط1، 1998م.
- ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ) : **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف – مصر ، 1962 م.
- الحلبي ، أبو الطيب اللغوي (ت351هـ) : **مراتب النحويين** ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة نهضة مصر – القاهرة ، د.ط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حُميد بن ثور ، **ديوان حميد بن ثور الهلالي** : صنعة عبد العزيز الميمني ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة 1951م ، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة .
- أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت745 هـ) : **تفسير البحر المحيط** ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية –بيروت ، ط1،2001م .
- ابن خالويه ، الحسين بن أحمد (ت370هـ) : **مختصر في شواذ القرآن** ، عني بنشره: برجستراسر ، دار الهجرة ، د.ط ، د.ت .
- الدينوري ، ابن قتيبة (ت276هـ) : **تأويل مشكل القرآن** ، تحقيق : السيد أحمد الصقر، المكتبة العلمية ، د.ط .
- الدمياطي، الشيخ أحمد بن محمد(ت1117هـ): **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر**، تحقيق:علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة-بيروت،د.ت.
- ابن ذريح ، **ديوان قيس بن ذريح** ، جمع وتحقيق : عفيف نايف حاطوم ، دار صادر- بيروت ، ط1 ، 1998م .
- رؤبة ، **مجموع أشعار العرب** وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه ، اعتنى بتصحيحه : وليم بن الورد البروسي ، طبع بآلات دروغولين بمدينة ليبسيغ،1903م.
- ذو الرمة، ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي(ت117هـ)، **شرح الإمام أبي نصر الباهلي**، رواية ثعلب، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة- بيروت،ط3، 1993.
- أبو زُبيد ، **شعر أبي زبيد حرملة بن المنذر الطائي** ، جمع وتحقيق : نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف - بغداد ، 1967 م.
- الزّبيدي ، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ) : **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج وآخرين ، مطبعة حكومة الكويت – وزارة الإرشاد والأنباء ، 1965م .
- الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ (ت311هـ) : **معاني القرآن وإعرابه** ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب - بيروت ،ط1، 1988.
- الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت340هـ) :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ✦ **الجمل في النحو** ، تحقيق : علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ودار الأمل -إربد ، ط1 ،1984م .
- ✦ **اللامات** ، تحقيق: مازن المبارك ، دار الفكر - دمشق ،ط2 ، 1985م .
- ✦ **مجالس العلماء** ، تحقيق عبد السلام هارون ، سلسلة التراث العربي - الكويت ، 1962م .

- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت794هـ) : **البرهان في علوم القرآن** ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية –بيروت ، 2001م.
- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر (538هـ) : **أساس البلاغة** ، تحقيق : مزيد نعيم وشوقي المعري ، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ، ط1، 1998م.
- زهير ، **شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى** : لأبي العباس ثعلب (ت291هـ) ، الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة ، 1964م، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة 1944م .
- أبوزيد، سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري(216هـ): **النوادر في اللغة**، تعليق وتصحيح: سعيد الخوري الشرتوني اللبناني،المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت،1894م.
- السُهيليّ، أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله(ت581هـ): **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: مجدي بن منصور بن سعيد الشورى، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1997.
- السُويدي ، محمد أمين البغدادي : **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب** ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1 ، 1986 م.
- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) : **الكتاب** ، تحقيق: عبد السلام هارون ، عالم الكتب –بيروت ، د.ط .
- السيرافي ، أبو سعيد (ت368هـ) : **أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض** ، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام – القاهرة ، ط1 ، 1985م.
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ) :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الإتقان في علوم القرآن** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة ، ط1 ، 1967 م.
- **الاقتراح** ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الصفا – القاهرة ، 1999 م.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط1 ، 1964 م.
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ومحمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية – مصر ،د .ت .
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلميّة – بيروت ، ط1 ، 1998 م .

- ابن الشجري، أبوالسعادات هبةالله بن الشجري(ت542هـ): **مختارات ابن الشجري**، تقديم: علي الخاقاني، دار العلم للجميع- بيروت،ط2،د.ت.
- الشنقيطي ، أحمد بن الأمين (ت1331هـ) : **الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع** ، تحقيق وشرح الشواهد : أحمد السيد سيد أحمد علي ، المكتبة التوفيقية – القاهرة ، د.ط ، د.ت .
- الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى (ت178هـ) : **المفضليات** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، بيروت - لبنان ،ط 6 .
- طرفة: **ديوان طرفة بن العبد**، شرح الأعلم الشنتمري(ت476هـ)، تحقيق: درية الخطيب ولطفي السقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1975 .
- أبو عبيدة ، معمر بن المثنّى (ت211هـ) : **مجاز القرآن** ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين، الخانجي - مصر ، ط1 ،1954م.
- العجاج ، **ديوان العجاج** : رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه ، تحقيق : عزّة حسن ، مكتبة دار الشرق - بيروت ، 1971م .
- عدي بن زيد ، **ديوان عدي بن زيد العبادي** ، جمع وتحقيق : محمد جبار المعيبد ، شركة دار الجمهورية ، سلسلة كتب التراث(2) ،بغداد ، 1965م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله (ت769هـ) :**شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الخير – بيروت ، ط1، 1990.
- عمر بن أبي ربيعة ، **شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي** : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة – مصر ، ط2، 1960 م .
- عنترة ، **شرح ديوان عنترة بن شداد** ، تحقيق : عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 1، 1980م.
- العيني،محمود بن أحمد (ت855هـ): **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية**، مطبوع بهامش خزانة الأدب للبغدادي، ط1،المطبعة الأميرية ببولاق.
- الفارابي، أبو نصر محمد بن أحمد(ت 339 هـ):**الحروف**، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق-بيروت، 1969.
- الفرّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت207هـ) : **معاني القرآن** ، حقق الجزء الأول : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، وحقّق الجزء الثاني : محمد علي النجار ، وحقّق الجزء الثالث : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار السرور ، د.ت .
- الفرزدق، **ديوان الفرزدق**، تحقيق : علي فاعور، دار الكتب العلمية –بيروت،د .ط.
- الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ) : **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة** ، تحقيق: محمد المصري ، دار سعد الدين- دمشق ، ط1 ، 2000م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري(ت770هـ): **المصباح المنير**،المطبعة الأميرية الكبرى(بولاق)-مصر،ط2، 1906.
- القشيري:**الصمة بن عبدالله القشيري حياته وشعره**،جمع ودراسة: خالد الجبر، منشورات جامعة البتراء-عمان،2003م.
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ) : **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط1، 1987م.
- قيس ، **ديوان قيس بن الخطيم الأنصاري** ، تحقيق: ناصرالدين الأسد ، دار صادر - بيروت ، ط 2، 1967.
- قيس لبنى، **ديوان قيس بن ذريح**، جمع وتحقيق: عفيف نايف حاطوم، دار صادر- بيروت، ط1، 1998.
- كُثيّر ، **ديوان كثيّر عزّة** ، جمع وتحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت ، 1971م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الكنز اللغوي في اللسن العربي** ، تحقيق : أوغست هفنر، طبع بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين – بيروت ، 1903م.
- ابن مالك ، أبو عبد الله محمد جمال الدين (672هـ) :
  - ✦ **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي- مصر، 1967.
  - ✦ **شرح الكافية الشافية** ، تحقيق : عبد المنعم أحمد هريدي ، دار المأمون للتراث ، د. ط ، د.ت .
  - ✦ **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح** ، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ط.
- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ) : **المقتضب** ، تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ، 1388هـ .
- المتلمس : **ديوان المتلمس الضُبَعيّ**، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية- جامعة الدول العربية،1970.
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ) : **لسان العرب** ، دار صادر ودار بيروت – بيروت ، 1955م.
- الميداني، أبوالفضل أحمد بن محمد(ت518هـ): **مجمع الأمثال**، تحقيق: جان عبدالله توما، دار صادر- بيروت، ط1، 2002.
- النابغة ، ديوان النابغة الذبياني ، **جمع وشرح** : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر ، 1976 م.
- النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس (ت338هـ) : **إعراب القرآن**، تحقيق : زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني_ بغداد ،1977.
- النمر بن تولب: **شعر النمر بن تولب**، صنعة نوري حمودي القيسي،مطبعة المعارف-بغداد.
- النميري: **ديوان الراعي النميري**، جمع وتحقيق: راينهرت فاييرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية-بيروت،1980م.
- الهذليين ، **ديوان الهذليين**: دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط2 ، 1995.
- ابن هشام الأنصاري ، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (ت761هـ):

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ✦ **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد مصطفى حلاوي وأحمد سليم الحمصي ، دار إحياء التراث العربي- بيروت ، ط1، 1998م.
- ✦ **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط.
- ✦ **شرح قطر الندى وبل الصدى**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة-مصر،ط11، 1963 .
- ✦ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي – بيروت ، د.ط.

- الهمْداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت334هـ) : **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، دار اليمامة – الرياض ، 1974 م.
- الهمَذاني ، أبو بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي (ت584هـ) : **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب** ، تحقيق : عبد الله كنون ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة ، 1965م.
- ابن يعيش النحوي ، الشيخ موفق الدين (ت643 هـ) : **شرح المفصل** ، عالم الكتب – بيروت ، د.ط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا- المراجع:

أ- الكتب المطبوعة:

- الأسد ، ناصر الدين :
  - (1988) **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية** ،ط7، دار الجيل – بيروت .
  - (1999)**نشأة الشعر الجاهلي وتطوره** ،ط1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت.
- أنيس ، إبراهيم :
  - (1995) **الأصوات اللغوية** ،ط4،مكتبة الإنجلو المصرية – القاهرة.
  - (1965) **في اللهجات العربية** ،ط3،مكتبة الإنجلو المصرية – القاهرة.
  - (1966) **من أسرار اللغة**،ط3، مكتبة الإنجلو المصرية – القاهرة.
- أيوب ، عبد الرحمن : **العربية ولهجاتها** ، مكتبة الشباب – المنيرة ، د.ط .
- برجستراسر(1929) : **التطور النحوي للغة العربية** ، مطبعة السماح – مصر.
- تشيم رابين(2002) : **اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية** ، ترجمة :عبدالكريم مجاهد ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت.
- جبر ، محمد عبد الله (1983): **الضمائر في اللغة العربية**، ط1،دار المعارف – مصر.
- الجندي ، أحمد علم الدين(1983) : **اللهجات العربية في التراث** ، الدار العربية للكتاب.
- الحقيل، الشيخ حمد بن إبراهيم(1964): **زهر الأدب في معرفة أنساب ومفاخر العرب**، مطبعة المدني-القاهرة.
- الراجحي ، عبده : **اللهجات العربية في القراءات القرآنية** ،دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ، د.ط ، د.ت .
- الرافعي ، مصطفى صادق(2000) : **تاريخ آداب العرب** ،ط1، دار الكتب العلمية – بيروت.
- السامرائي ، إبراهيم :
  - (1979) **مقدمة في تاريخ العربية**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.
  - (1984) **من بديع لغة التنزيل**، ط1، دار الفرقان-عمان ومؤسسة الرسالة-بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ✦ (1994) **من سعة العربية** ،ط1، دار الجيل – بيروت.

- أبو سكين، عبدالحميد محمد(1978) : **معالم اللهجات العربية** ، مطبعة الأمانة – مصر.
- سلوم، داوود وسعيد، جميل (1978): **معجم لغات القبائل والأمصار** ، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- شاهين ، عبد الصبور(1984) : **في علم اللغة العام**،ط4، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- الطعان، هاشم(1984): **الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة**، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات(152).
- عابدين ، عبد المجيد(1989) : **من أصول اللهجات العربية في السودان** ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية.
- عبدالباقي ، ضاحي(1985): **لغة تميم دراسة تاريخية وصفية** ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة .
- عبد التواب ، رمضان :
  - ✦ (1988) **بحوث ومقالات في اللغة** ، ط2،مكتبة الخانجي – القاهرة.
  - ✦ (1994) **فصول في فقه العربية**، ط3 ، مكتبة الخانجي – القاهرة.
  - ✦ (2000) **لحن العامة والتطور اللغوي**،ط2، مكتبة زهراء الشرق –القاهرة.
  - ✦ (1995) **المدخل إلى علم اللغة العام ومناهج البحث اللغوي**، مكتبة الخانجي – القاهرة .
- عبد الكريم ، صبحي عبد الحميد محمد(1986) : **اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء**،ط1، دار الطباعة المحمدية – القاهرة .
- علي ، جواد (1970): **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**،ط1 ، دار العلم للملايين – بيروت ومكتبة النهضة – بغداد .
- عمايرة، إسماعيل أحمد:
  - ✦ (2000) **تطبيقات في المناهج اللغوية**، ط1، دار وائل-عمان.
  - ✦ (2002) **المستشرقون والمناهج اللغوية**، ط3، دار وائل-عمان.
- الغوث ، مختار (1997): **لغة قريش**، ط1 ، دار المعراج الدولية للنشر- الرياض.
- الفخراني ، أحمد (1996): **اللهجات العربية في روايات غريب الحديث والأثر**،د.ط.
- المخزومي، مهدي(1958):**مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**،ط2،مكتبة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المطلبي ، غالب فاضل(1978) : **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة** ، وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية ، سلسلة دراسات (155) .
- الموسى، نهاد (1976): **في تاريخ العربية أبحاث في الصورة التاريخية للنحو العربي**.
- النعيمي، حسام سعيد(1980) : **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ، دار الرشيد ، وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية ، سلسلة دراسات(234) .
- هارون، عبد السلام محمد(1972) : **معجم شواهد العربية**،ط1، مكتبة الخانجي مصر.
- هلال، عبد الغفار حامد(1998): **اللهجات العربية نشأة وتطورا**، دار الفكر العربي – القاهرة.
- وافي، علي عبد الواحد(1971): **نشأة اللغة عند الإنسان والطفل**، مكتبة غريب ،مصر.
- يعقوب، إميل بديع(1996) : **المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية**، دار الكتب العلمية – بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - الرسائل الجامعية:

- سائد ياسين كبها(1999) : **ما بُني على أشعار هذيل من تصاريف اللغة وقواعدها،** (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح ،فلسطين.
- علي ناصر غالب(1985) : **لهجة قبيلة أسد،**(رسالة ماجستير غير منشورة) ،جامعة البصرة ، العراق .

ج - الأبحاث:

- إستيتية،سمير(1987): **الازدواجية في اللغة العربية،** ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني.
- الأقطش ، عبد الحميد :
  - (1995) **الإسناد في لغة أكلوني البراغيث** ، مجلة أبحاث اليرموك ، سلسلة الآداب واللغويات ، مجلد (13)، عدد (2).
  - (1995) **في التقارض اللغوي من الحبشية إلى العربية**- تأصيل ودراسة مقارنة، مجلة التربية والعلم،جامعة الموصل، عدد(17).
- الجواري ، أحمد عبد الستار(1981) : **حقيقة التضمين ووظيفة حروف الجر** ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد (32).
- رمضان ، محيي الدين عبد الرحمن(1989) : **تفسير أوجه استعمال حروف الجر** ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد (40).
- الزعبلاوي ، صلاح الدين(1989) : **التضمين** ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجلد (55) ، ج1.
- السامرائي ، إبراهيم(1989) : **مقدمة في دراسة اللهجات** ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإمارات العربية ، عدد (5).
- عبابنة، يحيى(1993): **شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى_ دراسة صوتية فنولوجية،** مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد(8)، عدد(6).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

THE DIALECTS OF THE TRIBES IN THE BOOKS OF DECLENSION OF QUR'AN AND ITS CONNOTATIONS

By

Ismail Mahmoud Munaizil Al Qiyam

Supervisor

Prof. Nasseruddin Al Asad

ABSTRACT

This study has tackled the issue of dialects of the tribes in the books of the declension of the holy Qur'an and its connotations. The study aimed at persenting a clear image of the syntactic differences amongst the dialects of the Arabian tribes stressing the numerousness of these differences and that most of them did not fall in the intrinsic nature of the Arabic syntax and its origins but they fell in its branches.

This study combines two major objectives in studying the tribal dialects. The first is drawing out a plentiful material of the syntactic differences amongst tribal dialects, from ancient sources which are the books of declension of the holy Qur'an and its connotations from the second and third Hijri centuries. Secondly, analysing these differences,from the point of view of ancient and contemporary linguists, to manifest a phase in the past of this great language and to help predicting certain language phenomena that might occur in the future of the languge.

The study has ascribed many dialects to the tribes that used them.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit